المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الفضل بن الربيع والفضل بن سهل وأثرهما في الدولة العباسية ١٨٧هـ/٨٠٢م ـ ٢٠٢هـ /٨١٧م
دراسة تحليلية نقدية مقارنة

إعداد الطالبة
أريج محمود صالح قاروت

إشراف الدكتور
فواز بن علي بن جنيدب الدهاس

دراسة مقدمة إلى قسم التاريخ الإسلامي
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



مكة المكرمة
١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .   وبعد :

إن موضوع البحث الفضل بن الربيع والفضل بن سهل وأثرهما في الدولة العباسية ١٨٧هـ / ٨٠٢م ـ ٢٠٢هـ / ٨١٧م دراسة تحليلية نقدية مقارنة .

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وملاحق متعلقة بموضوع الدراسة ، ألحقت بها ستة خرائط توضيحية لمناطق نفوذ ولاة العهد ، وخطة سير طاهر لحرب الأمين وحصاره لبغداد .

أما المقدمة فضمنتها أهمية البحث وسبب اختياره وعرض موجز لأهم المصادر التي أفادته . وتناول التمهيد حالة الوزارة في الدولة العباسية قبل تولي الفضل بن الربيع الوزارة . وأفرد الفصل الأول لدراسة شخصية الفضل بن الربيع متضمناً نسبه ونشأته وثقافته ومؤهلاته لتولي الوزارة وصلته بالأمين ونشاطه وأعماله ووفاته . كما أفرد الفصل الثاني لدراسة شخصية الفضل بن سهل من حيث نسبه ونشأته وثقافته ومكانته وصلته بالمأمون ومؤهلاته لتولي الوزارة ونشاطه وأعماله ووفاته . وتناول الفصل الثالث عصر الأمين ودور الفضل بن الربيع والفضل بن سهل في الخلاف الذي وقع بين الأخوين وأثر نظام ولاية العهد على الدولة ، وما ترتب عليه من نتائج سلبية ووقوع الفتنة وموقف الفضل بن الربيع من هذه الأحداث . وسلط الضوء في الفصل الرابع على عصر المأمون ودور الفضل بن سهل في توليه الحكم ، وما آل إليه أمره . وتضمن الفصل الخامس دراسة تحليلية للآثار التي ترتبت على دور ابن الربيع وابن سهل في الدولة العباسية على جميع جوانبها السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية . أما الخاتمة فاشتملت على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج منها :

* تطور نفوذ الوزراء في عصر الدولة العباسية ، وما نتج عن ذلك من آثار سلبية وإيجابية .
* محاولة تشويه صورة الأمين ، واظهار المأمون بالصورة المثالية .
* عدم نجاح فكرة تعدد ولاة العهد وظهور انقسامات سياسية في الدولة ؛ لعدم التزامها بالعدل .
* تعرض الوزراء في العصر العباسي لمحن صعبة مما أدى إلى اختفاء مسمى منصب وزير .
* دور العرب في قيام الدولة العباسية ، واعتراف الأعداء لهم بحسن القيادة العسكرية .
* بدء ظهور العنصر التركي منذ عهد المأمون .
* تدهور اقتصاد الدولة العباسية في فترة الفتنة نتيجة لتدهور الصناعة والتجارة والزراعة .

اسم الطالبة	الأستاذ المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
أريج محمود صالح قاروت	د/فواز بن علي بن جنيدب الدهاس	د/عابد بن محمد السفياني

الإهــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

من كانا سبباً في وجودي .. إلى دوحتي العمر اللذين ظللاني من وهج حرارة الحياة ؛ فكانت يداهما تمسح عني هموم الحياة ومتاعبها ... وتقلع أشواكها ... وتذلل مصاعبها ، وتزرع الآمال الجميلة دون كللٍ أو مللٍ .

داعية المولى أن يُغمد أمي روحها الجنة ، وأن يجعل لوالدي مديد العمر في صحة وعافية إن شاء الله ...

وزوجي الغالي وشريك عمري ثمرة يد العون التي قدمها إليَّ وساهم في إخراجها إلى حيز الوجود ، وسار معي درب الكفاح ؛ لأرتقي إلى سلم العلم درجة وأنهل من فيضه العذب الرقراق .

وأخوتي الأحباء ...

فهم تلك اليد التي ما توانت ولا كلت في تقديم العون والمساعدة ، فقد كانت أيديهم دعائم يستند إليها ظهري في تلبية كل ما فيه إسعادي وراحتي . فلا حرمنى الله منهم .

وزهرتا حياتي ابنتي اللتين زينتا حياتي بابتسامتهما ... وعطرا عمري بعبير أمومتي لهما ... راجية من الله أن يمدهما بلباس العلم والتقوى ؛ فتكونا ابنتان صالحتان اجني ثمارهما في الدنيا والآخرة .

وفي الختام أتقدم بهذا الجهد لكل أخوتي فى الله ... راجية المولى أن يجعله علماً يُنتفع به يرفع من رصيد حسناتي إن شاء الله ...

الباحثة

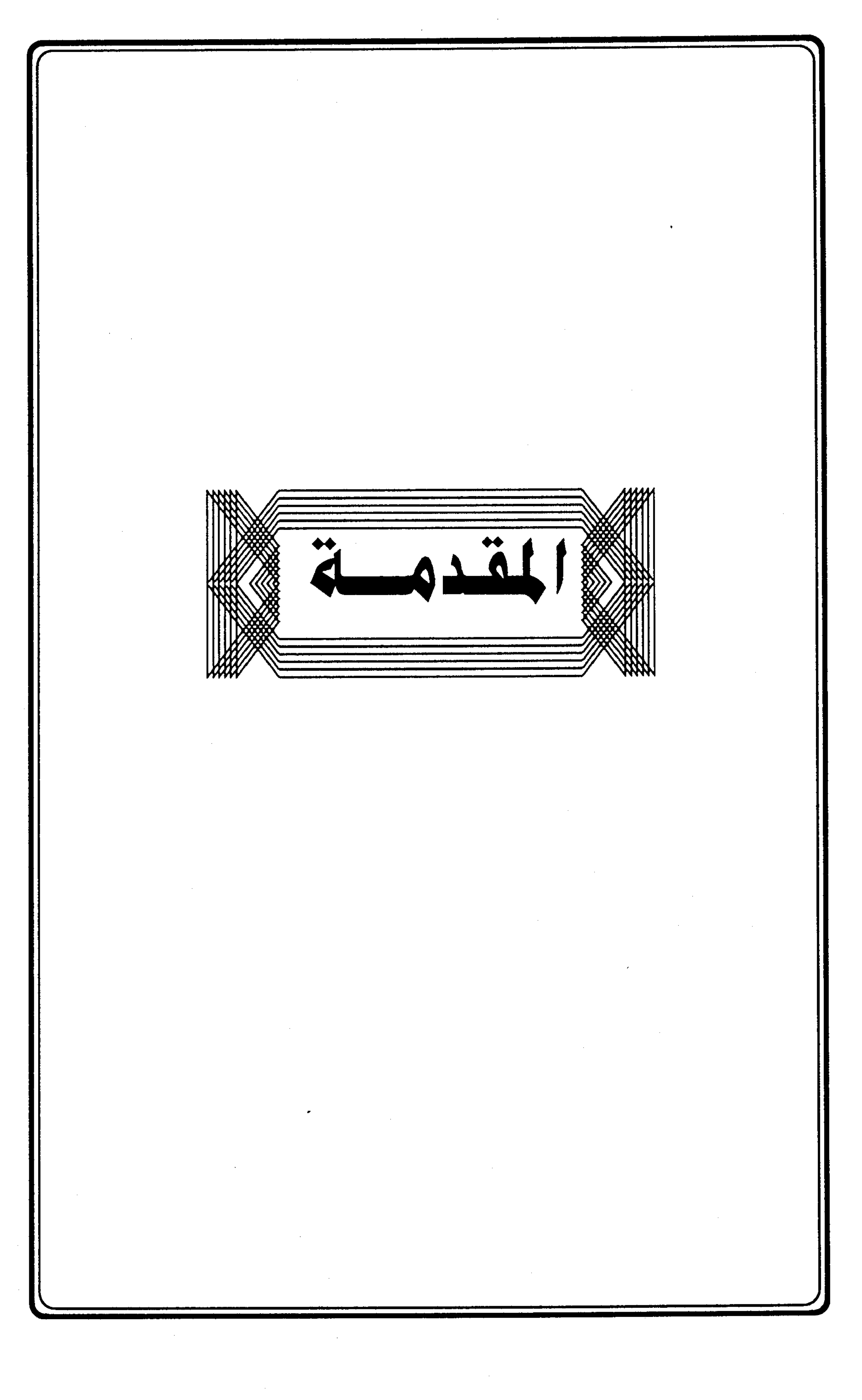
عن عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :
« إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جعلَ لهُ وزيرَ صِدْقٍ : إن نسي ذَكّرهَ ، وإنْ ذكر أعَانَهُ ، وإذا أرادَ اللهُ بهِ غير ذلك جعلَ له وزيرَ سوءٍ : إن نسيَ لَمْ يذكِّرْهُ ، وإن ذَكرَ لم يعنهُ » . (١)

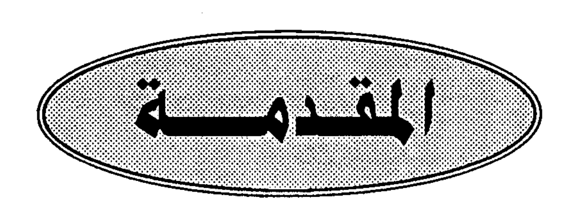
عن القاسم بن محمدٍ رضي الله عنه قَالَ : سمعتُ عمتي تقول : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « من وليَ منكمْ عملاً فأرادَ اللهُ بهِ خيراً جعلَ لهُ وزيراً صالحاً إن نسيَ ذَكّرَه وإن ذَكَرَ أعَانَهُ » . (٢)

---

١ ـ أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي : سنن أبي داود ، ٣ / ١٨١ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٢ ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى : ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

٢ ـ النسائي : سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي ، ٧/ ١٥٩، ط١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي : ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م .


المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، بعثه الله بالحق والهدى والرشاد فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وبعد :

فإن الله عز وجل ذكر في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً ﴾ . (١)

وقال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ * وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ . (٣)

---

١ ـ القرآن الكريم : الفرقان ، ٢٥/ ٣٥ .

٢ ـ القرآن الكريم : طه ، ٢٠/ ٢٩ ـ ٣٥ .

٣ ـ القرآن الكريم : القصص ، ٢٨/ ٣٤ ـ ٣٥ .

من هذا المنطلق كـانت بداية تكون الوزارة ، فظهـر منصب الوزير في الحضارة المصرية القديمة ثم في الحضارة الفارسيـة واليونانية وفي الحضارة الإسلامية فـي العصر النبـوي ، فقد روي أن النبي ﷺ قال : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نبيٌّ إلاَّ وَقَدْ أُعطِيَ سَبْعَةَ رفقاءَ نُجباءَ وزراءَ ، وإنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حمزةُ ، وَجَعْفرُ وَعليٌّ وَحَسَنٌ وَحُسينٌ وَأَبوبكرٍ وَعُمرُ وَالمِقْدادُ ، وَعَبْدُاللهِ بنُ مسعودٍ وَأبوذرٍ وَحُذيفةُ وَسَلْمانُ وَعَمارُ وَبلالُ » . [١]

وقـيـل كـان للنبي ﷺ سبـعـة وزراء من المهاجرين وسبـعـة وزراء من الأنصار [٢] ، وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ نبيٍّ إلاَّ وَلَهُ وزيرانِ مِنْ أهلِ السمـاءِ ، وَوزيرانِ مِنْ أهلِ الأرضِ ، فَأَمَّـا وزيـراى مِنْ أهلِ السماءِ فجبريلُ وميكائيـلُ ، أمَّا وزيـرايَ مِنْ أهلِ الأرضِ فأبوبكرٍ وعمرُ » رواه الترمذي . [٣]

كما ورد لفظ منصب الوزارة في لقاء المهاجرين بالأنصار يوم السقيفة بقول المهاجرين بقيادة أبوبكر لهم : « نَحْـنُ الأُمراءِ ، وَأَنْتمْ الوزراءِ » رواه البخاري [٤] . وفي العصر الأموي لقب زياد بن أبيه بوزير معاوية . [٥]

---

١ ـ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني : المسند ، ٧٣/٢ ، تحقيق : عبدالقادر عطا ومحمد عاشور ، ط٣ ، مصر ، دار المعارف : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

أبوالحسن الماوردي : قوانين الوزارة ، ٢٦ ، تحقيق : فؤاد عبدالمنعم . محمد سليمان ، ط٢ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٢ ـ المصدر السابق ، ٢٦ .

٣ ـ أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : سنن الترمذي ، ٦١٦/٥ ، تحقيق : إبراهيم عطوة ، بيروت : دار إحياء التراث العربي : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

٤ ـ أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، ١٩٤/٤ ، بيروت ، دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م ؛ الماوردي : المصدر السابق ، ٢٦ .

٥ ـ محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٢٢/٥ ، بيروت ، دار سويدان : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

وبذلك لم يكن منصب الوزير مستحدثاً في العصر العباسي ، لأن السلطان أو الحاكم لا يستطيع الاستغناء عن الوزير ؛ لأن مهمته مساعدة الإمام على مباشرة جميع أمور الأمة ، ومشاركته للحاكم في تدبير الأمور أصلح من تفرده بها ، وبذلك يكون الحاكم أبعد من الزلل ، وأمنع من الخلل .

فكلمة وزير تعني حبأ [١] الملك ، الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه . وفي اللغة اشتقت من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ والجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلاك .

وقيل مشتق من الأوزار وهي الأمتعة والسلاح . وقيل يطلق الوزر على الإثم عامة ؛ لأن الملك أو الحاكم يحمل أوزار الناس على ظهره فيصير حملاً ثقيلاً عليه ؛ لأنه يعتمد عليه في أمور الدنيا ، كما أنه يحاسب على رعيته يوم القيامة [٢] . والشاهد على ذلك قول موسى لله عز وجل : ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ . [٤]

ويحتاج الحاكم لوزير تتوفر فيه شروط ومواصفات تؤهله لتحمل أعباء الدولة معه ، وليكون معيناً له على طاعة الله عز وجل كما قال موسى لله عز وجل : ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ [٥] ، وقد ذكرها الماوردي في كتابيه . [٦] ومن هذه الشروط :

١ ـ حبأ : بمعنى جليس الملك وخاصته . انظر محمد بن مكرم بن علي بن منظور : لسان العرب ، ٥٣/١ ، ط١ ، بيروت ، دار صادر : ١٣٠٠هـ/١٩٨٣م .

٢ ـ أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي : الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ذ ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية : ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ؛ ابن منظور : المصدر السابق ، ٢٨٣/٥ .

٣ ـ القرآن الكريم : طه ، ٢٠/ ٣١ ـ ٣٢ .

٤ ـ القرآن الكريم : القصص ، ٣٥/٢٨ .

٥ ـ القرآن الكريم : طه ، ٣٣/٢٠ ـ ٣٥ .

٦ ـ علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ٢٠ ـ ٢٦ ، ط١ ، مصر ، دار الفكر : ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ؛ قوانين الوزارة ، ٤٦ ـ ٦٠ .

أن يكون من أهل العلم والصلاح وأهل الخبرة والمعرفة ؛ لأنه وسيط بين الملك ورعيته ، فيجب أن يكون في طبعه من الكياسة واللباقة ما يمكنه أن يتناسب مع طباع الملوك ، وأن يتناسب مع طباع العوام ؛ ليكون نقطة إتصال بين الملك ورعيته ، حتى يتسنى له أن يعامل كلاً من الفريقين المعاملة اللائقة به وبهذا ينال القبول والمحبة ، كما يجب أن يكون متصفاً بالأمانة ، وأن يكون الصدق رأس ماله . فقد قيل : « **إذا خان السفير ، بطل التدبير** » [١] ، وقيل : ليس لمكذوب رأي ، كما يجب أن يتصف بالكفاءة والشهامة ، والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم ، والرفق والأناة والتثبت في الأمور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لابد له منه ؛ لأن ذلك من أسباب نجاحه ، ولا يستغنى أن يكون مفضالا مطعاماً ليستميل بذلك قلوب الناس ، وليكون مشكوراً بكل لسان . [٢]

وقد جمع الخليفة المأمون هذه المعاني كلها في كتاب إلى من يثق فيه ، أن يختار له وزيراً حيث قال : « **إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، إن أو تمن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ؛ وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ، إن أحسن إليه شكر ، وإن أبتلى بالإساءة صبر ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غد ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه ، وحسن بيانه** » . [٣]

ولأهمية منصب الوزارة في الدولة ، ولتأثير صاحبها على الحاكم من خير أو شر ، فقد روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : عن النبي ﷺ أنه قال : « **ما بعَثَ اللهُ من نبيٍ ، ولا استخلفَ من خليفةٍ إلا كَانَتْ لَهُ بطانتانِ** [٤] :

---

١ ـ محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ١٥٢ ، بيروت ، دار بيروت : ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

٢ ـ المصدر السابق ، ١٥٢ .

٣ ـ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ٢٠ .

٤ ـ البطانة : الخاصة ، وهو صاحب سره وداخلة أمره الذى يشاوره في أحواله . ابن منظور : لسان العرب ، ١٣/٥٥ .

بطانةٌ تأمرُهُ بالمعروفِ وتحضُّهُ عليهِ، وبطانةٌ تأمرُهُ بالشرِ وتحضُّهُ عليهِ، فالمعصومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ عزَ وجلّ » . <١>

وقد شبه بعضهم الوزير بقوله : « ومثل الملك الخير ، والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه ، كالماء الصافي فيه التمساح ، فلا يستطيع المرء دخوله ، وإن كان سابحاً ، وإلى الماء محتاجاً ، ومثل السلطان كمثل الطبيب ، ومثل الرعية كمثل المرضى ، ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء ، فإذا كذب السفير بطل التدبير ، وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحداً من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه ، فإذا سقاه الطبيب على وصفة السفير هلك العليل ، كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك ، فمن هنا شرط في الوزير أن يكون صدوقاً في لسانه ، عدلاً في دينه ، مأموناً في أخلاقه ، بصيراً بأمور الرعية ، وتكون بطانة الوزير أيضاً من أهل الأمانة والبصيرة » . <٢>

فلما وقعت الفتنة بين المسلمين في العصر العباسي الأول في عهد الأمين ، كان من أسبابها الوزراء والبطانة التي تحيط بالأمين والمأمون ، ولم يكن واضحاً لدى الناس أسباب الفتنة تمام الوضوح .

فمن هذا المنطلق بدأت فكرة دراسة الفتنة التي اشتعلت سنوات وذهب ضحيتها الخليفة وأعداد كبيرة من المسلمين وضاعت دماؤهم هدراً ، ولما لها من آثار جانبية سيئة على الخلافة في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية والعلمية والعلاقات المختلفة وأمن الدولة ؛ ولما يكتنف الموضوع من غموض وتمويه في كتب التاريخ ، إذ أنها لم تذكر الأسباب الحقيقية وراء ها ، ومن أشعلها ؛ فمعظم الكتب تذكر أن الأمين هو السبب في إشعالها ، وتصف المأمون بالشخص الذي أجبر على محاربة أخيه ؛ لأنه شخصية مثالية بالنسبة لكتب التاريخ .

---

١ ـ البخاري : صحيح البخاري ، ١٢١/٨ ؛ النسائي : سنن النسائي ، ٧/ ١٥٨ ـ ١٥٩ ؛ شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، ١٤٣/١ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٢ ـ المصدر السابق ، ١٤٤/١ .

لذلك رأيت أنه من الواجب عليّ أن أقف على حقيقة الفتنة وأسبابها ، ومن ساهم في إثارتها وإشعال نارها وتمزيق كلمة المسلمين ، ولإجلاء الحقيقة للباحثين والدارسين وخدمة للتاريخ الإسلامي .

لقد ركزت الدراسة على تحليل شخصيتي الوزيرين المقربين من الخليفة وولي العهد وأعمالهما ، وما قدماه من آراء ونصائح وآثارهما على الخلافة الإسلامية ؛ فكان محور الدراسة « **الفضل بن الربيع والفضل بن سهل وأثرهما في الدولة العباسية ١٨٧هـ/٨٠٢م ـ ٢٠٢هـ/٨١٧م** » واخترته ليكون موضوع دراستي وبحثي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

ولقد واجهتني مشاكل وصعوبات في إعداد هذا البحث منذ البداية :

أولاً : إعداد الخطة :

كان لشخصيتي الفضل بن الربيع والفضل بن سهل أثر على تحديد موضوعات الخطة ؛ لأن المعلومات المتعلقة بهما لم تكن واضحة ومفصلة في كتب التراجم والتاريخ ، كما أن أعمالهما وآثارهما أيضاً غير موجودة ، مما جعل عملية إعداد الخطة للبحث عملية مجهدة إلى أن تمكنت أخيراً من إعداد خطة ، وكانت بإشراف الأستاذ الفاضل محمد شتا زيتون .

ثانياً : المادة العلمية :

كما واجهتني مشكلة أخرى وهي مشكلة جمع المادة العلمية ، فقد كانت المادة العلمية المتعلقة بالبحث مبعثرة بين كتب المصادر والمراجع ، واختلاف الأقوال وتعدد الروايات فبعضها متناقض وبعضها غير دقيق في صحة المادة ، مما أوجب على السير وفق الأسلوب العلمي في الأخذ بالروايات وعقد مقارنة بينها لتوضيح مدى صحتها أو عدم صحتها لما يوافق الأحداث

والزمان والمكان مما اضطررت إلى استعمال أسلوب النقد الإيجابي والسلبي قبل أن أسجل انتقاداتي ، وإن كان لابد أن يكون هناك بعض الثغرات في البحث ؛ لأن الباحث بشر والبشر غير معصومين من الخطأ ، ولا يستطيع أي باحث أن يدعي الكمال ؛ لأن الكمال لله عز وجل وحده .

ثالثاً : المصادر وصعوبة وجودها :

فقد واجهتني أكبر مشكلة في عملية جمع المادة العلمية وهي مشكلة ندرة وجود المصادر ، فلم يتسن لى الحصول عليها .

كما يعلم للجميع مدى الصعوبة التي تواجهها الباحثة في بلد مثل بلدنا فهي دولة إسلامية وعقيدتها وعاداتها تحرم على المرأة السفر والانتقال إلى الخارج أو في الداخل بدون محرم ؛ مما يصعب على الباحثة أن تجد من يتفرغ لها في كثرة الأسفار والتجوال .

أما خطة البحث فتتألف من مقدمة تتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وبياناً لأهم المصادر . ومن تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع التي بني عليها البحث .

التمهيد :

تناولت فيه حالة الوزارة في الدولة العباسية قبل تولي الفضل بن الربيع الوزارة لما في ذلك من أهمية وانعكاسات تظهر بعد ذلك بصورة واضحة على الوزراء في عصري الأمين والمأمون .

كما لهذه الدراسة أهمية من حيث إعطاء الفكرة للقارىء عن أثر هذه الفترة على الفترة التي تليها ، التي تولى فيها الفضل بن الربيع والفضل بن سهل الوزارة .

أما **الفصل الأول** فقد أفردته بالحديث عن الفضل بن الربيع من حيث نسبه ونشأته وثقافته ومؤهلاته لتولي الوزارة وصلته بالأمين ونشاطه وأعماله ووفاته .

واختص **الفصل الثاني** بدراسة شخصية الفضل بن سهل من حيث نسبه ونشأته وثقافته ومكانته وصلته بالمأمون ومؤهلاته لتولي الوزارة ونشاطه وأعماله ووفاته .

وأفرد **الفصل الثالث** للحديث عن عصر الأمين ودور الفضل بن الربيع والفضل بن سهل في الخلاف الذي وقع بين الأخوين ، وتناولت أسباب هذا الخلاف ، وأثرها على الرعية من الخاصة والعامة ، وما نتج عن ذلك من سلوكيات سلكتها بطانة ولاة العهد من أجل تحقيق مطامع شخصية ، وطموحات خاصة ؛ مما أدى إلى نشوب فتنة كبيرة كان لها أكبر الأثر على الخلافة الإسلامية ؛ وما ترتب عليها ، وما هو دور كلٍ من الفضل بن الربيع والفضل بن سهل في إشعالها ، وكيف تمكن الفضل بن الربيع من الخلاص منها . وأثرها على الشخصية التي يحاول الدفاع عنها . كما يظهر ذلك للناس .

وتحدثت في **الفصل الرابع** عن فترة تولي المأمون الخلافة ودور الفضل بن سهل في توليه ، لأن المأمون لم يفكر في خلع أخيه ، ولم يفكر في الخلافة أثناء حكم أخيه إلا برأي ومشورة الفضل بن سهل .



وما قدمه له من آراء وتأييدات لتصرفاته ، وأثر ذلك على سلطات الفضل ابن سهل في عهد المأمون ، وما انتهى إليه أمره ، لأنه لابد أن يكون لكل إنسان نهاية وتختلف نهايته حسب أعماله وهذا ما حدث لابن سهل .

وتناولت بالدراسة والتحليل في **الفصل الخامس** الآثار التي ترتبت على الدور الذي قام به الفضل بن الربيع والفضل بن سهل في الدولة العباسية لما كان لهما من أكبر الأثر الواضح على جميع جوانب الحياة في الدولة من حيث شئونها الخاصة بها ، ورعيتها ، وأثرهما على الأوضاع الداخلية من أمنية واقتصادية واجتماعية .

وأوجزت في **الخاتمة** : النتائج التي توصل إليها البحث وفي نهاية البحث تضمن قائمة بالمصادر المخطوطة والمطبوعة ، وقائمة بالمراجع الحديثة العربية والأجنبية والدوريات التي أسهمت في بناء البحث وما توصلت إليه من نتائج ، فمنها ما أسهم مساهمة كبيرة في تقديم المعلومات للباحث في تلك الفترة ؛ وقد استعنت بها ؛ لذا رأيت أنه من واجبي تقديم دراسة لبعض هذه المصادر منها :

١ ـ كتاب تاريخ خليفة بن خياط :

خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري المعروف بشباب ويلقب بأبي عمرو ولد « **١٦٠هـ/٧٧٦م . ت٢٣٠هـ/٨٤٤م** » [١] . وقد اختلف في تاريخ وفاته . فهو محدث نسابة إخباري من أشهر مؤلفاته الطبقات والتاريخ . ويعتبر كتابه التاريخي من أقدم الكتب العربية في التاريخ الإسلامي . اتبع فيه أسلوب الحوليات ومنهجه منهج

---

١ ـ قيل أنه توفي ٢٤٠هـ/٨٥٤م وقيل ٢٤٦هـ/٨٦٠م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢/٢٤٤ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٩٤٨م/١٣٦٨هـ . الراجح أنه توفي من ٢٤٠هـ/٨٥٤م وما بعدها وليس ٢٣٠هـ/٨٤٤ لأن كتابه ينتهي ٢٣٢هـ/٨٤٧م .

المحدثين ، فاهتم بالإسناد ويتضمن الكتاب معلومات قيمة عن المناصب الادارية وأسماء من تولاها أو قام بالعمل بها . وكتابه يتألف من جزئين يبدؤه بمولد النبي ﷺ وينتهي بأحداث ٢٣٢هـ/٨٤٧م .

٢ ـ تاريخ اليعقوبي :

هو أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي ويعرف بابن واضح وباليعقوبي ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م . مؤرخ ومن مؤلفاته تاريخ اليعقوبي والبلدان . ويعتبر من أقدم المؤرخين المسلمين ، وكتابه التاريخي من مصادر التاريخ الإسلامي الهامة ؛ فهو يكمل كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري ؛ فهو يهتم بالجوانب الحضارية في الدول أكثر من اهتمامه بالجوانب السياسية التي يهتم بها الطبري ، إلا أنه يؤخذ عليه عدم اهتمامه بذكر الأسانيد ، وميوله العلوية التي يظهر تأثيرها على كتاباته ورواياته خاصة فيما يتعلق بالراشدين والأمويين ، واتبع فيه أسلوب العهود وأسلوب الحوليات . (١)

وكتابه يتألف من جزء ين : الأول يتحدث فيه عن التاريخ القديم من خلق آدم عليه السلام حتى أيام العرب وحياتهم قبل مولد الرسول ﷺ . والجزء الثاني يبدؤه بذكر مولد الرسول ﷺ وينتهي بعهد الخليفة المعتمد على الله العباسي ٢٥٩هـ/٨٧٢م . وهذا الجزء أمد البحث بمعلومات مهمة .

٣ ـ تاريخ الأمم والملوك :

لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ولد ٢٢٤هـ/٨٣٩م ت ٣١٠هـ/٩٢٣م . مفسر ومقرىء ومحدث ومؤرخ وفقيه .

---

١ ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ٢٥٢/١ ، ط١ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ولد بآمل بطبرستان . له عدة تصانيف منها جامع البيان في تأويل القرآن وتاريخ الأمم والملوك وتهذيب الآثار . (١)

وكتابه هذا كتاب تاريخي مشهور من المصادر الأساسية في كتب التاريخ الإسلامي العام . وهو مرتب على منهج الحوليات . ويقع كتابه في عشرة أجزاء يبدأ من بدء تاريخ الرسل والأنبياء مع ذكر أحوالهم وأنسابهم حتى يصل إلى هجرة الرسول محمد ﷺ ، وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة إلى نهاية القرن الثالث الهجري ٣٠٢هـ/٩١٥م . ويعتبر كتابه أول عمل تاريخي بين مصنفات المسلمين ؛ لأنه أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، ومهد الطريق لمن جاء بعده منهم ، وهو من أوثق الكتب من حيث المادة العلمية لأنه اعتمد فيه على أسلوب المحدثين في التعويل على الروايات والحرص على السند وحيادته وموضوعيته في أقواله ، فهو لم يستسلم للهوى في ذكر النصوص والأخبار التاريخية الإسلامية . ويتصف بالصفة الأدبية لكثرة استشهاده بالأبيات الشعرية ، كما يضم معلومات قيمة من الناحية السياسية ، وإن كان يؤخذ عليه عدم اهتمامه بالمعلومات الاجتماعية والادارية ، وإغفاله الذكر عنها إلا في ثنايا أحداثه وأخباره ، كما يؤخذ عليه اعتماده على أسلوب السرد للروايات فقط ، دون نقد أو تفضيل رواية على أخرى ، أو التعليق عليها ، كما يفتقر كتابه إلى الوحدة الموضوعية لاعتماده على أسلوب الحوليات مما يجعل الباحث يتتبع الحدث في عدة صفحات متفرقة حسب الفترة التي استغرقها الحدث . (٢)

---

١ ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ١٤٧/٩ ، بيروت ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي : ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

٢ ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ٢٥٦/١ ـ ٢٦١ .

وقد اعتمدت في البحث على الجزء الثامن فهو قد أمد البحث بمعلومات قيمة عن الفتنة من بدايتها إلى نهايتها وما نتج عن ذلك من آثار سلبية وإيجابية على الدولة .

٤ ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة :

لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م وهو يعد من أهم الكتب المتعلقة بالنواحي المالية والادارية في الدولة الإسلامية ، وتوجد بعض أجزاء الكتاب ملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة نشره دي خويه وبعضها الآخر منشور في بغداد وهي المنزلة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . وترجع أهمية كتابه لاحتوائه على معلومات مالية هامة ، فهو مصدر هام للباحث في الحالة الاقتصادية في تلك الفترة ، وقد أفاد البحث منه خاصة فيما يتعلق بمصروفات وموارد الدولة العباسية خلال عهدي الرشيد والمأمون في حين ضاعت جميع القوائم التي تساعد أي باحث في تلك الفترة .

٥ ـ الوزراء والكتاب :

لأبي عبدالله محمد بن عبدوس بن عبدالله الكوفي الجهشياري ت ٣٣١هـ/٩٤٣م . مؤرخ وكاتب ومترسل له مؤلفات من أشهرها كتابه هذا ، وهو من الكتب التي تتحدث عن التنظيمات الادارية والمالية ، التي أغفل عنها معاصروه وهو من طبقة الطبري والمسعودي ، ويعد كتابه من أعظم مصادر التاريخ الإسلامي ويتحدث في كتابه من عهد الخلفاء الراشدين حتى عصر المأمون العباسي ، وقد أفاد كتابه البحث في جميع فصوله ، فهو مصدر أساسي للفترة التي تناولها البحث .

٦ ـ تاريخ الموصل :

لأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م . يعتبر كتابه من أهم المصادر في تاريخ الموصل ، وقد اتبع فيه المنهج الحولي في ذكر المعلومات مبتدئاً من أحداث ١٠١هـ/٧١٩م إلى أحداث ٢٢٤هـ/٨٣٨م .

٧ ـ كتب المسعودي :

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م . مؤرخ وإخباري . له مؤلفات كثيرة منها : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، والتنبيه والإشراف ، تعتبر كتبه مصادر تاريخية وجغرافية لاهتمامه بالأمور التاريخية والجغرافية التي لا يستغني عنها أي باحث في التاريخ والجغرافيا ، وهو يهتم بوصف أقاليم الدولة الإسلامية ، وقدمت كتبه للبحث معلومات قيمة خاصة الجزء الثالث والرابع من كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر أثناء حديثه عن الدولة العباسية ، فقد أمد البحث بمعلومات سياسية واجتماعية واقتصادية ، لذلك كان لكتابيه أهمية كبرى في البحث .

٨ ـ تاريخ بغداد « مدينة السلام » :

لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ولد ٣٩٢هـ/١٠٠١م ـ ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ، كتابه مصدر تاريخي هام للباحث في تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى تاريخ وفاته ، ويقع كتابه في أربعة عشر مجلداً ، يتحدث في المجلد الأول في صفة بغداد وتخطيطها ومناقبها والأحاديث المروية فيها ، وصفة أهلها ومناقبهم ، ثم يبدأ في الترجمة للشخصيات التي دخلت بغداد بدءاً بالصحابة ، ثم يورد أسماء التابعين مع أسماء البغداديين والخلفاء والأشراف والقضاة والفقهاء والمحدثين والقراء والزهاد والعلماء والمتأدبين والشعراء من أهلها ، وذكر من نزل بها أو مات بها أو بقربها ؛ ورتب ذلك على

أبواب حسب حروف المعجم من أوائل أسمائهم ، فبدأ ترجمته بالترجمة لمن كان اسمه محمداً تبركاً باسم الرسول ﷺ ، ثم ذكر الأسماء حسب الحروف الأبجدية من الألف حتى الياء ، ليسهل ذلك على طالبيه ، ثم يفرد باباً يسميه باب الكنى ، وباباً لترجمة نساء أهل بغداد ممن اشتهرن بالفضل ورواية العلم .

وقد أفاد الكتاب البحث في الحصول على معلومات عن الشخصيات ومعلومات عن بغداد وعن الحياة الاجتماعية فيها خلال العصر العباسي الأول .

٩ ـ مؤلفات ابن الأثير :

هو أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الملقب بعز الدين ابن الأثير الجزري ولد ٥٥٥هـ/١١٦٠م ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م . واختلف في تاريخ ولادته . له مؤلفات عديدة من بينها الكامل في التاريخ واللباب في تهذيب الأنساب ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، ويعتبر كتابه التاريخي الكامل من أهم المصادر في التاريخ العام ، وأحوال العالم الإسلامي . اتبع في كتابته أسلوب الحوليات وبنى تأليفه على المصادر الموثوق بها مثل الطبري وغيره ، والاهتمام بتفاصيل الحادثة الواحدة ، ابتدأ كتابه بأول الزمان ، وانتهى في ذكر أحداث ٦٢٨هـ/١٢٣٠م . ويتميز كتابه باستهلاله الموضوع والحادثة المراد ذكرها بتقديم مقدمة مختصرة عن الحادثة ، ويلخص الخبر ثم يذكره مفصلاً ، مع عدم الاعتماد على الأسانيد .

وقد أفاد كتابه هذا الباحث لما يقدمه من معلومات قيمة عن الفترة ما بين ١٧٦هـ/٧٩٢م ـ ٢٠٢هـ/٨١٧م . كما يستفيد الباحث من كتابه اللباب في تهذيب الأنساب في الترجمة لبعض الشخصيات وتوضيح القابهم وسبب تسميتهم بذلك .

١٠- وفيات الأعيان :

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي ولد ٦٠٨هـ/١٢١١م ، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م . وهو كتاب تراجم ، يقع في ثمانية أجزاء ، سبعة أجزاء في التراجم ، والجزء الثامن خصصه لفهارس مفصلة للكتاب . وهو كتاب قيم في دراسة الشخصيات .

١١- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية :

لمحمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي ولد ٦٦٠هـ/١٢٦٢م - ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م . مؤرخ ، فكتابه يهتم بالأمور السلطانية والسياسات الملكية ، ثم يتحدث عن الدولة الإسلامية بدءاً بدولة الخلفاء الراشدين ماراً بالدولة الأموية فالدولة العباسية إلى أن ينتهي بذكر خلافة المستعصم بالله . ٦٤٠هـ/١٢٤٢م . واعتمد في كتابه على أسلوب الموضوعات في ذكر الأحداث مما يسهل على الباحث الوصول إلى المعلومة متكاملة غير مجزءة ، كما أن كتابه أفاد الباحث في المعلومات الادارية والاجتماعية والسياسية .

١٢- البداية والنهاية :

لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصروي الدمشقي الشافعي القرشي ، ولد ٧٠٠هـ/١٣٠١م - ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م ، اختلف في تاريخ ولادته وهو محدث ومؤرخ ومفسر وفقيه ، يقع كتابه في أربعة عشر جزءاً . يبتدئ فيه بذكر بدء المخلوقات وصفة العرش والسموات والأرض والملائكة والجان والإنس ، إلى أن ينتهي بذكر أحداث ٧٦٧هـ/١٣٦٥م وما جرى فيها من أهم الوقائع والأخبار .

ويعتبر كتابه من المصادر الهامة في التاريخ العام ، فهو يسهب في ذكر أحداث الدولة الإسلامية ، والترجمة للشخصيات التي يصادف وفاتها أحداث السنة التي يذكرها ، واتبع أسلوب الحوليات في كتابته ، ومنهجه في ذلك منهج أمهات المصادر التاريخية العامة .

وقد قدم للباحث معلومات ساهمت في تكوين بنيته وجمع معلوماته ؛ خاصة فيما يتعلق بالناحية السياسية ، أما النواحي الادارية والاجتماعية فقد كان يذكرها في ثنايا الأحداث .

١٣ـ مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر :

لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحيم الحضرمي الأشبيلي المعروف بابن خلدون .

عالم ومؤدب ومؤرخ واجتماعي وحكيم ولد ٧٣٢هـ/١٣٣٢م ــ ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ، يعتبر كتابه من المصادر الهامة للباحث في التاريخ الإسلامي ، فهو يقع في ثمانية أجزاء ، الجزء الأول منه يعرف بمقدمة ابن خلدون المشهورة التي تضمنت نظريته في التاريخ ، على أنه فرع من الفلسفة ، وأنه لابد من تحليل الحوادث التاريخية ؛ وذلك بدراسة طبائع البشر والعمران وأنظمة الحكم والسلطان ، واستقصاء عللها وأسبابها لفهم التاريخ واستخلاص العبر منه .

فقد أفاد هذا الجزء الباحث بمعلومات قيمة من خلال استعراضه لأحوال الأمم عامة والطبيعة البشرية .

وتناول في الأجزاء الستة التالية أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ومن عاصرهم من الدول المشاهير منذ بدء الخليقة إلى عصره ، ثم أخبار البربر وأجيالهم ، وما كان بديار المغرب خاصة والمشرق عامة من الملوك والدول ، والجزء الثامن خصصه لفهارس عامة .

١٤ـ البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر :

لأبي محمد مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي الجنابي ت ٩٩٩هـ/١٥٩٠م ، مخطوط ميكروفيلم بمكتبة الحرم المكي الشريف يقع في جزئين كل جزء في ٤٩٩ ورقة ، يتضمن مقدمة و ٨٦ باباً . وهو مصدر تاريخي مهم يبدأه بمقدمته التي ذكر فيها معنى النبوة والرسالة ، ثم ذكر أول ما خلق الله تعالى ، فذكر فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ماراً بالعصور المختلفة ، ثم يذكر فيما بعد تاريخ الأمم والملوك حتى يصل إلى التاريخ النبوي الإسلامي ، حتى يختتم تاريخه بذكر آل حيدر الإسماعيلي . (١)

وقد أفاد الجزء الثاني منه الباحث فيما يتعلق بالدولة العباسية والعلويين وبني طاهر .

١٥ـ معجم البلدان :

لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م . وكتابه من المصادر الهامة التي لا تخفى على

---

١ ـ نسبه إلى حيدر الصوفي الإدريسي ، وهم ملوك العجم ، فأول ملوكهم جنيد بن الشيخ إبراهيم بن خواجه علي بن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين بن جبرائيل ، قيل كان جبرائيل من العلوية الحسينية الإسماعلية ، بدأت عام ٩٠٥هـ/١٤٩٩م وانتهت عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م بانتصار الروم على العجم ودخول دولة آل حيدر في حكم الممالك العثمانية . للاستزادة انظر مصطفى بن حسن الجنابي : البحر الزاخر فى أحوال الأوائل والأواخر ، جـ٢/ق ٢٧٢ ـ ٢٧٤ ، تاريخ ، نسخ عادي ، مكتبة الحرم الشريف ، مكة المكرمة ، رقم ٢٢١٧ ، نسخة على ميكروفيلم .

أي باحث أو مطلع على كتب الجغرافيا في الحديث عن البلدان والمدن والأنهار والجبال . ويقع في خمسة مجلدات ، وقد أفاد الباحث منه كثيراً في تحديد أسماء ومواقع المدن والأنهار والقصور .

١٦ـ لسان العرب :

لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي المصري المعروف بابن منظور ، ولد ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ـ ت ٧١١هـ/١٣١١م . فكتابه يعد من أمهات كتب اللغة ، فقد وصفه الناشر في مقدمة الكتاب بقوله : « **وقد جمع في كتابه هذا الصحاح للجوهري وحاشيته لابن بري ، والتهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والجمهرة لابن دريد ، والنهاية لابن الأثير ، وغير ذلك . فهو يغني عن سائر كتب اللغة ، إذ هي بجملتها لم تبلغ منها ما بلغه** » . ‹١›

فهو يقع في خمسة عشر مجلداً وأسلوبه كما ذكر ابن منظور هو أسلوب الجوهري في الصحاح في الأبواب والفصول ؛ إلا أن كتابه كان أدق وأشمل وأسهل وأوضح للباحث ، كما زوده بالأخبار والآثار والآيات القرآنية والأشعار والأمثال . ‹٢› وقد أفاد منه الباحث في تفسير معاني الكلمات الغامضة والمبهمة .

١٧ـ مؤلفات الجاحظ :

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت ٢٢٥هـ/٨٦٨م . وهي : البيان والتبيين ، والحيوان والبخلاء ، والتاج في أخلاق الملوك والمحاسن والأضداد ورسائله ، وهي من أمهات كتب الأدب ومصادره الهامة ، وقد أفادت كتبه الباحث في الحصول على بعض المعلومات وخاصة الاجتماعية من خلال أخباره وأحاديثه في كتبه في ثنايا السطور .

---

١ ـ ابن منظور : لسان العرب ، ١/٦ .

٢ ـ المصدر السابق ، ١/٧ ـ ٨ .

١٨ـ العقد الفريد :

للفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م . كتابه من أمهـات المصـادر الأدبيـة ويقـع فـي ثمـانيـة مـجلـدات والمجلد التـاسـع فهـارس عامة .

١٩ـ مؤلفات الأصفهاني :

لأبي الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م . له مؤلفات عدة منها : الأغاني ومقاتـل الطالبيـين . أما كتابـه الأغانـي فهو يقـع فـي عشريـن جـزءاً وقـد وصف بأنه « **منجـم من مناجـم المعلومات للحضارة العربية الإسلامية والفكر الأدبي** » . [١]

كما يمد البـاحث بمعلومات يستنبطها من خلال عباراته الموجودة خلال السطور . كمـا أن كتابه مقاتل الطالبيين يفيد الباحث في الترجمة لبعض الشخصيات العلوية .

٢٠ـ مؤلفات الثعالبي :

لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبـي النيسابوري ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م . من مؤلفاته : تحفة الوزراء ولطائف المعارف . فـهما من كتب الأدب والمصادر التي قدمت معلومات جيدة أفادت البـاحث ، وخـاصة فيما يتعلق بالناحية الاجتماعية في العصر العباسي .

٢١ـ نهاية الأرب في فنون الأدب :

لشهـاب الديـن أحمـد بـن عبدالوهـاب النويـري ، ولد ٦٧٧هـ/١٢٧٨م ـ ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م . وهو كتاب أدبي هام ويحتوي على معلومات تاريخية هامة ويمـد البـاحث بالمعلومـات الخـاصـة بالدولة العبـاسـيـة خـاصـة الجزء الثـاني

---

١ ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ٢/٥٥ .

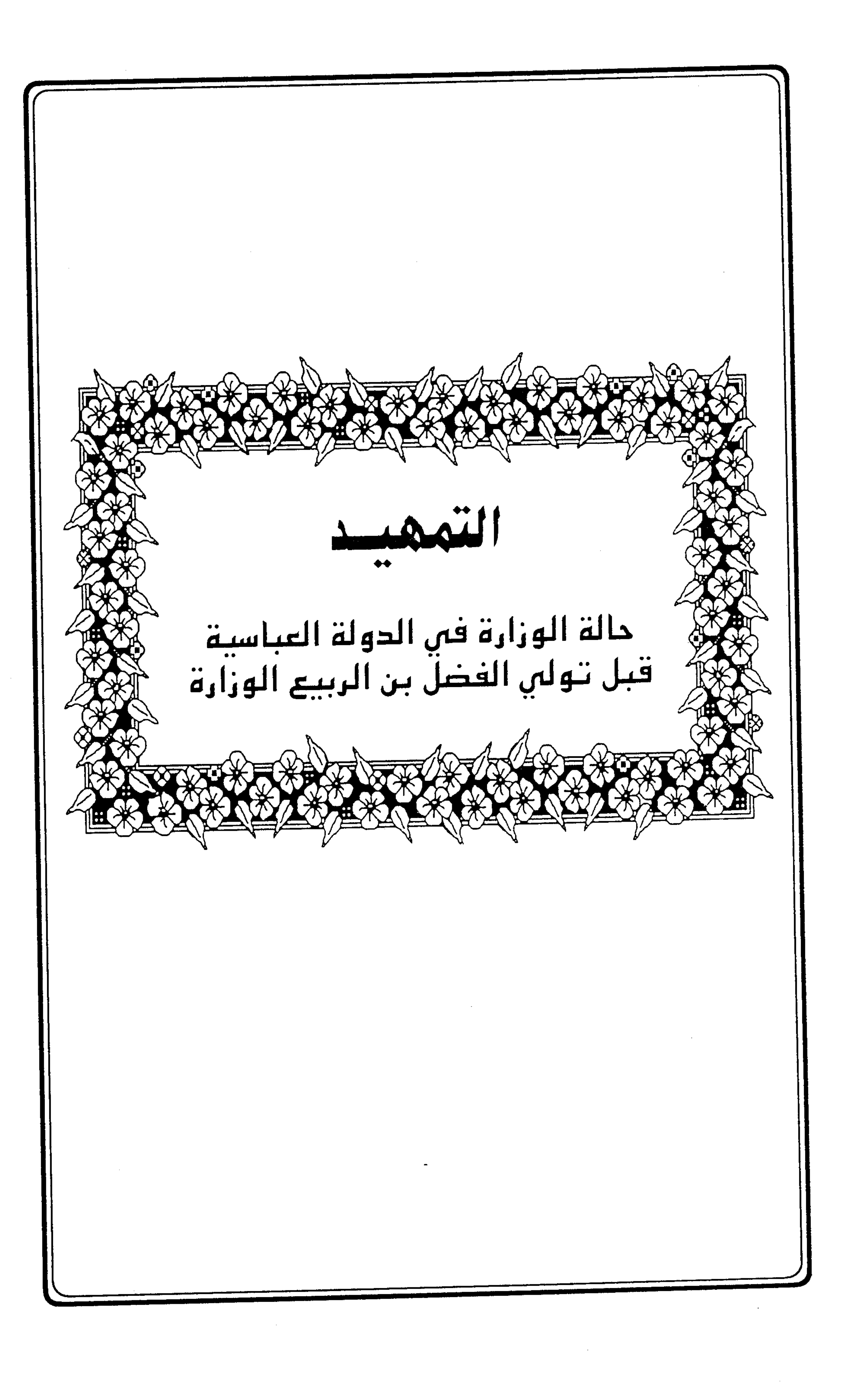
والعشرون قد اتبع المؤلف في كتابه منهج الحوليات بذكر الأحداث حسب الأعوام مجملاً ثم يعود إلى تفصيل أهم أحداث تلك السنة ، بذكر الحدث مفصلاً بدون تجزئة .

كما أن هناك كتباً أخرى ساهمت في تقديم المادة العلمية لبحثي هذا وإنما أشرت هنا إلى أهم تلك المصادر ؛ فهناك كتب أخرى منها ما هو مصدر قديم أو مرجع حديث عربي أو أجنبي مترجم أو دورية كان لها دور فعال في تقديم المادة العلمية التي أعرضها على اللجنة الموقرة والتي تعكس وجهات نظر المؤرخين .

ولا يفوتني في هذا البحث أن أقدم خالص شكري وتقديري لسعادة الدكتور فواز بن علي الدهاس لما بذله من جهود جبارة في سبيل إنجاح هذا العمل المتواضع ، وما قدمه لي من نصح وتوجيه ؛ فلم يبخل علي بوقته وجهده ومكتبته جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، كما أخص بشكري وتقديري كل من ساعدني في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود داعية الله له بالخير والثواب ، من حضر منهم ومن كان غائباً وأسجل شكري الخاص للأستاذ الدكتور محمد محمد شتا زيتون الذي بدأ المشوار معي ؛ كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى موظفي مكتبة الحرم المكي الشريف ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة جامعة أم القرى ، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز ، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ؛ على التعاون الذي لمسته منهم طوال فترة البحث مما ساعدني على إنجازه ، كما أتوجه بالشكر والعرفان لوالدي وزوجي وأخوتي وأخواتي لما بذلوه معي ، وأسأل الله العون والتوفيق ، وأن يجعل ما عملته خالصاً لوجهه تعالى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديهم إلى يوم الدين .

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

الباحثة



التمهيد

حالة الوزارة في الدولة العباسية
قبل تولي الفضل بن الربيع الوزارة

حالة الوزارة في الدولة العباسية قبل تولي الفضل بن الربيع الوزارة

لقد برز اسم أسرة البرامكة الفارسية الأصل في الدولة العباسية منذ بداية الدولة ، فقد تولى فيها خالد البرمكي [١] الوزارة في عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح (١٣٢هـ ـ ١٣٦هـ/٧٤٩م ـ ٧٥٣م) وإن لم يتسم باسم الوزير ، فقد كان كاتباً يتولى ديوان الخراج وديوان الجند [٢] ، وظل كاتباً للمنصور (١٣٦هـ ـ ١٥٨هـ/٧٥٣م ـ ٧٧٤م) على دواوينه ، ثم ولاه المنصور طبرستان والموصل وأذربيجان [٣] وولى ابنه يحيى [٤] على إرمينية . [٥]

---

١ ـ خالد بن برمك الوزير الكبير أبوالعباس الفارسي ، جد الوزير جعفر بن يحيى البرمكي ، كان أبوه برمك مويدان بمعبد النار (رئيس المعبد) ومعمر بيت النار ، وكان برمك بن برمك مجوسياً قدم على هشام بن عبدالملك فاسلم على يده ، وسماه عبدالعزيز ، كان أبوه الأكبر ملكاً من ملوك الفرس ، وزر للسفاح ثم للمنصور مدة سنة وأشهر ، مات ١٦٥هـ/٧٨١م وعمره (٧٥) عاماً . انظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢٢٨/٧ ـ ٢٢٩ ، تحقيق : علي أبوزيد ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م ؛ المصدر السابق ، ٩١/٩ ، تحقيق : كامل الخراط ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ؛ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ١ / ق ٣٧٩ .

٢ ـ أبوزيد أحمد بن سهل البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٤/٦ ، بغداد ، مكتبة المثنى : ١٣٣٦هـ/١٩١٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٥٦ ؛ مصطفى علي مصطفى : هارون الرشيد ، ٢٠٤ ، مصر ، جامعة الأزهر : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٣ ـ طبرستان : هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الإقليم .
الموصل : مدينة مشهورة وهي باب العراق ومفتاح خراسان .
أذربيجان : إقليم واسع مشهور ومن أشهر مدنه تبريز . انظر على التوالي شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١٣/٤ ، ٢٢٣/٥ ، ١٢٨/١ ، بيروت ، دار صادر .

٤ ـ يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي الوزير الكبير أبو علي الفارسي ربى الرشيد بأمر المهدي ، مات في سجنه بالرقة ١٩٠هـ/٨٠٦م ، وله ٧٠ عاماً ، كان أبوه أحد الأعيان . انظر ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ١٩٨ ـ ١٩٩ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ٨٩/٩ ـ ٩١ .

٥ ـ إرمينية : اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ١٦٠/١ ؛ محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٥/٥ ـ ٢٦ ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب العربي : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

وفي عهد المهدي (١٥٨هـ ـ ١٦٩هـ/٧٧٤م ـ ٧٨٥م) وجه المهدي خالداً مع الرشيد لحرب الروم ، أما يحيى بن خالد ، فقد تولى الإشراف على الرشيد فأحسن تربيته ، وظل يحيى ملازماً له حتى في حروبه ، فخرج معه في الصائفة لغزو البيزنطيين كاتباً للعسكر ونفقاته ، ونائباً عنه [١] ، كما ولاه المهدي الإشراف على الدواوين وعلى رسائل الرشيد حينما ولى الرشيد على المغرب وأذربيجان وإرمينية . [٢]

وأوكل الهادي (١٦٩هـ ـ ١٧٠هـ/٧٨٥م ـ ٧٨٦م) أمر الرشيد إلى يحيى ابن خالد وأمره بملازمته والقيام بأموره [٣] . وعندما أراد الهادي خلع الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر ، أشار عليه يحيى بن خالد بعدم النقض لأن ذلك يجرىء الناس على نكث العهود والأيمان ، وسجن يحيى فترة من الزمن في سبيل الدفاع عن حق الرشيد في ولاية العهد .

وقد أراد الهادي قتل يحيى إلا أنه مات في الليلة التي أراد فيها قتله [٤] وبوفاته انتقلت الخلافة إلى الرشيد (١٧٠هـ ـ ١٩٣هـ/٧٨٦م ـ ٨٠٨م) وقد كان يحيى ابن خالد كتب للعمال بولايته . [٥]

وقد اعترف الرشيد بجهود يحيى فقال له بعد توليه الخلافة : « **يا أبت أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من**

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ١٤٦/٨ ـ ١٤٧ ؛ عبدالرحمن بن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ٢٨٠/٣ ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ١٤٨/٨ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٢٠٧/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٧٧/٥ .

٤ ـ أبوعبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ١٦٩ ـ ١٧٠ ، ١٧٤ ـ ١٧٥ ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبدالحفيظ شلبي ، ط١ ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبي : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ؛ أبوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٣٤٢/٣ ـ ٣٤٥ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٥ ، بيروت ، دار الفكر : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ؛ محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٧٣ ، تحقيق : قاسم السامرائي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢١٢/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٧٨/٥ .

عنقي إليك ، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت ، وأعزل من رأيت ، وأفرض من رأيت ، وأسقط من رأيت ، فإنني غير ناظر معك في شيء » . [١]

ودفع إليه خاتمه [٢] ، وبذلك اجتمعت ليحيى بن خالد الوزارتان « **وزارة التنفيذ ووزارة التفويض** » . [٣]

وقد كان يحيى بن خالد أول من أمر من الوزراء [٤] ، فأصبح له سلطات واسعة في الدولة يصرف الأمور كما يشاء دون الرجوع إلى الخليفة . ولقد وصفه ابن الطقطقي بقوله : « **فنهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض ، وسد الثغور ، وتدارك الخلل ، وجبى الأموال ، وعمر الأطراف ، وأظهر رونق الخلافة ، وتصدى لمهمات المملكة ، وكان كاتباً بليغاً لبيباً أديباً سديداً ، صائب الآراء ، حسن التدبير ، ضابطاً لما تحت يده ، قوياً على الأمور ، جواداً يباري الريح كرماً وجوداً ، ممدحاً بكل لسان ، حليماً عفيفاً ، وقوراً ، مهيباً** . »[٥] . ولم يكن يحيى هو الوحيد الذي بيده السلطة بل شاركته في السلطة الخيزران [٦] أم الهادي والرشيد ، فقد كانت لها سلطة واسعة أيام الهادي ، ثم حُدتْ بعد ذلك بأمره [٧] ، وعادت إليها السلطة مرة أخرى بتولي الرشيد الخلافة ، لأنه كان يحب الخيزران حباً جماً ، لذلك ترك لها الكثير من النفوذ والسلطة فكانت « **هي الناظرة في الأمور ، وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها** » . [٨]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ١٧٧ ؛ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/١٦٠ ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي : ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٣٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/٨٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٤٨ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٢٣٥ .

٤ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ١٧٧ .

٥ ـ الفخري ، ١٩٨ .

٦ ـ الخيزران : زوجة المهدي وأم ولده كانت جرشية ولدت للمهدي الهادي والرشيد توفيت ١٧٣هـ/٧٨٩م ، انظر أبا بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . ١٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

٧ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ٣/٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

٨ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٢٣٤ ؛ صلاح الدين محمد بن أحمد بن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، حوادث ١٣٢هـ ـ ١٨٠هـ/٧٤٩م ـ ٧٩٥م/ق ٤٩٤ ، تاريخ ، نسخ عادي عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، مكتبة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، رقم ٩٩١ ، تصوير عن صورة .

وبوفاتها ١٧٣هـ/٧٨٩م <١> ، استقل يحيى بالسلطة والأمر فأصبح يصدر ويورد عن رأيه واستبد بأمور الدولة . <٢>

وقد كان ليحيى أربعة أولاد هم : الفضل <٣> وجعفر <٤> وموسى <٥> ومحمد فشارك الأبناء أباهم في السلطة ، فقد كان الفضل بن يحيى أكبر أولاده رضع مع الرشيد ، وكان يناديه بأخي <٦> ، وكان الفضل ينوب عن أبيه في جميع الأمور فهو اليد اليمنى له ، وإليه أسند الرشيد أمر تربية ابنه الأمين <٧> . ولعب الفضل بن يحيى دوراً كبيراً في البيعة للأمين ، إذ أعلن في الولايات الشرقية البيعة بولاية العهد له <٨> ، ولعله كان ذلك بإشارة الرشيد . <٩>

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٣٨/٨ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٤٣٢/١٤ .

٢ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٨٠/٣ .

٣ ـ الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ولي إمرة خراسان وعمل الوزارة ، كان أسخى من جعفر ، كان يضرب به المثل في التيه والكبر ، ضرب مائتي سوط لما قبض على البرامكة ، ولد ١٤٧هـ/٧٥٥م وتوفي ١٩٣هـ/٨٠٨م وقيل ١٩٢هـ/٨٠٧م قبل الرشيد بأشهر . انظر : حمزة بن الحسن الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ١٧٠ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٩٧/٣ ـ ٢٠٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩١/٩ ـ ٩٢ .

٤ ـ جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي يكنى بأبي الفضل ، كان ذو منزلة عظيمة لدى الرشيد لم يبلغها أحد مثله . ولكن الرشيد غضب عليه في آخر أمره فقتله ونكب البرامكة لأجله ، قتل ١٨٧هـ/٨٠٢م ، كان يلقب بالوزير الصغير . انظر البغدادي : المصدر السابق ، ١٥٢/٧ ـ ١٦٠ ؛ ابن الطقطقى : الفخرى، ٢٠٥ ـ ٢١٠ .

٥ ـ موسى بن يحيى بن خالد البرمكي كان أمير السند وهو من رجال الدولة العباسية ، تولى إمرة السند بأمر المأمون ٢١٦هـ/٨٣١م حسنت سيرته ومات ٢٢١هـ/٨٣٦م . انظر أبا الحسن البلاذري : فتوح البلدان ، ٤٣٢ ، تعليق : رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ؛ خير الدين الزركلي : الأعلام ، ٣٣١/٧ ، ط٧ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٦ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٩٧/٣ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ٩١/٩ ؛ أحمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ٨٤ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . ذكر أن الذي كان الرشيد يناديه بيا أخي هو جعفر .

٧ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٣١/٤ .

٨ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٤٢/٨ ـ ٢٤٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٨٠/٣ .

٩ ـ عبدالجبار الجومرد : هارون الرشيد ، ١٦٨/١ ، بيروت ، المكتبة العمومية ، ١٩٥٦م / ١٣٧٦هـ .

وفي ١٧٦هـ/٧٩٢م بعث الرشيد الفضل بن يحيى إلى بلاد الديلم <١> لمحاربة يحيى بن عبدالله <٢> العلوي <٣> ، وفي ١٧٨هـ/٧٩٤م ، ولاه الرشيد على خراسان والري وسجستان <٤> ، فنشر الأمن ووطد البلاد وأحسن معاملة أهلها وبنى المساجد والرباطات <٥> ، ومنحه الرشيد الخاتم في بادىء الأمر ، وبذلك أصبح المشرق كله له . <٦>

أما أخوه جعفر بن يحيى فقد اشتهر بالفصاحة والبلاغة والفطنة والحلم والكرم ، وكان الرشيد يحبه ويؤثره على أخيه الفضل ويأنس به <٧> ، فقد منحه الرشيد الخاتم <٨> بعد أن أخذه من أخيه الفضل بن يحيى <٩> . ثم ولاه الرشيد في ١٧٦هـ/٧٩٢م ولاية مصر <١٠> ، وفي ١٨٠هـ/٧٩٦م عقد له ولاية الشام ،

١ ـ الديلم : اسم ماء لبني عبس . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٤٤/٢ .

٢ ـ يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، من كبار الطالبيين الذين ثاروا أيام الهادي والرشيد ، أعلن دعوته ببلاد الديلم ، وقبض عليه الرشيد ومات في حبسه . انظر البغدادي : تاريخ بغداد ، ١١٠/١٤ ـ ١١٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٥٤/٨ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٤٠/٨ ؛ مجهول : العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، ٢٩٢ ، بغداد ، مكتبة المثنى .

٤ ـ خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار وآخرها طخارستان .
الري : مدينة مشهورة كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي محط الحجاج .
سجستان : اسم للناحية ومدينتها زرنج وتقع جنوبي هراة . انظر على التوالي ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣٥٠/٢ ، ١١٦/٣ ، ١٩٠/٣ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٥٧/٨ ـ ٢٦٠ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٩٩/٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٢/١٠ ـ ١٧٣ .

٦ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٢٩/٤ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٥ .

٧ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٥ ؛ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ٢٠٥ .

٨ ـ الخاتم اسم لآلة يوضع على الطينة يختم به الرسائل والصكوك وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية ، ومعروف للملوك قبل الإسلام وبعده . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١٦٣/١٢ ؛ عبدالرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٣٢٢/١ ـ ٣٢٦ ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٩ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٠٧ ؛ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ١٨٦ .

١٠ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٥٢/٨ ـ ٢٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩١/٥ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ، ١٣٢هـ ـ ١٨٠هـ/٧٤٩ ـ ٧٩٥م /ق ٥٦٠ .

فأخمد الفتن والثورات المشتعلة بها [١] . وولي على خراسان وكانت ولايته بها قصيرة [٢] ، ثم عزله الرشيد عن خراسان وولى عليها عيسى بن جعفر وعين جعفر بن يحيى رئيساً للحرس . [٣]

ثم عينه الرشيد مستشاراً له ليبقى في بغداد بجوار الخليفة [٤] . كما أسند إليه أمر النظر في المظالم [٥] وإدارة البريد ودور الضرب للإشراف على السكة والطراز [٦] في جميع البلدان [٧] . وهذه المهام هي من مهام الخليفة ، ثم عهد إليه الرشيد بأمر تربية ابنه المأمون ، وقد أشار عليه بأخذ البيعة له بولاية العهد بعد أخيه الأمين ، كما أشار عليه بكتابة العهد في الحج وتعليقه بجوف الكعبة . [٨]

وقد بلغت سلطة جعفر بن يحيى أن السكة أصبحت يضرب عليها اسم الوزير جعفر إلى جانب اسم الخليفة ، فقد ذكر أنه عثر على نقود ضرب عليها اسم الوزير جعفر بجانب اسم الخليفة . [٩]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٦٦/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٥/١٠ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٢٦/٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٨٠/٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦٦/٨ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ، ١٣٢ ـ ١٨٠هـ/٧٤٩ ـ ٧٩٥م/ق ٥٨٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ١٧٥/١٠ .

٤ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٤ .

٥ ـ المصدر السابق ، ٢٠٤ .

٦ ـ السكة : هي الدراهم المنقوشة وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتطبع الرسوم مستقيمة ظاهرة .

الطراز : وهو ما ينسج من الثياب للسلطان وهو من أبهة الملك والسلطان وترسم اسماؤهم أو علامات تخصهم في أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الإبريسم . انظر على التوالي ابن منظور : لسان العرب ، ٤٤٠/١٠ ، ٣٦٨/٥ ؛ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٣٢٢/١ ـ ٣٢٦ ، ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

٧ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٠٤ .

٨ ـ المصدر السابق ، ٢١١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٣٦٤/٣ .

٩ ـ شاكر مصطفى : « دراسة في مفهوم الوزارة ونشأتها لدى المؤرخين وفي الواقع التاريخي » ، ٩٤ ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ع١ ـ ع١٥ ، يونيو ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ـ يونيو ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

وبلغت الصلة بين جعفر بن يحيى والرشيد أن صار يتدخل في جميع شئونه ولا يفارقه ليلاً أو نهاراً حتى أنزله قصر الخلد على مقربة من قصره . (١)

وعندئذ تخوف يحيى على جعفر من تلك الصلة وقال للرشيد : « **يا أمير المؤمنين أنا والله أكره مداخلة جعفر معك ، ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك على منك ، فلو أعفيته واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم أعمالك ، كان ذلك واقعاً بموافقتي ، وآمن لك على ، قال الرشيد : يا أبت ؛ ليس بك هذا ؛ ولكنك إنما تريد أن تقدم عليه الفضل** » . (٢)

وكان يطلق على الفضل وجعفر ابني يحيى بالوزيرين الصغيرين (٣) . لوجود أبيهما الوزير الذي وصف بأنه « **أول من أمر من الوزراء** » . (٤)

كما أمر الرشيد جعفر بن يحيى بإعادة الخاتم إلى يحيى بن خالد ١٨٠هـ/٧٩٦ . (٥)

أما موسى بن يحيى فقد كان شديد البأس كامل السر قائداً محنكاً ، ولاه الرشيد على بلاد الشام ١٧٦هـ/٧٩٢م فاستطاع أن يخمد الفتن والثورات ، وأن يصلح أمورها ، ولكن ما لبث أن وشى به علي بن عيسى والي خراسان فحبسه الرشيد ثم عفا عنه وخلع عليه . (٦)

أما محمد بن يحيى فقد كان بعيد الهمة ولم يكن له من الشهرة ما كان لأخوته . (٧)

---

١ ــ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨١ ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر : ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ١٨٩ .

٢ ــ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٩٣/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٢٥ .

٣ ــ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٥ .

٤ ــ الجهشياري : المصدر السابق ، ١٧٧ .

٥ ــ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦٥/٨ .

٦ ــ المصدر السابق ، ٢٥١/٨ ــ ٢٥٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٦٨/١٠.

٧ ــ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٢٠/٦ ؛ عبدالقادر بن عمر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ٢٣٢/٣ ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، ط٢ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

وبذلك سيطر البرامكة على الخلافة في عهد الرشيد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، بعد أن قسمت إلى منطقتي نفوذ شرقية وغربية ، على الفضل وجعفر ابني يحيى ، وظل يحيى يحكم في العراق ؛ فكان له الدواوين [١] والخاتم وقويت سلطته بها حتى أنه أصبح يختار بنفسه معاونيه في الإدارة ، ويسيطر على كتاب الدواوين ويراقب أعمالهم . [٢]

كما نتج عن ذلك اغتناء البرامكة ، لأنهم كانوا يشرفون على الخراج ، ولم يكن هناك نظام رقابة مالية من قبل الخليفة ، كما كان يغدق عليهم الخليفة الأموال ، فكان يعطي جعفراً أربعمائة ألف دينار ثمن خلعة له [٣] . فأصبح لديهم قصور لا تقل أبهة وجمالاً وفخامة عن قصور الخليفة [٤] ، كما أصبحوا يملكون الخدم والموالي ، ولديهم الأتباع والأعوان والجيش ، إذ تحدثنا المصادر التاريخية أن الفضل بن يحيى قد استطاع أن يكون جيشاً عدته خمسمائة ألف رجل أطلق عليهم اسم العباسية ، ثم أقدم منهم عشرون ألف رجل إلى بغداد عرفوا بالكرنبية . [٥]

---

١ ـ الديوان : كلمة فارسية معربة ، وهي مجتمع الصحف ، وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وقيل إنه الموضوع الذي يحفظ فيه كل ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ، وقيل إنه يطلق على جريدة الحساب ثم أطلق على الحساب ثم أطلق على الموضع الذي يجري فيه الحساب ، وقيل سبب تسميته أن كسرى أطلقه على المحاسبين فأطلق على موضعهم ، وقيل إنها تعني الشياطين ، وأطلق عليهم لحذق من يعمل به بالحساب والأمور جميعها، فأطلق على المكان الذي يجلسون فيه ، وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . للمزيد انظر أبا علي المحسن بن علي التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ٢٢٠/١ ، تحقيق : عبود الشالجي ، ط١ ، بيروت ، دار صادر : ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ١٧٢؛ ابن منظور : لسان العرب ، ١٦٦/١٣ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٣/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ١٧٨ .

٣ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٠ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩١/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ١٨٩.

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٥٧/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٢/١٠ .

وأصبحوا يديرون مجالس للشعر والأدب والعلم والغناء ، وأغدقوا الأموال والهبات والعطايا على الشعراء والأدباء والعلماء ؛ مما جعلهم قبلة تتجه إليها جميع الأنظار ، فأحبوهم ومدحوهم وكثر التغني بهم ، وأصبح لهم مكانة كبيرة في نفوس الشعب ، ولجأ إليهم كل من لديه مشكلة ، مما لفت نظر الخليفة إلى ذلك وأغضبه ‹١› ، وهذا « مالا تحتمله نفوس الملوك » . ‹٢›

لقد أثار استبداد البرامكة بالوزارة شكوك الخليفة ومخاوفه على منصبه ‹٣› . ويروي بعض المؤرخين ما يدلل مخاوف الرشيد على دولته فيروى عن بختيشوع الطبيب ‹٤› أنه قال : « دخلت يوماً على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة .

قال بختيشوع ، فنظر الرشيد ، فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد ، فقال الرشيد : جزى الله يحيى خيراً تصدى للأمور وأراحني من الكد ووفر أوقاتي على اللذة ، ثم دخلت إليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم ، فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة . فقال : استبد يحيى بالأمور دوني فالخلافة على الحقيقة له وليس لى منها إلا اسمها . قال بختيشوع : فعلمت أنه سينكبهم . ثم نكبهم عقيب ذلك » . ‹٥›

---

١ ــ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٥٣/٧ ــ ١٦٠ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٩٨ ــ ٢١٠ .

٢ ــ المصدر السابق ، ٢٠٩ .

٣ ــ رزق الله منقريوس الصدقي : تاريخ دول الإسلام ، ١٠١/١ ، مصر ، مطبعة الهلال ، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ؛ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، تعريب : عفيف البعلبكي ، ط١ ، بيروت . دار العلم للملايين : ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٤ ــ بختيشوع : معناها عبدالمسيح ، وكان بختيشوع يلحق أبيه جورجيس في صناعة الطب ومعرفة المداوة وأنواع العلاج ، خدم الرشيد ويسمى بختيشوع بن جورجيس بن جبرائيل ، خلع عليه الرشيد ولقبه برئيس الأطباء ، كان له ابن طبيب أيضاً . انظر سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ٦٣ ــ ٦٤ ، تحقيق : فؤاد سيد ، بغداد ، مكتبة المثنى ، مطبعة العهد العلمي الفرنسي : ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، ذكر ذلك لابنه جبرائيل ؛ أبا العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ابن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ١٢٣/١ ــ ١٢٧ ، تصحيح ونقل : امرؤ القيس بن الصمان ، ط١ ، المطبعة الوهبية : ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م .

٥ ــ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ٢٠٨ .

ولقد استمر تدبير البرامكة للأمور مدة ست عشرة سنة من ١٧٠هـ/٧٨٦م إلى أن نكبوا في أوائل ١٨٧هـ/٨٠٢م بعد رجوعه من الحج [١] إلا أنه اختلفت بعض المصادر والمراجع حول تاريخ نكبة البرامكة ولكن الراجح أنهم نكبوا ١٨٧هـ/٨٠٢م لأنه باعتبار البرامكة قد تولوا أمور الوزارة مدة ستة عشر عاماً وقد بدأوا من ١٧٠هـ/٧٨٦م . وإن كان أمرهم قد بدأ بالزوال وبدأت العلاقات تتوتر بينهم وبين الخليفة من بداية النصف الثاني لفترة وزارة البرامكة ، فقد عزل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن الحجابة ١٧٩هـ/٧٩٥م . وعين مكانه الفضل بن الربيع [٢] . كما عزل الفضل بن يحيى في ١٨٠هـ/٧٩٦م . عن طبرستان والرويان [٣] . وولى عليها عبدالله بن خازم ، وعزله عن الري وولى عليها محمد بن الحارث بن شخير [٤] . كما عزل جعفر بن يحيى عن مصر ١٧٧هـ/٧٩٣م وولى إسحاق بن سليمان عليها [٥] . وعزله أيضاً عن خراسان وولى عليها عيسى بن جعفر [٦] ، وفي ١٨٠هـ/٧٩٦م . استخلف الرشيد هرثمة بن

---

١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٢٢/٢ ، بيروت ، دار صادر ، بيروت : ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، ذكر أنهم نكبوا في صفر ١٨٨هـ/٨٠٣م ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/ ٢٩٤ ـ ٣٠٠ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٥ ؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ٣٧١/٢ ، ط١ ، مطبعة عثمان عبدالرازق : ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م . ذكر أنهم نكبوا ١٧٥هـ/٧٩١م وقال أيضاً أنهم نكبوا ١٨٧هـ/٨٠٢م . كارل بروكلمان : « الامبراطورية الإسلامية وانحلالها » ، ٢٠ ، تعريب : نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط٢ ؛ بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٥٤م / ١٣٧٤هـ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦١/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٣ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٠ ؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ٥٠٢/٢ ، تحقيق : إكرام ضياء العمري ، ط١ ، العراق ، مطبعة الآداب في النجف والإشراف : ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

٣ ـ رويان : مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة وهي أكبر مدينة في الجبال . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١٠٤/٣ ـ ١٠٥

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦٦/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٠٣/٥ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٥٥/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٩٦/٥ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦٦/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٢٨ . ذكر أن والي خراسان هو الفضل بن سهل ، وأن الرشيد عزله وعين مكانه علي بن عيسى وبينما اجتمعت معظم المصادر على أن جعفر عزل عنها وعين مكانه عيسى بن جعفر ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٠٣/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٥/١٠ .

أعـين على الحرس [١] . وفي ١٨١هـ/٧٩٧م بعد رجوعه من الحج أخذ الخاتم من يحيى بن خالد [٢] . وفي ١٨٧هـ/٨٠٢م . أطلق الرشيد موسى بن يحيى من حبسه لوشاية علي بن عيسى بن ماهان [٣] ، بعد أن توسط له والداه . [٤]

من العرض السابق يتضح أن سلطات البرامكة التي كانت واسعة أخذت في التقلص ، وأن سلطاتهم كانت تواجهها حركة المد والجزر في النصف الثاني من عـهـدهـم الوزاري إلـى أن انتـهى الأمـر بنكبـتـهم ١٨٧هـ/٨٠٢م . وذلك لعظم سلطانهم واستيلائهـم على الدولـة وكـثرة السعايـة فيهم وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم . [٥]

هذا التصرف إشارة واضحـة إلى أنه كـان يحاول سـحب السلطات التي كانت بيد يحيى خاصة في النصف الثاني من وزارة البرامكة ، وليس كما يدعي بعض المؤرخين أن الرشيد لا يدري شيئاً من أمور دنياه غير ما يعرضه عليه البرامكة ، وأنه خاضع لإرادتهم [٦] ، بل كان على علم ولذلك حاول أخذ ما بأيديهم بالتدريج حتى انتهى الأمر بنكبتهم .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٦٦/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٠٧ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٦٨/٨ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٠٣/٢ ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة : ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٥٠٢/٢ .

٣ ـ علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عهد الرشيد والأمين ، تولى قيادة جيوش الأمين في حربه ضد أخيه وقتل ١٩٥هـ/٨١٠م وهزم جيشه للاستزادة . انظر الطبري : المصدر السابق ، ٢٧٠/٨ ، ٢٧٥ ، ٣١٤ ـ ٣١٧ ، ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ـ ٤١١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٤/٥ ـ ١٤٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٣١٧/٤ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩٣/٨ .

٥ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٨٠/٣ .

٦ ـ أحمد أمين بك : هارون الرشيد ، ١٢٢ ، القاهرة ، دار الهلال ؛ علي حبيبة : العباسيون في التاريخ ، ٢٣٥ ، القاهرة ، مكتبة الشباب : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ولقد اختلف المؤرخون في أسباب النكبة [١] ، غير أن استقراء المصادر التاريخية التي تناولت أسباب نكبة البرامكة يفرز العديد من الأسباب والتي منها :

١ ـ ما قيل من أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته العباسة بنت المهدي ، وكان يحضرهما إذا جلس للشراب ، فطلب من جعفر أن يزوجه إياها ليحل له الجلوس معهما على أن لا يقربها . فكانا يحضران المجلس ويشربان ثم يجتمعان إلى أن أنجبت له ابناً وأخفت ذلك عن الرشيد ، فلما وصل الخبر للرشيد وتأكد له أمر بقتل جعفر . [٢]

وفي رواية أخرى قيل إنه عرض على جعفر أن يزوجه أخته ليحل لهما الاجتماع في مكان واحد على أن لا يقربها ، فكانا يجتمعان دون أن ينظر إليها تنفيذاً لأوامر الرشيد ، ولكن العباسة هي التي أرسلت إليه ، ولكنه رفض إلى أن استطاعت أن تصل إليه عن طريق أمه ، فمنهم من يذكر أنها جعلت أمه تدخلها عليه بالاستعطاف والهدايا [٣] ، ومنهم من يقول إنها هددتها إذا لم تخضع لطلبها [٤] . وفي النهاية وافقت أم جعفر على تقديمها له ولكنها تنتظر الفرصة المناسبة له .

وذكر أنه كان من عادة جعفر أن تدخل عليه أمه كل ليلة جمعة وصيفة بكراً ، فيشرب ثم يدخل عليها . وفي ذات ليلة هيأت العباسة لجعفر بعد أن شوقته أمه إلى هذه الجارية ؛ فشرب ثم أدخل عليها ، ولسكره ولأنه لم يرها طوال

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٨٧/٨ ـ ٢٩٤ ؛ عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ٢٨١/٣ ـ ٢٨٣ ، قطر ، المطبعة السلفية ؛ أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٢١١/٦ ـ ٣١٣ ، بيروت ، دار الآفاق ؛ شوقي أبوخليل : « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) ، (٢) » ، ٨١ ـ ٨٣ ، ٨٢ ـ ٨٤ ، المجلة العربية ، ع ٦١ ، ٦٢ ، س صفر ، ربيع الأول ١٤٠٣هـ/ ديسمبر ـ يناير ١٩٨٢م .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩٤/٨ ؛ عبدالرحمن الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ٤٦ ، تصحيح : مكي السيد هاشم ، ط١ ، بغداد ، مكتبة المثنى : ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ١٢٨/٢ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

٣ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣٨٥/٣ .

٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٣٣/١ .

اجتماعاته بها في مجالس الرشيد ؛ فإنه لم يعرفها . فلما انتهت تلك الليلة أخبرته العباسة بنفسها ، ففزع جعفر وعلم بنهاية أمره . وحملت العباسة منه ثم ولدت فوجهت بالطفل إلى مكة لتخفيه عن الرشيد ، فلما علم بأمرهما من زبيدة وقيل من إحدى الجواري [١] ، وتأكد له الخبر أضمر السوء للبرامكة . [٢]

ويرى بعض المؤرخين أن في الروايتين السابقتين التلفيق حول قصة العباسة وجعفر وذلك من خلال ما يأتي :

أ ـ ذكر أن الرشيد كان يشرب الخمر حتى يسكر ، بينما كان لا يشرب الخمر إنما كان يشرب نبيذ زمانه وهو نبيذ التمر على مذهب أهل العراق ، وهو ماء محلى ولا يسكر [٣] ، وهذا يتفق مع الرشيد ؛ فقد عرف عنه دينه وورعه حتى أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً ، وكان يحج ماشياً من العراق إلى مكة ، ويصلي مائة ركعة نافلة في كل ليلة ويوم ، ويتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته . [٤]

ب ـ تورد الرواية أن الرشيد كان يجلس مع نسائه وندمائه ، بينما المصادر لم تورد أي رواية أو خبر تذكر فيه أنه كان ينادم النساء عامة والعباسة خاصة . كما أن العباسة كانت أرملة حزينة ما تكاد تخرج من حزن وموت وترمل حتى تعود إليه مرة أخرى بوفاة أزواجها ، فكيف تفكر في حضور مجالس للسمر والأنس والمرح [٥] ، مما يؤكد تلفيق الرواية .

---

١ ـ ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ، ١٧٣ .

٢ ـ المصدر السابق : ١٧٢ ـ ١٧٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٢٨٤ ـ ٣٨٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١/٣٣٢ ـ ٣٣٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣/٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

٣ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ١/٢٥ .

٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٦١ ، ٣٤٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ، ١٣٢ ـ ١٨٠هـ/٧٤٩ ـ ٧٩٥م/ق ٤٩٨ .

٥ ـ فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ١١٧ ط١ ، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية » ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ؛ شوقي أبوخليل : آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) » ، ٨٣ ، المجلة العربية ؛ محمد الأباصيري خليفة : « الرشيد ونكبة البرامكة » ، ٤٣ ، مجلة الوعي الإسلامي ، ١٣٥٤ ، س ربيع الأول ١٣٩٦هـ / مارس ١٩٧٦م .

جـ ـ في الرواية الأولى ذكر أن جعفراً كان يقترب من العباسة بعد كل جلسة سكر ؛ فحملت منه وولدت غلاماً بعثته إلى مكة . بينما الرواية الثانية ذكر فيها أن العباسة هي التي دفعت بنفسها إليه كجارية ، لتثبت الرواية عفة جعفر ، وسوء أخلاق العباسة ⟨١⟩ ؛ مما يثبت أن الرواية من وضع الحاقدين على الرشيد وعلى الأسرة العباسية بهدف تشويه صورتها .

د ـ اختلاف الروايتين في كيفية الاجتماع ، والشخص الذي نقل الخبر للرشيد ؛ لأن كلاً منهما حرص على أن يجعل القصة صحيحة يتقبلها العقل دون أن يكون فيها تناقض ذاتي .

هـ ـ ذكر في الرواية الثانية أن جعفر اعتاد أن تهدي إليه أمه وصيفة بكراً في كل ليلة جمعة ، والعباسة ليست بكراً ، فقد كانت متزوجة بأمير البصرة والكوفة محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، ثم تزوجت بوالي مصر في عهد المهدي والرشيد إبراهيم ابن صالح بن عبدالله بن عباس ⟨٢⟩ ، فمات أيضاً . وقيل إنها تزوجت بأمير ثالث وقيل إنه عيسى ابن جعفر ، وقيل إنها خطبت له ولم تتزوجه ⟨٣⟩ ، فكيف تكون بكراً وهي قد تزوجت ثلاث مرات . كما أنها توفيت ١٨٢هـ/٧٩٨م أي قبيل نكبة البرامكة بعدة سنوات ⟨٤⟩ . وبالتحري والبحث في كتب التاريخ والتراجم من المصادر نجدها لم تورد أي ذكر للعباسة أو عن زواجها ، فبعض كتب التراجم ذكرت أن علية هي العباسة ، وإن كانت ترجمة العباسة تختلف عن ترجمة علية لأن علية اشتهرت بالغناء ⟨٥⟩ . وأما صاحب كتاب الأغاني فقد ترجم لعلية ولم يترجم للعباسة وأورد ذكر العباسة ⟨٦⟩ مما يثبت أن علية غير العباسة .

---

١ ـ شوقي أبوخليل : « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) » ، ٨٣ ، المجلة العربية ، ٨٣ .

٢ ـ أبوعمر محمد بن يوسف الكندي المصري : الولاة وكتاب القضاة ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، تصحيح : رفن كست ، مصر ، مؤسسة قرطبة .

٣ ـ الكتبى : عيون التواريخ ، ١٨٠ ـ ٢٠٣هـ/ ٧٩٥ ـ ٨٠٨م /ق٣٣ ؛ شوقي أبوخليل : « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) » ، ٨٣ ، المجلة العربية .

٤ ـ الكتبى : المصدر السابق ، ١٨٠ ـ ٢٠٣هـ/ ٧٩٥ ـ ٨٠٨م /ق٣٤ .

٥ ـ الزركلي : الأعلام ، ٢٦٨/٣ ، ٣٥/٥ .

٦ ـ الأصفهاني ، ٨٢/٩ ، ٧٩/١٥ ، بيروت ، دار صعب .

و ـ اختلاف الروايــات حول عــدد الأطفال الذين أنجبتهم العباسـة فمنهم من ذكــر أنهـا أنجبت ابناً واحـداً [١] ، ومنهم من ذكـر أنهـا أنجـبت توأمين [٢] . مما يؤكد عدم صحة الرواية . [٣]

ز ـ قيل إن العباسة كانت لا تفارق الرشيد ، ثم قيل إنها حملت وأخفت ذلك عنه إلى أن أنجبت وأرسلت ابنها إلى مكة ، فكيف تم لها ذلك فـي الوقـت الذي لابد من ظهور علامات الحمل ؛ وهي التي لم تفارقه يوماً . [٤]

ح ـ عدم تصـديق بعض المؤرخين القصـة لأنه يرى أن العبـاسـة بنت مـحـمـد المهدي بن عبدالله بن أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي ابن عبدالله ترجمان القرآن بن العباس عم النبي ﷺ وهي ابنة خليفة وأخت خليفة وهي على علو نسبها وقرب عهدها بالبداوة والعروبة وبساطة الدين وصـحـتـه ، فكيف تطلب هي وأخـوها الرشـيـد الزواج بمولى من مـوالي الدولة من العـجـم ، فلا يصدق ذلك أنه يحـدث من الرشـيـد وأخـتـه [٥] . وإن كان بعضـهم يعتبر القصـة ممكنة الحدوث وأنها لو حدثت لا تسـتحق غضب الرشـيـد عليهم ، لأنه شـيئ يمكن حدوثــه بين أي زوج وزوجته ، وأن الرشــيـد هــو الــذي ألف القصـة واخترعـها ليثير غضب الناس عليهم . [٦]

ولكن لو دقق النظر في كلامهم للوحظ كيف يخترع الرشيد قصة مثل هذه تضر بسمعته وسمعة أخته من أجل أن يكتفي بتشويه سمعة البرامكة وإثارة غضب الناس عليهم . كما أنه لو أن الرشيد هو الذي أشاعها كيف

---

١ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٤/٥ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

٢ ـ جمال الدين أبي الحسن علي بن أبي منصور ظافر بن غازي الحلبي الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٤٣ ، تحقيق : محمد الزهراني ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٣ ـ شوقي أبوخليل : « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) » ، ٨٣ ، المجلة العربية .

٤ ـ المرجع السابق ، ٨٣ .

٥ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٢٠/١ ـ ٢١ .

٦ ـ أحمد أمين : هارون الرشيد ، ١٣١ ـ ١٣٢ .

يشيع أن أخته هي التي رمت بنفسها لدى جعفر وأجبرته عليها . إذاً يتضح من الروايتين التلفيق وربما يكون رواتها شيعة أتباع للفرس أرادوا بها الكيد للرشيد ولأسرته للتشنيع بسمعة الخلافة العباسية ولإثارة غضب الناس عليهم ، لأنهم لا يعدونه سبباً رئيسياً للنكبة .

٢ ـ هناك من يذكر أن من أسباب نكبة البرامكة أن الرشيد قد أضمر القضاء عليهم ؛ فقد روي أنه أمر السندي بن شاهك أن يتوكل بأمر دور البرامكة وأسبابهم سراً بعد سنة من هذا اليوم ، فلما كان الرشيد بالعمر ومعه جعفر أوكل السندي بدورهم سراً خوفاً من أن يرجع الرشيد عن رأيه فيفتك به ولكن فوجىء السندي بجثة جعفر ومعها كتاب من الرشيد للسندي يطلب منه أن يصلب كل نصف من جثة جعفر على جسر من جسري بغداد . [١]

٣ ـ وقيل بسبب ميل البرامكة للعلويين ، فقد دفع الرشيد يحيى بن عبدالله العلوي إلى جعفر بن يحيى البرمكي ليسجنه عنده ، ولكن جعفراً أطلق سراحه ، عندما أخبره يحيى العلوي ببرأته ، فلما وصل خبره إلى الرشيد عن طريق الجواسيس سأل جعفراً عن سجينه ، فأخفى عليه حقيقة الأمر ثم أخبره بالأمر عندما تبين له علم الرشيد بالخبر . فما قام جعفر من ذلك المجلس حتى أقسم الرشيد أن يقتله لقاء عمله . [٢] ومنهم من يعده السبب الرئيسي في نكبتهم . [٣]

وهناك من يذكر أن البرامكة كانوا أحياناً ضد العلويين فيذكر موقف يحيى البرمكي من موسى بن جعفر بن محمد العلوي [٤] ، وكيف وشى به حتى

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري .

٣ ـ المصدر السابق ، ٢٨٩/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٤/٥ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ١٢٨/٢ .

٤ ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى بأبي الحسن وأبي إبراهيم ، كان كريماً عابداً مجتهداً ولد ١٢٨هـ/٧٤٥هـ . وقيل ١٢٩هـ/٧٤٦م حبس ١٧٩هـ/٧٩٥م توفي في محبسه . للاستزادة انظر أبا الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٤٩٩ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت ، دار المعرفة ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٢٧/١٣ ـ ٣٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٠٨/٥ ـ ٣١٠ .

أوصله للرشيد ليحبسه [١] . وهم لايعدون ميل الفرس إلى العلويين سبباً في النكبة ، لأن العلويين يرون أن البرامكة هم السبب في نكباتهم في العصر العباسي . [٢]

٤ ـ ومن أسباب نكبة البرامكة إسرافهم في بناء الدور مما جعل حسادهم يسعون بهم عند الرشيد لكثرة نفقاتهم وأموالهم التي احتازوها من الدولة ومدى بلوغ سلطانهم واستبدادهم بالملك ؛ هذا فيما يتعلق بنفقاتهم فكيف بمبلغ صلاتهم وجوائزهم ؛ حتى أوغر صدر الرشيد ضدهم ورفعوا قصيدة ضدهم [٣] جاء فيها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاجز من لا يستبد [٤]

٥ ـ ومنها أيضاً ما روي من أنه سمع يحيى بن خالد يقول وقد تعلق بأستار الكعبة في حجة ١٨٦هـ/٨٠٢م « **اللهم إن كان رضاك أن تسلبنى نعمك عندي فاسلبنى ، اللهم إن كان رضاك أن تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبني إلا الفضل ثم ولى ، فلما كان عند باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول : اللهم إنه سمج بمثلي أن يرغب إليك ثم يستثني عليك ... اللهم والفضل وسمع أيضاً يقول : اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصيها غيرك . اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا ، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي حتى يبلغ ذلك رضاك ، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة . فاستجيب له** » . [٥]

ويعده بعض المؤرخين من أقوى الأسباب في نكبتهم . [٦]

---

١ ـ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

٢ ـ محمد الزين ، أحمد القطان : هارون الرشيد الخليفة المظلوم ، ٧٣ ، ط٢ ، الكويت ، الدوحة ، مكتبة السندس : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٩١/٨ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٩ .

٤ ـ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٨٠/٣ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩٢/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٤/٥ ـ ١١٥ .

٦ ـ المصدر السابق ، ١١٤/٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٣٦/١ .

٦ ـ وقيل إن جعفراً والفضل ابني يحيى بن خالد ظهر منهما من الدلال مالا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك . [١]

٧ ـ وذكر أن الرشيد نكبهم لغير سبب يوجب ما فعله بهم ، وربما يعود ذلك إلى طول المدة التي قضاها البرامكة في الوزارة ، وأن كل طويل مملول ، وكانت أيام البرامكة أيام أنس ونعمة ، واتجهت آمال الناس إليهم دون الرشيد ، فتعنت عليهم وتجناهم وطلب مساويهم [٢] . ولكن بالتدقيق نجد أن بعض الأسباب كانت تهدف تشويه صورة الرشيد ؛ لأنه يتعارض أن يكون السبب هو الملل ومجرد نزوة ؛ بينما عرف الرشيد بالتقوى والصلاح ، فكيف يواجه الخير بالشر والجحود بالنكران . [٣]

٨ ـ وقيل إنه رفعت إلى الرشيد قصيدة لم يعرف رافعها فيها :

قل لأمين الله في أرضه ... ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحى قد غدا مالكاً ... مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى الـ ... فرس لها مثلاً ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها ... وتربها العنبر والند
ونحن نخشى أنه وارث ... ملكك إن غيبك اللحد
ولن يباهي العبد أربابه ... إلا إذا ما بطر العبد [٤]

فغضب الرشيد .

---

١ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٣٥/١ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٥٤ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٣٣٥/١ .

٣ ـ خليفة : « الرشيد ونكبة البرامكة » ، ٤٠ ، مجلة الوعي الإسلامي .

٤ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٣٣٥/١ ـ ٣٣٦ ؛ الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ١٢٨/٢ ـ ١٢٩ ؛ أبوالعباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ١٥١، معلومات النشر غير موجودة .

٩ - وقيل إنهم أرادوا إظهار الزندقة والفساد ، ونقله إلى الفرس ومنهم إبراهيم بن عثمان بن نهيك [١] واتخذوا الجيوش الخاصة بهم ، فبعث إلى العمال بعدم الأمان للبرامكة ولا لمن آواهم [٢] . وبعض المؤرخين ينفي هذا السبب لأنه يشك في أن يكون البرامكة زنادقة ويعتبر هذا السبب من باب تشويه صورة البرامكة . [٣]

١٠- وروي أن جعفراً كان قد حاز الضياع لنفسه ، حتى أصبح الرشيد لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ، واحتازوا الأموال دون الرشيد حتى أنه كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه [٤] . وزاد الأمر شدة عندما قتل جعفر بن يحيى بعض الطالبيين دون أمر الرشيد فاستحل دمه . [٥]

١١- وقيل إن البرامكة زينوا للرشيد أن يتخذ مجمرة في جوف الكعبة يتبخر عليها العود ، فعلم الرشيد بنيتهم في جعل الكعبة بيتاً للنار وأن هدفهم عبادة النار في الكعبة . ولكن بعض المؤرخين لا يعده سبباً في نكبتهم ويعده من ضمن الأسباب التي ترددها العامة . [٦]

١٢- وبعضهم يرى أنه من أسباب نكبتهم أنهم كانوا فرساً ، بالرغم من إحسانهم إلى العرب إلا أن المنافسين والحاقدين عليهم كانوا لا يفترون عن الوشاية بهم أمثال زبيدة والفضل بن الربيع . [٧]

---

١ - إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، أحد الموظفين المقربين من الرشيد ويتولى تنفيذ حكم القصاص سمى سيفه ذا المنية ، فقتله الرشيد ١٨٧هـ/٨٠٢م لإظهاره بأن الرشيد قد أخطأ في قتل البرامكة ، كان والده مسئولاً عن حرس المنصور . للاستزادة انظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٦٧/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٩١/٧ ، ٢٧٧/٨ ، ٢٩٦ ، ٣١١ .

٢ - المصدر السابق ، ٢٩٦/٨ ؛ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٤٢ - ١٤٣ ؛ القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ١٥١ .

٣ - الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ١٢٩/٢ .

٤ - الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٩/١٠ .

٥ - الدميري : المصدر السابق ، ١٢٨/٢ .

٦ - الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٥٤ ؛ توفيق سلطان اليوزبكي : الوزارة ونشأتها وتطورها في الدولة العباسية ، ٩٤ ، ط٢ ، بغداد ، دار الكتب : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٧ - صبيح عبدالقادر : هارون الرشيد ، ١٣٣ - ١٣٤ ، القاهرة ، دار الثقافة العامة : ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

١٣- ومنهم من يرى أن من أسباب نكبتهم هو طمع الرشيد في أموالهم وحسده لهم [١] . وإن كان هذا السبب يعتبر من باب التشويه لصورة الرشيد ، فكيف يطمع في أموالهم ويحسدهم على ما وصلوا إليه من مكانة وثروة ، وهو الذي مكنهم من ذلك . فلولا ذلك لما استطاعوا أن يجمعوا تلك الثروات وتكون لهم تلك السلطة في الدولة ، ولكنهم بالغوا في استخدام تلك الثقة حتى أوصلوا الرشيد إلى التخلص منهم .

١٤- ويعتقد البعض أن هذا التصرف من الرشيد جاء نتيجة لعقدة نفسية « سيكلوجية » لديه ، تولدت نتيجة لضعف شخصيته إزاء شخصية البرامكة بالإضافة إلى تكبره وعنجهيته [٢] . واستدل بعضهم بشخصيته أمام أخيه الهادي عندما أراد أن يعزله عن ولاية العهد ، وسيطرة الخيزران عليه حتى وفاتها ، وسيطرة يحيى البرمكي لاعترافه له بجميل التربية ، وأخيراً ضعف شخصيته أمام زبيدة ، كل ذلك اتخذوه أدلة ضده [٣] .

ولكن الذي يبدو من خلال الأحداث التي أوردتها المصادر أن شخصيته لم تكن شخصية ضعيفة وإن كان قد استغل بعضهم بعض المواقف ضده ، فإن كان سكت عن حقه تجاه ولاية العهد أيام أخيه الهادي ؛ فذلك حرصاً منه على حقن دماء المسلمين ، لأنه ليس هدفه السلطة . كما وأنه وإن ترك لأمه السلطة فهو أراد أن يبرها ، وأما تركه السلطة ليحيى بن خالد البرمكي فهو بهدف الامتنان والعرفان بالجميل ؛ فهو كالأب له لأنه هو الذي رباه وزوجته أم الفضل أرضعته فهو أبوه بالرضاعة وبالتربية ؛ وبذلك ترك لهم السلطة حتى رأى ما بدا منهم من تسلطهم واستحواذهم على أموال الدولة وغيره من الأسباب التي لا يعلم أحد بها فنكبهم ، ولم ينكبهم لحسد أو لضعف أو لوشاية العرب فيهم وعلى رأسهم زبيدة والفضل

---

١ - أحمد أمين : هارون الرشيد ، ١٣٤ .

٢ - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٢١/١ - ٢٢ ؛ حسن الباشا : دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ١٣٤ ، القاهرة ، دار النهضة العربية : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٣ - المرجع السابق ، ١٣٤ .

بن الربيع ، ولعل من سوء طالع الفضل بن الربيع أن برز في خضم هذه الظروف التي أحاطت بالبرامكة وعلاقتهم بالخليفة الرشيد ، وجعلت منه سبباً يتناوله المؤرخون في الحديث عن نكبة البرامكة .

يتبين لنا من الدراسة أن البرامكة وهم أسرة واحدة استطاعوا أن يشغلوا عدة مناصب في الدولة حتى أن بعض المؤرخين أطلق عليها اسم « دولة البرامكة » [١] . فقد نظموا الدولة ودونوا الدواوين وقضوا على الثورات وبنوا المساجد والأربطة والخانات وشقوا الأنهار ، وعمروا البلاد ووطدوا الأمن ، وتولوا أمر القضاء والنظر في المظالم والحسبة والخاتم والحجبة والإشراف على السكة والطراز والبريد ، وكان منهم الندماء والمستشارون وقادة الجيوش ، لذلك لم يستطع شخص واحد أن يحل في جميع هذه المناصب فهم كانوا أسرة واحدة ، أما بعدهم فقد تفرقت الوظائف بين الكثيرين ، ونتج عن نكبة البرامكة اضطراب الأمر في الدولة كما يرى ذلك بعض المؤرخين . [٢]

ويلاحظ أن بعض المؤرخين يبالغ في وصف الأحداث والأحوال بعد نكبة البرامكة لإبراز الفراغ الكبير الذي تركوه بعدهم ، ولإضفاء صورة حسنة لفترة وزارتهم .

لقد تولى الفضل بن الربيع الوزارة بعد البرامكة ، وذكر أن الرشيد بعد ما علم بأمر وفاة يحيى بن خالد البرمكي ندم على سجنه ، وأنه لو كان حياً لأفرج عنه ، ثم أمر بإطلاق سراح ابنه الفضل واستوزره مكان أخيه جعفر [٣] . والمصادر لم تذكر هذه الرواية والمعلوم أن الفضل بن يحيى ظل سجيناً بعد وفاة أبيه إلى أن توفي في سجنه قبل وفاة الرشيد بأشهر ١٩٣هـ/٨٠٨م . [٤]

---

١ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٨١/٣ .
٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ .
٣ ـ محمد دياب الأتليدي : إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، ١١٣ ، الطائف ، مكتبة المؤيد.
٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٤١/٨ .

لم يطلق بعض المؤرخين على الفضل بن الربيع لقب الوزير فيصفه الجهشياري بقوله : « ولما انقضى أمر البرامكة ، وحصل التدبير في أيام الرشيد على ما بيناه ، اختلت الأمور ، وقصد الفضل بن الربيع لحفظ خدمة الرشيد في حضرته وأضاع ما وراء بابه » ⟨١⟩ . ويذكر الجهشياري في موضع آخر وظيفة الفضل بن الربيع بقوله : « وتوفي الرشيد في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين ومائة ⟨٢⟩ ، وعلى نفقاته وتدبير أموره الفضل بن الربيع » ⟨٣⟩ . ووصفه المسعودي بقوله : « ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى علي بن يقطين ، وغلب عليه الفضل بن الربيع ، وإسماعيل بن صبيح ⟨٤⟩ . إلى أن مات » ⟨٥⟩ . أما ابن الآبار فقد وصفه بقوله : « كتب للرشيد يحيى بن خالد بن برمك ، ثم الفضل بن الربيع ثم إسماعيل بن صبيح » . ⟨٦⟩

ووصف بقولهم : « اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره : وزراؤه البرامكة ، وقاضيه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس ، وأشدها تعاظماً ، ومغنيه إبراهيم الموصلي ، وزوجته زبيدة بنت عمه جعفر » . ⟨٧⟩

---

١ ـ الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ .

٢ ـ اختلفت الروايات حول وفاة الرشيد فقد ذكر أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ، ١٧٤/٢ ، تحقيق : طه محمد الزيني ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ذكر أنه توفي ١٩٥هـ/٨١١م ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٧ ذكر أنه توفي ١٩٢هـ/٨٠٧م .

٣ ـ المصدر السابق ، ٢٧٧ .

٤ ـ هو إسماعيل بن صبيح كان أبوه مولى عتاقة لسالم الأفطس ، ولما أعتق سالم الأفطس صبيحاً ، جعله قيماً لمسجد حران ، وكان سالم مولى عتاقة لبني أمية ، كتب إسماعيل للرشيد والأمين .
الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٠ ـ ٣٠١ ؛ أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ١٠٢ ـ ١٠٤ ، ط١ ، دمشق ، مجمع اللغة العربية : ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

٥ ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٢٩٩ ، تصحيح عبدالله إسماعيل الصاوي ، بغداد ، المكتبة العصرية : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

٦ ـ إعتاب الكتاب ، ٩٩ .

٧ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٤ ، ١١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٣/٥ ؛ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ ١/ق ٣٧٨ .

ويصفه بعض المؤرخين بقولهم أنه حاجب الرشيد ، ولم يكن وزيراً وأنه لم يتول الوزارة أحد بعد البرامكة <١> وهناك من يصفه بحاجب الرشيد والأمين <٢> ، والبعض الأخر من المؤرخين يصفـه ويطلق عليـه لقب وزير <٣> ، فيصفـه ابن الطقطقي بقوله : « ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع وكان حاجبه ... وأما الفضل فكان حاجباً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم ... ولما ولي الوزارة تهوس بالأدب ... وما زال الفضل بن الربيع على وزارته إلى أن مات الرشيد بطوس ... وكان الفضل بن الربيع وزير الرشيد مع الرشيد بطوس ... وتوجه الفضل إلى بغداد فاستوزره الأمين ... كان الفضل بن الربيع وزير الأمين ... وأما حال الوزارة في أيامه فإنه لم يستوزر غير الفضل بن الربيع وزير أبيه ... » <٤> . كما يصفه العبادي بقوله : « وهكذا تنتهي نكبة البرامكة بانتصار العرب في هذه الجولة ، وقد تولى الوزارة بعدهم الفضل بن الربيع نصير الحزب العربي ، كما تولى الرشيد أمور الحكم بنفسه » . <٥>

أما ابن الآبار فيصفه بقوله : « لما قبض الرشيد على البرامكة استوزر الفضل ابن الربيع ، وقد كان على حجابته ، وبقي فربما استخلف من ينوب فيها عنه » <٦> ، يصفه خليفة بن خياط بقـوله : « كان وزيره وصاحب أمره كله يحيى بن خالد بن برمك ، ثم ابنه جعفر بن يحيى ، ثم قتله فصار الفضل بن الربيع » . <٧>

---

١ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٠٠/١٠ .

٢ ـ الكتبي : عيون التواريخ ، ١٣٢هـ ـ ١٨٠هـ/٧٤٩ ـ ٧٩٥م / ق ٥٠٠ .

٣ ـ غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ٨٥ ـ ٨٦ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية : ١٣١٠هـ/١٨٩٢م ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٨٤/٣ .

٤ ـ الفخري ، ٢١٠ ـ ٢١٥ .

٥ ـ التاريخ العباسي والفاطمي ، ٨٩ .

٦ ـ إعتاب الكتاب ، ٩٩ .

٧ ـ تاريخ خليفة ، ٥٠٢/٢ .

وبذلك لم يتقلد الوزارة بسلطاتها الواسعة أي شخصية بعد البرامكة ، ذلك لأن البرمكة لم يكونوا شخصاً واحداً كالفضل بن الربيع ، بل كانوا أسرة متكاملة تقاسمت السلطة فيما بينها مما جعلها تنفرد بالسلطة ، أما الفضل بن الربيع فقد كان يتولى العرض على الخليفة فقط ، دون أن تكون له الحرية في العزل والتولية والحل والعقد ، ولم يكن معه الخاتم ، مستدلاً بقول الجهشياري عندما ذكر أنه يتولى العرض على الرشيد . ‹١›

وفي سنة ثمان وثمانين ومائة أمر الرشيد إسماعيل بن صبيح أن يكتب إلى جميع العمال بما عقد بين ولده : « محمد وعبدالله والقاسم من العهد ، وأخذه عليهم من الأيمان ، فكتب في ذلك كتاباً مشهوراً قال في آخره : وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائة » ‹٢› . وبذلك اقتصرت مهمة إسماعيل بن صبيح على الكتابة دون الحل والعقد .

كما تولى مسرور الخادم البريد ، واضطرب البريد بعد البرامكة فيقول الجهشياري : « أن أمور البريد والأخبار في أيام الرشيد كانت مهملة . وأن مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ‹٣› ؛ ويخلفه عليه ثابت الخادم . قال : ثابت للفضل ابن مروان : إن الرشيد توفي وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تفض » ‹٤› . ويلاحظ أن المؤرخين يحاولون تصوير الأوضاع في الدولة العباسية بعد نكبة البرامكة بأنها في حالة فوضى واضطراب ، وأنهم هم الذين كانوا ينظمون أمور الخلافة والدولة .

---

١ ـ الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٢٦٥ .

٣ ـ الخرائط : مفردها خريطة وهي عبارة عن قطعة من الديباج الأسود ، ويشد رأس الخريطة بشرابة أخرى في إشريجة مختومة ، وهي تحمل الكتب الصادرة والواردة على الخلافة . انظر أبا الحسين هلال بن المحسن الصابىء : رسوم دار الخلافة ، ١٢٦ ـ ١٢٧ ، تحقيق : ميخائيل عواد ، بيروت ، دار الرائد العربي : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٤ ـ الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ .

وبذلك استحق البرامكة في نظر بعض المؤرخين وصفهم لهم بقولهم : « **وكانت البرامكة من محاسن العالم ودولتهم من أعظم الدول ، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها** » [١] . ووصفها صاحب الفخري بقوله : « **فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة ، والبحور زاخرة ، والسيول دافعة ، والغيوث ماطرة ، أسواق الآداب عندهم نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ اللهف ومعتصم الطريد** » . [٢]

ويتضح لنا من خلال الروايتين السابقتين مدى المبالغة في وصف البرامكة لإظهارهم بغير ما عرفوا به من سيطرة وقوة سياسية ، ورغبة في الانفراد بالسلطة ، وأنهم لا يستحقون موقف الخليفة منهم . إذ يذكر فريق آخر من المؤرخين أن الرشيد عبر عن ندمه من موقفه تجاههم بقوله : « **لعن الله من أغراني بالبرامكة فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولارجاء ، وددت والله أني شطرت نصف عمري وملكي وأني تركتهم على حالهم** » . [٣]

ولعل الرشيد وجد مشقة بعد البرامكة ، لأنهم كانوا قد حملوا عنه عبئاً كبيراً من أعباء الحكم ؛ ولكن لا يصل إلى درجة الندم ، وأن يشطر عمره نصفين حتى لا يفعل بالبرامكة ما فعل ، ولو أنه ندم لكان عفا عمن بقي من البرامكة ، وخاصة أنه لم يقتل منهم سوى جعفر بن يحيى ، بل أنه زاد في عقابهم ، بعد قبضه على عبدالملك بن صالح [٤] ، وأتهمهم بالتآمر معه ضد الرشيد . [٥]

---

١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٨١/٣ .

٢ ـ ابن الطقطقي : ١٩٧ .

٣ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٩٢/١٠ .

٤ ـ عبدالملك بن صالح والي الرشيد على مكة حبس في عهد الرشيد ١٨٧هـ/٨٠٢م وأخلى سبيله الأمين في ذي القعدة ١٩٣هـ/٨٠٨م ، فكان يشكر للأمين صنعه بإخراجه من السجن . انظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٣٤/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٢٤/٨ ـ ٤٢٥ ؛ ابن الأثير : الكامل التاريخ ، ١٥٠/٥ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ، ١٨٠ ـ ٢٠٣هـ/ ٧٩٥ ـ ٨١٨م /ق ١٠٢ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٠٥/٨ ـ ٣٠٦ .

وبذلك وزع الرشيد المناصب في الدولة على رجاله حتى لا يحدث له ما حدث مع البرامكة حتى أنه توفي « وعلى نفقاته وتدبير أموره الفضل بن الربيع ، وعلى ديوان الرسائل وديوان السر وديوان الضياع وديوان الصوافي إسماعيل بن صبيح ، وعلى ديوان الجند ابن الشخير الهذلي وعبدالله بن عبدة الطائي ، وعلى ديوان الخراج بالسواد ، سليمان بن عمران ، وعلى ديوان خراج الشأم ومصر وإفريقية والموصل وإرمينية وأذربيجان والمدينة ومكة واليمن علي بن صالح ؛ وعلى ديوان خراج الجزيرة محمد بن إسماعيل بن صبيح » . (١)

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٧ ؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٥٠٢/٢ .

الفصل الأول :
الفضل بن الربيع

١ ـ نسبه .

٢ ـ نشأته .

٣ ـ ثقافته .

٤ ـ مؤهلاته لتولي الوزارة وصلته بالأمين .

٥ ـ نشاطه وأعماله .

٦ ـ وفاته .

١ ـ نسبه :

هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان ‹١› مولى الحارث الحفار ‹٢› مولى عثمان بن عفان ‹٣› ولد ١٤٠هـ/٧٥٧م وقيل ١٣٨هـ/٧٥٥م ‹٤› . وقيل إن كيسان مولى عثمان بن عفان ‹٥› ، والراجح هو ما أجمعت عليه المصادر من أن كيسان مولى الحارث الحفار .

قيل إن والده الربيع بن يونس كان لقيطاً ، إذ قال له أحدهم في مجلس لأبي جعفر المنصور : « **إنك معذور لأنك لم تذق حلاوة الآباء** » ‹٦› . وكان عبدالله بن عياش ‹٧› المنتوف يطعن دائماً في نسب الربيع طعناً قبيحاً فيقول للربيع : « **فيك شبه من المسيح ، يخدعه بذلك ، فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قاله له ، فقال له : إنه يقول : لا أب لك** » . ‹٨›

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٣/١٢ ؛ أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين ابن عساكر الشافعي : التاريخ الكبير ، ٣٠٨/٥ ، تصحيح : عبدالقادر افندي ، روضة الشام : ١٣٣٢هـ/١٩١٣م ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٧٧ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٤٨/٥ .

٢ ـ الحارث الحفار كان حفاراً لقبور مكة وهو من موالي عثمان بن عفان ، وكان الربيع مولى لدى الحارث . انظر أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، ٣٢٨/٢ ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ٤١٤/٨ .

٣ ـ الجاحظ : المصدر السابق ، ٣٢٨/٢ ؛ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ١٧٧ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٥/٧ .

٤ ـ عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ، ٨٢ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ؛ مصطفى علي مصطفى : هارون الرشيد ، ٢٧٢ .

٥ ـ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٤٤/١٢ .

٦ ـ الجاحظ : المصدر السابق ، ١٧٥/٢ ؛ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ١٧٧ .

٧ ـ عبدالله بن عياش بن عبدالله بن عبدالله بن خير بن سيار بن خير بن سيار بن معاوية بن سيف بن الحارث بن مرهبة ، أبوالهمذاني الكوفي يعرف بالمنتوف ، كان في صحابة المنصور نزل بغداد بدار الصحابة ناحية شط الصراة توفي ١٥٨هـ/٧٧٥م . انظر البغدادي : المصدر السابق ، ١٤/١٠ ـ ١٦ .

٨ ـ البغدادي : المصدر السابق ، ٨ ، ٤١٤ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ، ٣١٠/٥ .

وقد تنازع الفضل بن الربيع وجعفر بن يحيى يوماً بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : « **يا لقيط ، إشارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع . إنه لا يعرف أبواه ، فقال الفضل : أشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : تراه عند من يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين وأنت حاكم الحكام** » [١] . وبذلك أراد جعفر بن يحيى تعيير الفضل بن الربيع بنسبه ، وإن كان أبوه معروفاً إلا أنه كما روى تنكر له ، فأصبح لديهم غامض النسب .

ذكر بعض المؤرخين : « **أن يونس بن محمد كان شارياً شاطراً بالمدينة ، فقد علق أمة لقوم بالمدينة ، فوقع عليها فأنجبت له الربيع واستعبد ، ولم يكن ليونس مال ليبتاعه ـ وقيل إنه تنكر له الربيع ـ** [٢] **فابتاعه زياد بن عبدالله الحارثي خال الخليفة أبي العباس السفاح ، الذي أهداه لأبي العباس فخدمه وخدم أبا جعفر بعده فخص به** » [٣] . وذلك لصفات اتصف بها ، من رقة الطبع وحدة الذكاء ، وحسن تأت [٤] ، ولخفة فيه . [٥]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢١٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٦/٣ .

٢ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٧٧ .

٣ ـ المصدر السابق ، ١٧٧ .

٤ ـ تأت : من أته يؤته : أي غته بالكلام أو كبته بالحجة وغلبه . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣/٢ .

٥ ـ محمد أحمد برانق : الوزراء العباسيين ، ١٦٠/١ ، ط١ ، القاهرة ، المطبعة النموذجية : ١٣٦٧هـ / ١٦٤٨م .

٢ _ نشأته :

نشأ الربيع والد الفضل في خدمة ساداته لأنه كان قد اشتراه زياد بن عبدالله وأهداه لأبي العباس السفاح ، وخدم في بلاط السفاح إلى أن تولى المنصور الخلافة ، وفي عهده استطاع الربيع بحسن تأتيه ، وحدة ذكائه أن يتقرب إلى المنصور ؛ فأصبح صاحب وضوء الخليفة ، ثم تقلد منصب الحجابة [١] .

ولم يكتف الربيع بهذا المنصب بل أراد أن يرتقي ليكون على صلة أكثر قرباً من المنصور ، فساهم في القضاء على وزارة أبي أيوب المورياني [٢] ، فقلده المنصور : « **نفقاته والعرض عليه** » . [٣]

يذكر بعض المؤرخين أن الربيع قد تقلد الوزارة في عهد المنصور والمهدي [٤] ، ومنهم من يقول إنه تقلد الوزارة في عهد المنصور فقط ، ولم يتقلدها في عهد المهدي بل كان حاجباً له فقط . [٥]

نشأ الفضل بن الربيع في كنف والده الذي كان يعمل في البلاط العباسي ، فحياته كانت حياة مرفهة ، فقد تولى الحجابة في عهد المنصور [٦] ، والمهدي [٧] والهادي [٨] . وقيل إنه لم يتول الحجابة في عهد المهدي بل كان

---

١ _ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢/٨ ؛ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ٣١٠/٥ .

٢ _ أبوأيوب سليمان بن أبي مخلد _ وقيل داود _ المورياني الخوزي . كان وزير أبي جعفر المنصور ، تولى وزارته بعد خالد بن برمك أوقع به ١٥٣هـ/٧٧٠م وعذبه المنصور وأخذ أمواله ومات ١٥٤هـ/٧٧١م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤١٠/٢ _ ٤١٤ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٧٥ _ ١٧٦ .

٣ _ برانق : وزراء عباسيون ، ١٦٠/١ .

٤ _ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٣/١٢ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ، ٣١٠/٥ ؛ ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ٧٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٢٧٣/٣ .

٥ _ البغدادي : المصدر السابق ، ٤١٤/٨ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ، ٣١٠/٥ ؛ مصطفى علي مصطفى : هارون الرشيد ، ٢٧٢ .

٦ _ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١١ .

٧ _ المصدر السابق ، ٢١١ .

٨ _ ابن العمراني : المصدر السابق ، ٧٤ ؛ ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ٢١١ .

والده الربيع حاجبه ، وظل حاجباً منذ عهد الهادي إلى أن نكب البرامكة [١] ١٨٧هـ/٨٠٢م ، وقيل إنه تولى الحجابة بعد أن عزل الرشيد محمد بن خالد البرمكي عنها ١٧٩هـ/٧٩٥م . « **فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم ... وما زال الفضل بن الربيع على وزارته إلى أن مات بطوس** » . [٢]

هذا ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أي معلومات إضافية عن نشأة الفضل بن الربيع وتربيته .

١ ـ فضيلة الشامي : « الفضل بن الربيع الحاجب والوزير ، ١٣٨ ـ ٢٠٨هـ/٧٥٥ ـ ٨٢٣م » ، ٨٩ ، مجلة المؤرخ العربي ، ع٢٨ : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٢ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١١ ـ ٢١١ .

٣ ـ ثقافته :

كان الفضل بن الربيع يحب الأدب والعلم فجمع إليه أهل العلم ونال منه ما يريد في فترة وجيزة وكان شهماً خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم [١] .

ومن أقواله الدالة على خبرته بأحوال الملوك وأوقات الطلب قوله : « **من كلم الملوك في الحاجات في غير وقت الكلام لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم في ذلك إلا بأوقات الصلوات ، لا تقبل الصلاة إلا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك في شيء فليرصد الوقت الذي يصلح في مثله ذكر ما أراد ويسبب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعقبه** » . [٢]

ومن أقواله في آداب الحديث مع الملوك وحسن مخاطبتهم قوله : « **مسألة الملوك عن حالهم من تحية النوكى** [٣] **فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالكرامة ؛ وإذ أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ؟ فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسألة توجب الجواب ، فإن لم يجبك ، اشتد عليك ، وإن أجابك اشتد عليه** » . [٤]

---

١ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١١ .

٢ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب ، ٥٨٤/٢ ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، بيروت ، دار الجيل : ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٣ ـ النوكي : مفردها أنوك وهو الأحمق أو الجاهل . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٥٠١/١٠ .

٤ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

٤ ـ مؤهلاته لتولي الوزارة وصلته بالأمين :

يعد الفضل بن الربيع من الشخصيات البارزة التي كان لها دور إيجابي في الفتنة التي ظهرت بين الأخوين في الفترة (١٩٣هـ ـ ١٩٨هـ/٨٠٨م ـ ٨١٣م) محمد الأمين (١٩٣هـ ـ ١٩٨هـ/ ٨٠٨م ـ ٨١٣م) وعبدالله المأمون (١٩٨هـ ـ ٢١٨هـ / ٨١٣م ـ ٨٣٣م) وذلك لما اتصف به الفضل بن الربيع من صفات عظيمة ، فكان ذا حزم ودهاء ورأي .

كان الفضل بن الربيع حسن النظر ، ومن حسن نظره في الأمور قوله : « **ما أظن النعمة إلا مسخوطاً عليها** [١] . **أما ترونها أبداً عند غير أهلها** » . [٢]

كان الفضل بن الربيع : « طلق اليدين ... ندي الكفين ، كثيرة جدواه وافرة حذياه [٣] ، عظيمة عطاياه » [٤] . ولقد وصفه أهل اليمن في كتاب بعثوه له يستنجدونه ويستغيثون به بقولهم : « **فأرشدنا عند ذلك العلماء ونصح لنا الحكماء ، وأشار علينا أهل الخشية ، وقال لنا أهل الخبرة ، عليكم بسهل الخليفة . حسن الطريقة ، وحاضر الخليفة ، ميمون النقيبة ، معروف النصيحة الفضل بن الربيع ، ذي الجناب المريح أمين الأمناء ، وكهف الضعفاء ، ذي المناقب الكريمة والصنائع العظيمة ، فإنه مع كل ضعيف ، وملاذ كل ذليل ، وغياث كل ملهوف ، وملاذ كل مخوف ، من لم يزل تعده الخلائق ذا رأفة واشفاق لجميع الآفاق** » [٥] .

---

١ ـ يذكر الفضل بن الربيع أن النعمة مسخوط عليها ، ولكن لماذا يراها مسخوط عليها ؟ فالنعمة هي هبة من عند الله عز وجل ؛ فإما أن تكون جزاء لإنسان عمل خيراً ، أو تكون اختباراً له ليكون جزاؤه أو عقابه فيما بعد ، أو تكون نقمة ليزيد الله في عقابه .

٢ ـ أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي : تحفة الوزراء ، ١٢٠ ، تحقيق : على الراوي ، إبتسام مدهون ، ط١ ، بغداد ، مطبعة العاني : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٣ ـ الحذية : بمعنى حذى القسمة من الغنيمة والعطية . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١٧١/١٤ .

٤ ـ أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ، ٢٣٢/١ ، ط٣ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية : ١٣٤٦هـ/١٩٢٦م .

٥ ـ رحمة أحمد الزهراني : بلاد اليمن في العصر العباسي الأول ، ١٣٢هـ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠م ـ ٨٤٧م ، ٢٠٩ ، رسالة ماجستير غير مطبوعة نقلاً عن الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى ٣٣٢هـ ، ٢٢٢ .

ولا شك في مثل هذه المخاطبات إلى الوزير أو الحاكم فيه شيء من المبالغة عند أصحاب السلطة ولكن لا تخلو من الواقع .

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كم من مقيم ببغداد على طمع لولا رجاء أبي العباس لم يقم

البدر إن نظروا ، البحر إن رغبوا والحصن إن رهبوا والسيف ذو النقم[١]

وقال فيه أبو نواس :

آل الربيع فضلتم فضل الخميس على العشير[٢]

من قاس غيركم بكم قاس الثمال [٣] إلى البحور

أين القليل بنو القليل من الكثير بني الكثير

أين النجوم التاليا ت من الأهلة والبدور

قوم كفوا أيام مكة نازل الخطب الكبير

وتداركوا نصر الخلا فة وهي شاسعة النصير

لولا مقامهم بها هوت الرواسي من بثير [٤]

لقد نشأ الفضل بن الربيع في البلاط العباسي يعمل حاجباً للخلفاء ، وبعد ذلك تولى منصب الوزارة في عهد الرشيد : « ولما انقضى أمر البرامكة ، وحصل التدبير في أيام الرشيد ، اختلت الأمور ، وقصد الفضل بن الربيع لحفظ خدمة الرشيد في حضرته ، وأضاع ما وراء بابه » [٥] . وبذلك بدأت العلاقة بين الفضل ابن الربيع والأمين ، فقد ولد الأمين بعد تولي الرشيد الخلافة بستة أشهر ،

---

١ ـ القيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب ، ٥٨٣/٢ .

٢ ـ الخميس : الخُمْس والخَمس والخِمْس : جزء من خمسة والجمع أخماس .

العشير : العشر وهو واحد من عشرة . انظر على التوالي ابن منظور : لسان العرب ، ٧٠/٦ ، ٥٦٩/٤ .

٣ ـ الثمال : مفردها ثملة : وهي الماء القليل في أي إناء كان . المصدر السابق ، ٩١/١١ .

٤ ـ بثير : مفردها بثر = وهي الأرض السهلة الرخوة . انظر المصدر السابق ، ٣٩/٤ ؛ القيرواني : المصدر السابق ، ٥٨٤/٢ .

٥ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ .

وكان الفضل بن الربيع يتقلد ديوان النفقات بأمر من يحيى بن خالد ١٧٢هـ/٧٨٨م وقيل إنه قلده ١٧٣هـ/٧٨٩م [١] ، ثم « **صرف الرشيد محمد ابن خالد بن برمك عن حجابته ، وقلدها الفضل بن الربيع ١٧٩هـ/٧٩٥م** » . [٢]

وقد بدأت العلاقة تتوثق بين الفضل بن الربيع والأمين منذ ١٨٧هـ/٨٠٣م . ففي ليلة وصول الرشيد الأنبار [٣] بعد انصرافه من حج ١٨٦هـ/٨٠٢م نزل بالعمر [٤] ومعه وليا العهد (**الأمين والمأمون**) ونزل الفضل بن يحيى مع الأمين ، وجعفر بن يحيى مع المأمون ، وخلا الرشيد بالفضل (**ابن الربيع**) ليلاً ، وخلع عليه وقلده ، وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين . [٥]

ومنذ ذلك الوقت والصلة بينهما لم تنقطع ؛ فقد تولى الوزارة بعد نكبة البرامكة ، وظل فيها إلى أن توفي الرشيد بطوس [٦] ، لذلك جعله الأمين مكان ثقته فأخذ يقربه إليه ويستشيره في جميع أموره . غير أن المصادر التي بين أيدينا لم تورد ما يفيد العلاقة بينهما بعد ذلك .

فلما مرض الرشيد بعث الأمين إلى الفضل بن الربيع كتباً ولإسماعيل بن صبيح مع بكر بن المعتمر ، يطلب منهما الرجوع إلى بغداد إذا حدث للرشيد

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٣٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ١٨٩ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٢٦١ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٣٣ .

٣ ـ الأنبار : مدينة قرب بلخ . وهي على الجبل لها مياه وكروم وبساتين كثيرة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١/٢٥٧ .

٤ ـ العمر : موضع ينبت النخل . انظر : أبا عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي : معجم ما أستعجم في أسماء البلاد والمواضع ، ٣/٩٦٧ ، تحقيق : مصطفي السقا ، ط١ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، وقيل الغمر بالغين بئر قديمة بمكة . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٤/٢١١ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٢٩٣ .

٦ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١١ .

حادث [١] . وكان من بين الكتب كتاب لصالح [٢] أخي أمير المؤمنين محمد الأمين يأمره فيه بقوله : « **واضمم إلى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد** أمير المؤمنين وخدمه وأهله ؛ **ومره بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته ...** وإياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا **برأي شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع ،** وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن **وغير ذلك ؛** ولا تخرجن أحداً منهم من ضمن ما يلي إلى أن تقدم علي ... **وإن أمرت لأهل** العسكر بعطاء أو رزق ؛ **فليكن الفضل بن الربيع المتولي لإعطائهم على دواوين** يتخذها لنفسه ؛ **بمحضر من أصحاب الدواوين ؛ فإن الفضل بن الربيع لم يزل يتقلد** مثل ذلك لمهمات الأمور ... » [٣] ، وبعد عودة الفضل بن الربيع إلى بغداد اتصل بالأمين وأصبح تأثيره كبيراً عليه حتى لقب بالوزير [٤] ، وأكرمه وألقى أزمة الأمور إليه ، وعول في مهماته عليه [٥] ، وقد اختلفت المصادر حول ورود هذا الكتاب هل هو لصالح [٦] ومنهم من يقول إنه ورد في كتاب المأمون وليس في كتاب صالح [٧] . والراجح أنه في كتاب صالح لأنه كان هو المتولي لجيوش الرشيد وأهله وخدمه عند وفاة الرشيد أما المأمون فقد كان في مرو .

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٣ .

٢ ـ صالح بن هارون الرشيد ، أخو الأمين والمأمون والمؤتمن . انظر علي بن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، ٢١ ، تحقيق : إليفي بروفنسال ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٦٩/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٧٦ .

٤ ـ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨٤ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٢ ؛ الثعالبي : تحفة الوزراء ، ١١٩/١ .

٥ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٣/١٢ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٦٩/٨ .

٧ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٦ .

ولقد وصف أبو نواس العلاقة بين الأمين والفضل بن الربيع قائلاً :

لعمرك ما غاب الأمين محمد ... عن الأمر بعينه إذا شهد الفضل

ولولا مواريث الخلافة أنها ... له دونه ما كان بينهما فضل

وإن كانت الأخبار فيها تباين ... فقولهما قول وفعلهما فعل

أرى الفضل للدنيا وللدين معاً ... كما السهم فيه الفوق والريش والنصل[١]

ومما يثبت علو مكانة الفضل بن الربيع لدى الأمين رسالة أهل صنعاء له يطلبون منه أن يقدم شكواهم للخليفة الأمين بقولهم بعد وصفه : « **فكل من استعنا به وكل من استغثنا به أحالنا عليك وعلى الأمر كله بعد الله إليك ، فكان الذي قصدنا من المسير والقدوم عليك في رفع العظائم ، وإنهاء المظالم بعد الشقة ، ونأي المحلة من المصائب ، وتتابع النكبات ، وإلحاح الغرامات ... بإيصال كتابنا إلى الخليفة ...** » .[٢]

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٤/١٢ .

٢ ـ رحمة الزهراني : بلاد اليمن في العصر العباسي ، ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، نقلاً عن الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى ٣٣٢هـ ، ٢٢٢ .

٥ - نشاطه وأعماله :

لقد كان الفضل بن الربيع كثير الشبه بوالده الربيع بن يونس في صفاته وأعماله ، فقد نشأ في القصور العباسية ، كما نشأ والده في خدمة الخلفاء العباسيين ، فسار على خطا والده ، إذ عين في بداية حياته حاجباً للمنصور ثم للهادي ثم للرشيد ، ولكن طموح الفضل بن الربيع في أن يكون له سلطان أكبر في الدولة ، كما كان للبرامكة ؛ لفت نظر الخيزران التي عملت في إبعاده عن القصر حتى لا يكون له حظوة لدى ابنها الخليفة .[١]

والغريب أن الخيزران كرهت الفضل بن الربيع ! فلماذا تكرهه وهو لم يكن له نفوذ في بداية الأمر ؟ ولماذا توقعت أنه سوف يحيك المؤامرات ضد البرامكة ؟ فإنه لا توجد دواعي أو أسباب لهذا الكره المبكر !

إلا أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لا تسعفنا في تبرير هذا الموقف من جانب الخيزران ولعل ذلك يعود إلى تعصبها للبرامكة [٢] ، وحفظاً للجميل الذي سبق وأن أداه يحيى بن خالد في جعل ولاية العهد للرشيد بعد أن حاول الهادي عزله عنها . وهذا قد لا يستغرب منها وهي فارسية الأصل ، فهي تحاول جاهدة في إبقاء السلطة بيد البرامكة حفاظاً على سلطان ابنها .

إلا أننا نجد الفضل بن الربيع بدأ يتقرب من زبيدة ليصل إلى الرشيد ، فأخذ يوطد علاقته بها ويظهر لها الخضوع والامتثال لأوامرها ، ولكن نفوذ زبيدة لم يكن شيئاً أمام نفوذ الخيزران ؛ لأن الرشيد كان يحب أمه جداً ويبرها فكان لا يرفض لها طلباً إلى أن ماتت ١٧٣هـ/٧٨٩م وظل الفضل بن الربيع على هذه الحال إلى أن توفيت الخيزران ؛ فدفع إليه الخليفة الخاتم [٣].

---

١ - الطبري : تاريخ الطبري ، ٨ / ٢٣٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٨٧ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ١٩٢ .

٢ - فضيلة الشامي : « الفضل بن الربيع الحاجب الوزير ، ١٣٨ - ٢٠٨هـ/٧٥٥ - ٨٢٤م » ، ٨٩ ، مجلة المؤرخ العربي .

٣ - الطبري : المصدر السابق ، ٢٣٨/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٨٧/٥ .

ثم تولى نفقات العامة والخاصة وبادوريا [١] والكوفة . ثم تولى الحجابة بدلاً عن محمد بن خالد بن برمك ١٧٩هـ/٧٩٥م .

يذهب بعض المؤرخين إلى أن الفضل بن الربيع قد استمر متولياً للحجابة حتى أيام الرشيد [٢] . إلا أن ما أورده الطبري يناقض هذا الرأي فقد أشار إلى أن الخليفة الرشيد قال للفضل بن الربيع : « **وحق المهدي ، إني لأهم لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر** » [٣] . وأيضاً قول المؤرخين بأن الفضل بن الربيع تولى الحجابة بدلاً عن محمد بن خالد ١٧٩هـ/٧٩٥م .

وهكذا أخذ سلطان الفضل بن الربيع في الازدياد حتى استطاع أن يكسب ثقة القصر .

كما يصور بعض المؤرخين الفضل بن الربيع بأنه الرجل الذي يتقن حبك المؤامرات والدسائس ، وأنه كان يبث عيونه ليتعقب البرامكة ويقلل من قيمتهم لدى الخليفة . وذكر أن الفضل بن الربيع أخذ يعمل بالحيل والدهاء وتدبير المؤامرات للوشاية بالبرامكة . فقد عين له عيناً عليهم واتخذ لذلك إسماعيل بن صبيح كاتب البرامكة [٤] ، ثم أخذ يشي بهم عند الرشيد وكانت أول وشاية له بهم عندما استعان بعلي بن عيسى بن ماهان ليتهم موسى بن يحيى عند الرشيد في أمر خراسان ، ويعلمه طاعة أهلها له ، ومحبتهم إياه وأنه يكاتبهم ويعمل على الإنسلال إليهم والوثوب به معهم ؛ فعز ذلك على الرشيد فقبض عليه وحبسه ثم أطلقه . [٥]

---

١ ـ بادوريا : طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد ، وهو محسوب الآن من كورة نهر عيسى بن علي . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣١٧/١ .

٢ ـ فضيلة الشامي : « الفضل بن الربيع الحاجب والوزير »١٣٨هـ ـ ٢٠٨هـ/٧٥٥ ـ ٨٢٤م » ، ٨٩ ، مجلة المؤرخ العربي .

٣ ـ تاريخ الطبري ، ٢٣٨/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٨٧/٥ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٨٩/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١١٤/٥ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩٣/٨ .

تصف الروايات الفضل بن الربيع بأنه هو الذي يشي ويحيك المؤامرات ضد البرامكة ، فكيف يكون إنسان بتلك الصفات النبيلة التي وصفوه بها ثم يملك هذه الصفة السيئة ! ونحن لا نميل إلى الروايات التي وصفت الفضل بذلك فربما كان رواتها أناساً حاقدين على الفضل بن الربيع لذلك حاولوا إلصاق التهم به لتشويه صورته أمام الملأ .

وبذلك أخذ الفضل بن الربيع يؤلب عليهم زبيدة زوجة الرشيد التي عمل على التقرب منها عن طريق سلطته ، فيخبرها أنها يجب أن تصبح مكان الخيزران في الدولة بعد وفاتها ، وأن السبب في عدم سيطرتها وحلولها محل الخيزران هو البرامكة ، كما أخبرها بما حدث يوم كتابة العهد بين الأمين والمأمون ، فبعد أن تمت كتابة الكتب وأخذ الأيمان والعهود والمواثيق على ذلك ، وقبل خروجهما من الكعبة أخذ جعفر يكلم الأمين ويطلب منه أن يشدد على الأيمان ، بالوفاء لأخيه المأمون . [١]

ومن الوشايات التي تنسب إلى الفضل بن الربيع ضد البرامكة أنه علم من عينه الخاصة على جعفر بن يحيى بأنه قد أطلق سراح يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي [٢] وكان الرشيد قد عهد إليه أمر حبسه ، فأطلقه دون علمه ؛ فأخبره الفضل بن الربيع بذلك ، وعندما تأكد للرشيد ذلك الأمر حلف بالله ليقتلنه . [٣]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٢ .

٢ ـ يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من كبار الطالبيين ، روى الحديث وتفقه فيه ، نجا من معركة فخ ودعا إلى نفسه ، وأعلن دعوته في بلاد الديلم ، ندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي ، استقدم إلى بغداد بعد طلب الأمان ثم حبس إلى أن توفي ١٨٠هـ/٧٩٦م . للاستزادة انظر البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٤/١١٠ ـ ١١٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٥٤ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٨٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/١٨٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٨٠ .

كما روي أن الفضل بن الربيع قد أوصل إلى الرشيد مقطوعة شعرية بدون توقيع جاء فيها :

قل لأمين الله في أرضه	ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً	مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود إلى أمره	وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التي ما بنى الـ	فرس لها مثلاً ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها	وتربها العنبر والند
ونحن نخشى أنه وارث	ملكك إن غيبك اللحد
ولا يباهي العبد أربابه	إلا إذا ما بطر العبد

فلما وقف الرشيد عليها أضمر لجعفر السوء [١] ، ولعل في ذلك مبالغة في تشويه صورة الفضل بن الربيع الذي لا ينأى في التفنن بحبك المؤامرات والدسائس للحفاظ على مركزه فالمصادر الأصلية [٢] التي توفرت لنا لم تشر إشارة واضحة إلى أن الفضل قد قام فعلاً بتدبير هذه القصيدة إلى الرشيد غير أن بعض المراج الحديثة [٣] تشير إلى ذلك دون أن تذكر مصادرها .

كما أشاع الفضل بن الربيع للبرامكة عند الرشيد وعند العامة بأنهم ملاحدة وثنيون يحنون إلى دين آبائهم وأجدادهم وزنادقه وأنهم يؤيدون العلويين سراً [٤] ، وإن كانت المصادر لم تذكر أن الفضل هو الذي وشى بهم . [٥]

---

١ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٣٥/١ ـ ٣٣٦ ؛ شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٣٠١/٣ .

٢ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٣٣٥/١ ـ ٣٣٦ .

٣ ـ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ٣٠١/٣ ـ ٣٠٢ ، ط٧ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٤ ـ أحمد أمين : هارون الرشيد ، ١٢٢ ؛ شلبي : المرجع السابق ، ٣٠١/٣ ؛ أحمد الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، ١٢٧ ، ط٢ ، مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٥ ـ ابن قتيبة الدينوري : عيون الأخبار ، ٥١/١، بيروت ، دار الكتاب العربي ؛ الطبري : تاريخ الطبري ،=

وذكر أن الفضل بن الربيع لم يكتف بما قام به من وشايات بل أضاف إلى سجل وشاياته بالبرامكة وشاية جديدة ، فقد وشى بهم عند الرشيد والخاصة وقال لهم : إن البرامكة يريدون إبطال الخلافة ونقلها إلى أنفسهم وجعلها في البرامكة .(١)

لقد كان من نتائج وشايات الفضل بن الربيع كما قيل ؛ أن الرشيد في ١٨٣هـ/٧٩٩م صرف الفضل بن يحيى عن الأعمال التي كان يتقلدها ثم رد له حضانة ابنه الأمين فقط .(٢)

ويرجع بختيشوع أسباب نقمة الفضل بن الربيع على البرامكة إلى تطلعه للوزارة ، فقد روى بختيشوع الطبيب موقف الرشيد من البرامكة في بداية دولته ومدحه لهم ، ثم بعد ذلك عاد ورآه ينقم عليهم ، وكان عنده الفضل بن الربيع بالرغم من أن الوضع الذي نقم عليه الرشيد هو نفس الوضع الذي مدحهم به ولكن تغير ذلك لتغير المواقف ؛ وذلك بعد أن وشي بهم .(٣)

إضافة إلى موقف يحيى بن خالد والذي اتسم بعدم تقديره له ، إذ يورد المؤرخون قصة عرض الفضل بن الربيع الرقاع على يحيى بن خالد والذي لم يوليها أدنى اهتمام ، مما أثر في نفسية الفضل وجعله يتطلع إلى الانتقام من البرامكة .(٤)

= ٨٨/٨ ؛ محمد بن موسى الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ١٢٩/٢ ، ط١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

١ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٨٩/١٠ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٧ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٠٨ .

٤ ـ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ٩٩ ـ ١٠٠ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٨/٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ٢٦٣/١٠ .

ويصف الجهشياري موقف الفضل بن الربيع بقوله : « **إذا أراد الله عز وجل هلاك قوم وزوال نعمتهم ، جعل لذلك أسباباً ، فمن أسباب زوال البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع ، وقصدهم محمد بن جميل** » . (١)

كما يصف جون جلوب موقف الفضل بن الربيع من البرامكة بقوله : « **وكان الفضل بن الربيع كبير حجاب القصر أشد خصوم البرامكة** » . (٢)

وانتهت وشايات الفضل بن الربيع بالقضاء على البرامكة ونكبتهم ومن ثم توليه المنصب الذي بذل الكثير من أجله وهو « الوزارة » كما يصفه بها بعض المؤرخين . (٣)

وفي ذلك يقول أبونواس :

ما رعى الدهر آل برمك لما	أن رمى ملكهم بأمر فظيع
إن دهراً لم يرع عهداً ليحيى	غير راع ذمم آل الربيع (٤)

وظل الفضل بن الربيع على الوزارة إلى أن توفي الرشيد بطوس وكان الفضل بن الربيع معه في طوس وأثناء وفاته ، واستمر على منصبه في عهد الأمين « **لما استخلف الأمين ، أقره في وزارته** » . (٥)

---

١ ـ الوزراء والكتاب ، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

٢ ـ امبراطورية العرب ، ٥٢٩ ، تعريب : خيري حماد ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي : ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

٣ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٢ ؛ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ٩٩ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ٨٥ ـ ٨٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٤٨/٥ .

٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٨/٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٦٣/١٠ .

٥ ـ الزركلي : المرجع السابق ، ١٤٨/٥ .

٦ ـ وفاتـه :

صار الفضل بن الربيع وزيراً للأمين ومستشاراً له منذ أن قدم بغداد بالأموال والقضيب [١] والخاتم ، فاشتد فرح الأمين وسروره ، وقربه وألطفه ، وقلده أموره وأعماله وفوض إليه ما وراء بابه ، فكان هو الذي يولي ويعزل ، واحتجب عن الناس [٢] . وبذلك أراد الرواة تشويه صورة الأمين بتصويره بالفاسق واللاهي عن أمور دولته ، وهذا اتهام للأمين لأنه سوف يتبين لنا من الأحداث أنه لم ينشغل عن دولته كما روى .

ونتيجة لأفكار وآراء الفضل بن الربيع ومشورته التي اقترحها على الأمين ، أدت آراؤه إلى نشوب صراع وفتنة كبيرة بين الأخوين كان من نتائجها قتل وسفك دماء الأبرياء ، وقتل الأمين ، فما كان من الفضل بن الربيع بعد أن رأى الأمور تتأزم إلا أن اختفى عن مسرح السياسة ، ولم يظهر إلا في عهد المأمون ، عندما خرج مع إبراهيم بن المهدي [٣] في ثورته ضد المأمون ، ثم عاد واختفى لما علم بأمر قدوم المأمون بغداد ، وبعد أن قضى المأمون على الثورات والفتن ، واستقر الوضع الداخلي في البلاد ، ظهر الفضل بن الربيع متوسلاً إلى المأمون أن يغفر له جريمته في حقه وحق أخيه الأمين ؛ فما كان منه إلا أن عفا عنه كما عرف عنه ، ولم يسجنه أو يعذبه ، بل اكتفى فقط من العقاب بالإهمال ، فلم يستعمله في أي منصب من مناصب الدولة ، مما جعله عديم الفائدة والنفوذ ، كما رد إليه داره ليعيش فيها إلى أن مات في يوم

---

١ ـ القضيب : الغصن ، كل نبت من الأغصان يقضب وهو جزء من ممتلكات الرسول ﷺ يتوارثها الخلفاء لتكون من رسوم الخلافة . ابن منظور : لسان العرب ، ٦٧٨/١ .

٢ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٤/١٢ .

٣ ـ إبراهيم بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور يكنى بأبي إسحاق ، يلقب بابن شكلة ، ولد ونشأ في بغداد وهو أخو الرشيد ، ولي أمرة دمشق وعزل في عهد الرشيد ، تزعم ثورة ضد المأمون ثم استتر إلى أن قدم بغداد فطلب العفو عنه فعفا عنه ، مات ٢٢٤هـ/٨٣٩م . للاستزادة انظر محمد بن إسحاق ابن النديم : الفهرست ، ١٦٨ ، مصر ، المطبعة الرحمانية ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ١٤٢/٦ ـ ١٤٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٩/١ ـ ٤٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٥٩/١ ـ ٦٠ .

الاثنين في ذي القعدة ٢٠٨هـ/٨٢٤م [١] ، وقيل إنه توفي في ربيع الأول ٢٠٨هـ/٨٢٤م [٢] بطوس [٣] ، وقيل إنه توفي ٢٠٧هـ/٨٢٣م [٤] وعمره يقارب ٦٨عاماً ، عاش خلالها كما تصوره بعض كتب التاريخ يخطط ويدبر المؤامرات للفتك بأعدائه البرامكة ، ومحاولته الإيقاع بين الأخوين ؛ وبذلك أسأ الفضل بن الربيع بناء على هذه الروايات للناس عامة والأمين خاصة ، وقضى بقية حياته مختفى . وما لبث أن عاد ولم يكن له أي ذكر في الدولة . بينما قال بعض المؤرخين : إن المأمون خلع عليه بعد ظهوره وأحسن إليه . [٥]

بينما وصفت المصادر التاريخية الفضل بن الربيع بالشهامة والمرؤة ونبل الأخلاق . وهنا لنا أن نتسأل ، كيف يمكن لشخصية مثله أن تجمع بين متناقضات في صفاته الخلقية ؛ ولعل ما عاناه ابن الربيع من معاملة البرامكة له ، ومن خوفه على نفسه ، وبروز نجمه على مسرح السياسة العباسية وتزامن ذلك مع أحداث البرامكة جعله مثاراً للجدل بين المؤرخين ومن ثم إلصاق التهم إليه في ذلك .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٩٧/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٠٦/٥ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ١٢٨/١ ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٢ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٨/٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٠٩/١٠ ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، إخراج : شعيب الأرنؤوط ، ط١ ، القاهرة ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٣ ـ الزركلي : الأعلام ، ١٤٨/٥ .

٤ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٤/١٢ .

٥ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ١٠١ .

الفصل الثاني:

الفضل بن سهل

١ ـ نسبه .

٢ ـ نشأته .

٣ ـ ثقافته .

٤ ـ مكانته .

٥ ـ صلته بالمأمون ومؤهلاته لتولي الوزارة .

٦ ـ نشاطه وأعماله .

٧ ـ وفاتـــــه .

١ ـ نسبه :

هو الفضل بن سهل بن ذاذا نفروخ ⟨١⟩ من قرية السيب الأعلى بصابرنيتا ⟨٢⟩ ويلقب بالسرخسي ⟨٣⟩ ، يكنى بأبي العباس ⟨٤⟩.
ولد ١٥٤هـ/٧٧٠م . ⟨٥⟩

ويلقب بذي الرياستين ⟨٦⟩ ، لتوليه رياسة القلم والسيف ⟨٧⟩ .
وهو أخو الحسن بن سهل ⟨٨⟩ وزير المأمون بعد الفضل بن سهل .

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٣٩/١٢ . ذكر نسب الفضل بن سهل أن اسمه الفضل بن سهل بن عبدالله فقد ذكر أن جد الفضل اسمه عبدالله بالرغم من أن جده لم يسلم وأن والده أسلم في عهد الرشيد .

٢ ـ السيب : هو مجرى الماء كالنهر ؛ وهو كورة من سواد الكوفة : وهما سيبان أعلى وأسفل .
صابرنيتا : من قرى السيب الأعلى من أعمال الكوفة . انظر على التوالي ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٩٣/٣ ، ٣٨٧ .

٣ ـ سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة تقع في نيسابور ومرو في وسط الطريق . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣ ، ٢٠٨ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٣/٢ . ذكر أنه لقب بذلك لأنه ولد بسرخس ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥٠٢/٣ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٤/٢ .

٤ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩٩/١٠ .

٥ ـ القيرواني : المصدر السابق ، ٣٥٣/٢ .

٦ ـ الوزير إذا كان صاحب سيف كان في مجلس السلطان قائماً في جملة الأمراء القائمين ، وإذا كان صاحب قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب الأقلام من كاتب السر وغيره . والوزير ربما كان من أرباب القلم : وربما كان من أرباب السيوف ، والفضل جمعهما معاً . انظر أبا العباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى ، ١٤٩/١١ ، ٢٧٧/٣ ـ ٢٧٨ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية : ١٣٣١هـ/١٩١٣م .

٧ ـ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٣٩/١٢ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ ؛ عزالدين علي بن محمد بن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ٤٤٥/١ ، القاهرة ، مكتبة المقدسي : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . ذكر أن الحسن بن سهل هو صاحب اللقب ثم ذكر أن هذه الصفات تنطبق على الفضل وهو صاحب اللقب .

٨ ـ الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي ، يكنى بأبي محمد . وزير المأمون وأحد كبار القادة في عصر المأمون والدبوران زوجة المأمون ، استوزره المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتوفي في سرخس ٢٣٦هـ/٨٥١م وقيل ٢٣٥هـ/٨٥٠م . انظر البغدادي : المصدر السابق ، ٣٢٣/٧ ـ ٣٢٥ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ١٢٠/٢ ـ ١٢٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٩٢/٢ .

ويعود نسبه إلى أحد ملوك المجوس [١] . وكان أبوه زراد شتياً ، أسلم على يد سلام بن الفرج مولى يحيى بن خالد وبواسطته استطاع أن يتعرف على يحيى بن خالد ، وأن يخالط البرامكة . [٢]

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٢/٣٣٩ ؛ ابن الطقطقي : الفخـــري ، ٢٢١ .
٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

٢ ـ نشأتــه :

بعد إسلام سهل بن زاذا في عهد الرشيد [١] ، أحضر ابنيه الفضل والحسن ، فاتصل الفضل بن سهل بالفضل بن جعفر وتقلد قهرمته [٢] ، بينما التزم الحسن بن سهل بالعباس بن الفضل بن يحيى وخدماهما فحفظ لهما يحيى بن خالد ذلك [٣] ، ثم عرض يحيى بن خالد البرمكي على الفضل ابن سهل الإسلام حتى يصبح ذا قيمة في الدولة ، فوافق الفضل بن سهل أن يسلم على يديه ، وأراد يحيى بن خالد أن يضعه موضعاً ينال به حظاً في الدنيا ، فدعا بسلام مولاه وطلب منه أن يذهب به إلى ابنه جعفر بن يحيى ليدخله على المأمون حتى يسلم على يديه ؛ لأن المأمون كان في حجر جعفر بن يحيى ، فأدخل عليه وأسلم على يديه [٤] فوصله المأمون وأحسن إليه ، وأجرى عليه رزقاً مع حشمه [٥] . وكان إسلام الفضل بن سهل كما ذكر ١٩٠هـ/٨٠٦م [٦] ، فعاش الفضل بن سهل ملازماً للفضل بن يحيى إلى أن نكبت البرامكة فلازم بعد ذلك المأمون . [٧]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣٠ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٣٩/١٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٩/٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩٩/١٠ . ذكر أنه أسلم في زمن المهدي والد الرشيد .

٢ ـ القهرمان : هو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه . وهي فارسية . والقهرمان من أمناء الملك وخاصته. ابن منظور : لسان العرب ، ٤٩٦/١٢ .

٣ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٣٠ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٣٩/١٢ . ذكر أن الفضل بن سهل وأخوه الحسن قد اتصلا بالفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد البرمكي .

٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٢٠/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٣٠ ـ ٢٣١ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٤٠/١٢ . ذكر أن الفضل بن سهل عندما أراد أن يسلم ، كره أن يسلم على يد الرشيد والمأمون ، فسار وحده إلى المسجد الجامع يوم الجمعة ، فأسلم واغتسل ولبس ثم رجع مسلماً .

٥ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٣١ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٢٠/٨ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٣/٢ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ٩٩/١٠ .

٧ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٣١ .

ذكرت المصادر والمراجع التاريخية أن الفضل بن سهل أسلم ١٩٠هـ/٨٠٦م على يد المأمون وأن يحيى بن خالد هو الذي بعثه لابنه جعفر ليقدمه للمأمون ، لأن المأمون كان في حجر جعفر بن يحيى آنذاك ، بينما الوارد ذكره في المصادر أن البرامكة نكبوا في أوائل ١٨٧هـ/٨٠٣م أي قبيل إسلام الفضل بن سهل بثلاث سنوات ، وقد ذكر أن يحيى بن خالد قد توفي في سجنه ١٩٠هـ/٨٠٦م ، فكيف تم ذلك ؟ والراجح أن الفضل بن سهل لم يسلم ١٩٠هـ/٨٠٦م كما ذكرت المصادر فيتوقع أنه أسلم على يد البرامكة لأنه تربى ونشأ وتشبع بأفكارهم وآرائهم ولكنه لم يسلم ١٩٠هـ/٨٠٦م . إنما يعتقد أنه أسلم في الفترة ما بين ١٧٠هـ ـ ١٨٧هـ/٧٨٦م ـ ٨٠٣م .

٣ ـ ثقافته :

كان الفضل بن سهل « **بليغاً ، عالماً بآداب الملوك** » [١] ومما روي عن بلاغته : أنه وجه إلى رجل جائزة وكتب إليه « **قد وجهت إليك بجائزة لا أعظمها مكثراً ، ولا أقللها تجبراً ، ولا أقطع لك بعدها رجاء ، ولا استثيبك عليها ثناء ، والسلام** » [٢] . ووقع لخزيمة بن خازم [٣] قائلاً له : « **الأمور بتمامها ، والأعمال بخواتيمها ، والصنائع باستدامتها ، وإلى الغاية جرى الجواد ، وهناك كشفت الخبرة قناع الشك ، فحمد السابق ، وذم الساقط** » . [٤] ووقع إلى قائد جيش : « **ما رأيت صنعاً أحسن ، ولا نصراً أعز ، ولا فتحاً أفضل من نصر الله إياك ، وصنعه لك ، وفتحه عليك ، فتولى الله أمرك بأحسن مما ابتدأك به** » [٥] ووقع أيضاً : « **قد استدللتُ بنصيحتك على مداهنتك ، وبتقصيرك على ممالأتك ، وفي أقل مما أقرعك به ، ما يردع هواك عما أنت عليه** » [٦] ووقع أيضاً : « **قد أعذرتُ إليك في التقدمة ، فالزم المحجة وتوق الحجة ، وتوقع حلول المجازاة إن شاء الله تعالى** » . [٧]

---

١ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .

٢ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٢/١٢ .

٣ ـ خزيمة بن خازم التميمي ، وال من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون شهد الوقائع الكثيرة ، قاد الجيوش في البصرة أيام الرشيد ، والجزيرة أيام الأمين ، ولما عظم الخلاف بين الأمين والمأمون انحاز إلى أصحاب المأمون ، واشترك في حصار بغداد إلى أن قتل الإمام ، فأقام ببغداد إلى أن قتل ٢٠٣هـ/٨١٨م . الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٤/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٨٢/٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، الزركلي : الأعلام ، ٣٠٥/٢ .

٤ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٧ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٦/٢ ؛ الثعالبي : تحفة الوزراء ، ١٢٠ .

٥ ـ أبوحيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ٤٧٤/٢ ؛ تحقيق وتعليق : إبراهيم الكيلاني ، دمشق ، مكتبة أطلس : ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ .

٦ ـ المصدر السابق ، ٤٧٤/٢ .

٧ ـ المصدر السابق ، ٤٧٤/٢ .

ووقع أيضـاً : « واتركْتُبَك ، وأبرم الأخبار ، واستعن بالله على تزيين نفسك واحملها على الصيانة تسلم من قول العائب »[١] وقال أيضاً : « كل مصيبة عند سخطك جلل ، وكل نعمة عند رضاك محتقرة » .[٢]

كما كان الفضل بن سهل يتقن العربية والفارسية ، حتى أنه ترجم كتاباً ليحيى بن خالد من الفارسية إلى العربية ، فأعجب به يحيى بن خالد لفهمه ، وجودة عباراته .[٣]

كما كان ابن سهل يحب الشعر ويشجعه ويفد إليه الشعراء من كل مكان[٤] . إلا أن المصادر التاريخية وكتب التراجم التي تناولت الحديث عن شخصية الفضل بن سهل لم تشر إلى بداية حياته ونشأته وتعليمه وثقافته ، كما لم تشر إلى العلماء والمؤدبين الذين قاموا على تربيته وتعليمه ، مما أسدل الستار على جوانب كثيرة من شخصيته .

---

١ ـ أبوحيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ٤٧٤/٢ .
٢ ـ المصدر السابق ، ٤٧٤/٢ .
٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣٠ .
٤ ـ الرفاعي : عصر المأمون ، ٢٩٧/١ .

٤ ـ مكانته :

صار للفضل بن سهل مكانة كبيرة لدى المأمون منذ إسلامه فقد ضمه إلى حشمه وأجرى عليه رزقاً ، ولذلك أصبح الفضل بن سهل ملازماً للمأمون ومربيه ومرافقاً له ومستشاراً . (١)

منذ أن عهد الرشيد أمر المأمون للفضل بن سهل وهو لا يفارقه في ليل أو نهار ، وفي حله وترحاله ، فقد خرج معه في رحلته التي خرج فيها مع والده لمحاربة رافع بن الليث . (٢)

ولم تكن علاقة المأمون بالفضل بن سهل بلغت هذا الحد بل تعدت جميع الحدود ، فكان المأمون يحاول بكل جهده أن يزوجه من إحدى بناته ، ولكنه يرفض ذلك ويقول : « **لو صلبتني ما فعلته** » . (٣)

ورغم ما في هذه الرواية من غرابة فإننا لا نجد ما يعضدها من المصادر الأخرى مما يقلل من قيمتها التاريخية ، وذلك لعدم فهم هدف المأمون من عرضه الزواج على الفضل بن سهل الفارسي والخلفاء لا يزوجون إلا للعربي ! كما أننا نتساءل لماذا يرفض الفضل بن سهل الزواج من حفيدة الخليفة هارون الرشيد ثم كيف يرفض أمراً وجهه إليه المأمون ألا يخاف عاقبة رفضه ؟ إذ لابد أن هناك أسباباً دفعت بهما إلى هذا التصرف ولكن لا نعلم بها .

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٢٣/٥ ، ١٢٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٣٨/٨ ـ ٢٤١ .

٣ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٧ .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الفضل بن سهل قد تقلد وزارة المأمون بعد أن صارت إليه الخلافة ، مما أضفى إليه لقب الوزير الأمير [١] كما تقلد رياسة الحرب ، ورياسة القلم فلقب بذي الرياستين . [٢]

ومما يثبت مكانة الفضل بن سهل لدى المأمون توقيع له كتبه بخطه للفضل ابن سهل ذكر فيه : « **أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة** الله ، **وإقامة سلطاني ، فرأيت أن أغنيك ، وسبقت الناس من الحاضر كان لي ، والغائب كان عني ، فأحببت أن أسبق إلى الكتاب لك بخطي ، بما رأيته على نفسي ، وأنا أسأل** الله **تمامه ، فإن حولي وقوتي ومقدرتي وقبضي وبسطي به ، لا شريك له ، وقد أقطعتك السيب بأرض العراق ، على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين ، عطاء لك ولعقبك ، لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي ، ولما قمت به من حق** الله **وحقي ، فلم تأخذك في لومة لائم ، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره ، وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به ، من العمل لله ولنبيه ، والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها . وجعلت ذلك كله لك بشهادة** الله ، **وجعلته لك كفيلاً على عهدي . وكتبت بخطي سنة ست وتسعين ومائة** » . [٣]

ويلاحظ أن هذا التوقيع قد انفرد به الجهشياري من دون المصادر ربما يكون مبالغاً فيه ، لأنه يلاحظ على الجهشياري ميله إلى الفضل بن سهل من خلال الأحداث الواقعة وكيف أنه يحاول تمجيده وإظهاره بالمظهر الأفضل ، بينما الأحداث تعكس وتناقض ما يذكره الجهشياري عن الفضل ابن سهل .

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .

٢ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٠/٥ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٥١/٢ .

٣ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٦ .

كما جعـل المأمون عمالة الفضل بن سهل ثلاثة آلاف ألف درهم [١] ، وعين أخاه الحسن بن سهل على ديوان الخراج [٢] ، ثم قلده ولاية العراق وبعثه إليها ليكون خليفته عليها [٣] . ولم يكتف المأمون بكل ما بذله للفضل بن سهل ؛ فقد عين ابن خالته علي بن سعيد (ذي القلمين) [٤] على ما كان تحت يد طاهر بن الحسين [٥] وهرثمة بن أعين [٦] في بغداد . [٧]

ولعل ما فعله المأمون للفضل بن سهل ، كان رداً للجميل بتوجيه موعظة له عندما استقامت الأمور للمأمون ، وجلس مجلساً عاماً ، وحمد الله وذكر ما أولاه الله عليه ، وعدد نعمه فأطال ، فقال له الفضل بن سهل : « **إنه لم يكن أحد مع أمر الله ولزوم أدبه ، فأخلفه ما تقدم الله به من وعده ، قال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [٨] فمتى كنت يا أمير المؤمنين موجباً شكره ، لم تجد خلفاً فيما وعد من فضله وزيادته** ... » . [٩]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٢٤/٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٥١/٢ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٢٤/٨ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٧/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٥ .

٤ ـ ذو القلمين : لقب علي بن أبي سعيد الكاتب لقب به لحسن قلمه في الكتابة . انظر ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ٤٤٥/١ .

٥ ـ طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي ويكنى بأبي الطيب ، وأبي طلحة ، ويلقب بذي اليمنيين لأنه كان أعور العين اليسرى فلقبه المأمون بذلك ، تولى قيادة جيوش المأمون ضد أخيه الأمين للاستزادة انظر البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٥٣/٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٤٤٦/١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥١٧/٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢٢١/٣ .

٦ ـ هرثمة بن أعين أمير من القادة الشجعان له حروب ومعارك في إفريقية وخراسان ، ولاه الرشيد على مرو ١٩٢هـ/٨٠٨م وانضم الى المأمون في حربه ضد أخيه ، فقاد الجيوش حتى تمكن من إخمادها وقتل الأمين قتل في السجن بمرويدس من الفضل بن سهل . للاستزادة انظر الأصفهاني : تارخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ١٧١ ؛ الزركلي : المرجع السابق ، ٨١/٨ .

٧ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٧/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٥ .

٨ ـ القرآن الكريم : سورة إبراهيم ، ٧/١٤ .

٩ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٩ .

إن الفضل بن سهل لم يستطيع توجيه موعظة للمأمون خليفة المسلمين أمام رعيته إلا أنه أدرك مدى مكانته لدى المأمون . ولقد عبر عن مكانة الفضل بن سهل الطبري عندما ذكر ما حدث في جيش الرشيد بعد وفاته بطوس وعودة الجيش بقيادة الفضل بن الربيع إلى بغداد ، وموقف المأمون من ذلك عندما علم بالأمر فقال : « **كان معه من أهل بيته عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح وذو الرياستين ؛ وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصهم به** ... » [١] ولمزيد من الاستزادة انظر الفصل الثالث من البحث .

---

١ ـ تاريخ الطبري ، ٣٧١/٨ .

٥ ـ صلته بالمأمون ومؤهلاته لتولي الوزارة :

يعتبر الفضل بن سهل أحد الشخصيتين اللتين لعبتا دوراً هاماً في نشوب الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون ؛ وذلك للعلاقة الكبيرة التي ربطت بين المأمون والفضل بن سهل وجعلته من المشتركين في تحريك خيوط الفتنة ، فقد بدأت علاقته به منذ أن عرض يحيى بن خالد الفضل بن سهل على المأمون عن طريق ابنه جعفر .

وبذلك بدأت العلاقة بين المأمون والفضل بن سهل ، منذ أن فكر يحيى بن خالد في استخدام الفضل بن سهل للمأمون ، فأخذ يصفه ويمدحه ويذكر مناقبه للرشيد ، عندئذ طلب منه أن يحضره له ، إلا أن الفضل لم يقدر على الكلام ، فسكت لحيرة أصابته ، فنظر الرشيد إلى يحيى مستنكراً لاختياره له ، عندئذ نطق الفضل بن سهل فقال : « **يا أمير المؤمنين إن أعدل الشواهد على فراهة** [1] **المملوك أن تملك قلبه هيبة سيده . فقال له الرشيد : لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام ، لقد أحسنت ، ولئن كان بديهة لهو أحسن وأحسن** » . [2]

وذكر أن الرشيد استخدم الفضل بن سهل لما رأى فيه من فطنة وذكاء ، والواقع أن الروايات التاريخية التي تناولت الحديث عن هذا الموضوع تبدو كأنها متضاربة لا يستقيم أمرها في الوقت الذي تشير فيه هذه الروايات إلى أن الخليفة الرشيد كان غاضباً على البرامكة ، بل شمل غضبه العنصر الفارسي في الدولة ، فلم يتول أحد منهم منصباً فيها ، بل وصل به الأمر أن يعاقب من يأتي على ذكرهم أو على صلة بهم فكيف يستقيم المعنى لتقبل

---

١ ـ فراهة : فره الشيء يفره فراهة وفراهية ، وهو فاره ، والفاره : هو الحاذق بالشيء . للمزيد انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٥٢٢/١٣ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣١ .

النصوص التاريخية من نفس هذه المصادر والتي تشير إلى تناقض تام . إلى أن الفضل بن سهل عين ١٩٠هـ/٨٠٦م أي بعد نكبة البرامكة وأن الأمر وصل به أن عينه داخل القصر ومتولياً لأمر المأمون .

إلا أن الأمر يحتمل رأيين أحدهما : أنه دخل في خدمة الرشيد بداية من ١٨٧هـ/٨٠٣م وفي هذه الحالة يمكن تقبل هذه النصوص . أو أن إيراد مثل هذه النصوص تحتمل دفع الشبهة عن موقف الخليفة الرشيد من العنصر الفارسي بصفة عامة ، وأن مسألة البرامكة لا تعدو كونها قضية استحق أصحابها العقاب لأمر أخل بأمور الخلافة .

ومنذ ذلك العهد ارتبط الفضل بن سهل بالمأمون ، فأصبح مستشاره الخاص ووصيه وكاتبه ، ومتولي أموره ، فيضع له الخطط والتدابير لرسم نهج حياته في عهد والده وبعد وفاته .

وتذهب بعض الروايات إلى وصف الفضل بن سهل بالتنجيم وأنه علم بولاية المأمون بالخلافة العباسية لما رأى من نجابته في وقت مبكر . وواضح مدى المبالغة في هذه الرواية ؛ إذ أن الجهشياري لم يشر إلى موقف معين يدل على نجابة المأمون والتي لفتت نظر الفضل بن سهل ، وفيها إخبار أن الفضل ابن سهل اعتمد في جل حياته على التنجيم ، والتنجيم محرم في الإسلام ، ولكن الذي يبدو أنه ليست النجوم هي التي دلت الفضل بن سهل على أمر المأمون وخلافته ، إنما استنتج ذلك لما رأى الفضل بن سهل أن معاوني الأمين ليسوا على درجة كبيرة من الدهاء ، والفطنة وبعد النظر والنصح مما جعل الأمين يسير على طريقه إلى النهاية .

والمعروف أن ولاية العهد للمأمون كانت قد تمت عام ١٨٢هـ/٧٩٨م في الوقت الذي لم يتجاوز فيه عمر المأمون اثنتي عشرة سنة ولم يسلم الفضل حينئذ كما ذكر في المصادر ، ولم يتدخل في أمره أو أمر ولاية عهده ،

فيكون بذلك أمر التنجيم والتعامل معه من الأقوال التي لا يقبلها عقل ولا يصدقها منطق .

ولقد بلغت صلة الفضل بن سهل بالمأمون درجة كبيرة جعلته يمنعه من بعض الأمور ، فقد ضايق المأمون في جارية أراد شراءها [١] ويستغرب في هذه الرواية منع الفضل بن سهل للمأمون من شراء الجارية ! أهي غير صالحة ؟ أم أنه أرادها لنفسه ؟

ومما يثبت الصلة بين الفضل بن سهل والمأمون ، توقيع بخط المأمون للفضل بن سهل ذكر فيه : « **أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله وإقامة سلطاني** ... » . [٢]

يتضح مما سبق مدى صلة الفضل بن سهل بالمأمون ، فقد كانت هذه الصلة النتيجة الطبيعية للصفات التي اتصف بها الفضل بن سهل وهي الكرم ، والسخاء ، ونبل النفس ، وكثرة الأفضال ، وغلظة العقوبة إذا عاقب ، مقدماً إذا أنكر ، حسن الرجوع إذا استعطف ، حسن البلاغة ، ومن امثلة بلاغته قوله : « **عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يمنع من دونه** » [٣] ، وقوله : « **إذا أعطيت الرجل شيئاً فقطعه عليه ، فإنه لا يسألك حاجة حتى يستنفد ذلك ، ويقطع به دهراً** » . [٤]

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٥/٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٩/٣ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٩ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٣٠٧ .

٤ ـ المصدر السابق ، ٣٠٧ . يقصد الفضل بن سهل أنه إذا أراد الإنسان أن يعطي للرجل شيئاً فلا يعطه كله في وقت واحد بل يجزءه عليه ، لأنه لو أعطاه كله سوف يطلب شيء آخر ، ولكن إذا جزئه عليه سوف يلح عليه في طلب الشيء حتى يستنفد ذلك منه .

ومن بلاغته أنه اعتل بخراسان ثم برئ فجلس للناس فهنئوه بالعافية ، وتصرفوا في الكلام ، فلما فرغوا أقبل على الناس ، فقال : « **إن في العلل لنعماً ينبغي للعقلاء أن يعلموها ، تمحيص للذنب ، وتعرض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، إدكار للنعمة في حال الصحة ، واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة . وفي قضاء الله وقدره بعد الخيار** » [١] فعندما خرج الناس من عيادته خرجوا وهم يحفظون كلام الفضل بن سهل ويرددونه لما كان فيه من بلاغة وفائدة لسامعه .

ولقد وصفه بعض المؤرخين بقولهم : « **ولم يسأله بعد ذلك الرشيد عن شيء إلا أجابه بما يصدق تقريظ يحيى له** » . [٢]

« **وكان يبغض السعاة ويقصيهم** [٣] ، **كما وصف بصفاء الغريزة ، وجودة النحيزه** [٤] ، **وسعة الحيلة ، وشدة الدهاء ، وكان جيد الحدس محصلاً للأموال** » [٥] . ولقد وصفه المأمون في توقيعه الذي كتبه بخطه للفضل بن سهل بقوله : « **وقد أقطعتك السيب بأرض العراق ، ... لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي ، ولما قمت به من حق الله وحقي ، فلم تأخذك في لومة لائم ، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره ...** » . [٦]

---

١ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٢/١٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٠/٣ .
٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣١ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٢٠٩/٣ .
٣ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٨ .
٤ ـ النحيزة : الطبيعة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٤١٥/٥ . وعن النص القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٤/٢ .
٥ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .
٦ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٦ .

وقد مدح الشعراء الفضل بن سهل ومنهم إبراهيم بن عباس الصولي فقال :

للفضـــل بـــن سهـل يـــد * * تقاصـــر عنهـــا المثـــل

فنائلهـــا للغنـــى * * وسطوتهـــا للأجـــل

وباطنهـــا للنـــدى * * وظاهـــرهـــا للقبـــل [١]

وفيه يقول أبومحمد عبدالله بن محمد ، وقيل أإنه لأبي أيوب التميمي :

لعمرك ما الأشراف فـي كل بلـدة * * وإن عظموا للفضـل إلا صنائـع

ترى عظماء الناس للفضل خشعاً * * إذا ما بدا ، والفضل لله خاشع

تواضـع لمـا زاده الله رفعـــة * * وكل جليـل عنـده متواضـع [٢]

وقد وصف رجل [٣] الفضل بن سهل بوصف جمع فيه خصال الفضل بن سهل دون أن يعددها واحدة واحدة ، بقوله : « **أيها الأمير ؛ اسكتني عن وصفك تساوي أفعالك في السؤدد ، وحيرني فيها كثرة عددها ، فليس لي إلى ذكر جميعها سبيل ، وإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها ، إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر ، ولست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها** » . [٤]

---

١ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤/٤٣ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٤/٤٣ .

٣ ـ أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ : كتاب الحيوان ، ٢/٩٢ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط٣ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٨هـ/١٩٦٩ . ذكر أن اسمه جعفر الضبي .

٤ ـ المصدر السابق ، ٢/٩٢ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٢/٣٤٣ .

٦ ـ نشاطه وأعماله :

من العرض السابق لحياة الفضل بن سهل يتبين أنه كان فارسياً من أولاد ملوك الفرس ، وأبوه كان قهرماناً لبيت النار في فارس ثم أسلم في عهد الرشيد ، ومن ثم استخدمه لما رأى فيه من الفصاحة والفطنة والذكاء والبلاغة ، وحسن السياسة ، والكياسة وقدرته على أن يكون كاتباً للمأمون ؛ فأول ما عين الفضل بن سهل في البلاط العباسي ، عين كاتباً للمأمون لما يجب أن يتصف به الكاتب من الفصاحة والبلاغة فمن بلاغته قوله : « **الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخر الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة أخي القدرة ، وإن لم نصن وجوهنا عن سؤالك ، فصن وجهك عن ردنا ، وضعنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأميلك** » . [١] ووصفه سعيد بن هويم بالناطق . [٢]

ولقد تولى الفضل بن سهل تربية المأمون بعد مقتل البرامكة فلازمه فأصبح مستشاره ومدبر أموره منذ ذلك العهد [٣] ، فكان دائماً يدبر ويخطط للمأمون لما رأى اعتلال صحة الرشيد وخروجه فقال له : « **لست تدري ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان وهي ولايتك ، ومحمد المقدم عليك ، وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك ، وهو ابن زبيدة ، وأخواله بنوهاشم ، وزبيدة وأموالها ، فأطلب إليه أن يشخصك معه . فسأله الإذن فأبى عليه ، فقال الفضل بن سهل للمأمون قل له : أنت عليل ، وإنما أردت أن أخدمك ، ولست أكلفك شيئاً . فأذن له وسار** » . [٤]

---

١ ـ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٣/٢ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٣٥٣/٢ .

٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٢٣/٥ ، ١٢٧ .

٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٣٨/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٢٧/٥ .

إذا كان خروج المأمون مع الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م برأي ومشورة الفضل بن سهل بعد أن علم بأمر خروجه ومرضه ، وكان الرشيد قد استخلف على بغداد محمداً الأمين ، وقد استفاد المأمون من هذه الرحلة بأن جدد له الرشيد البيعة على القواد الذين معه ، وطلب منهم تسليم المأمون جميع ما في معسكره لوحدث به حادث ، ومن ثم وجهه إلى الري ومعه القواد وتوفي الرشيد بطوس من السنة نفسها تاركاً المأمون بمرو [١] والأمين ببغداد . [٢]

وبذلك تتضح الأمور لأن المصادر ذكرت أن الرشيد جدد البيعة للمأمون على من معه وهو بخراسان وقبيل وفاته ، ويرجح أنه لم يكن الرشيد هو الذي أوصى بأنه يسلم كل ما في المعسكر للمأمون ، بل ربما يكون قد فعل ذلك أتباع المأمون وأولياؤه وعلى رأسهم الفضل بن سهل ، فقد خططوا لذلك من قبل الخروج فطلبوا من المأمون الخروج مع الرشيد بحجة تمريضه وخدمته ، ثم يتركه ويتوجه إلى مرو وهو في أشد مرضه ، إذا لم يكن الخروج بهدف الخدمة وإنما بهدف السيطرة وتجديد البيعة له .

انضم الفضل بن الربيع إلى الأمين ، وظل الفضل بن سهل ملازماً للمأمون يضع له الخطط والمؤامرات ليصل إلى الخلافة ، ويحرضه بعدم التنازل عن حقوقه ، كما وضع له الخطط لتقديمه وجعل أهل خراسان يحبونه ويميلون إليه . وأخذ يقوي عزم المأمون على محاربة أخيه الأمين [٣] . كما اتخذ الفضل بن سهل العيون والجواسيس على الأمين ، وكانوا من رجال الأمين . [٤]

---

١ ـ مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان وقصبتها . للاستزادة انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١١٢/٥ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٣٨/٨ ـ ٣٤١ .

٣ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٠ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٦/٨ .

إذاً فالفضل بن سهل هو الذي أشعل نار الفتنة بين الأخوين الأمين والمأمون ، وكان يهدف من ذلك تنحية العرب عن السلطة لتحويل الخلافة إلى الفرس ، لأنه كان يتعصب للقومية الفارسية ، ويميل إلى إحيائها وبعثها من جديد في نفوس الفرس ، فقد روي أنه قال لأبي محمد اليزيدي [١] في عهد الرشيد عندما أخبره بمكانته لدى المأمون ورأيه فيه ، وأنه سوف ينال المال الوفير من المأمون بقوله : « **إن الأمير جميل الرأي فيك ، مستخف لك ، حامد لخدمتك ، وإني لأرجو أن يبلغك الله مبلغاً تتمكن منه معه ، وتملك ألف ألف درهم . فاستشرى الفضل غضباً ، ثم قال : ما هذا الكلام ؛ أها هنا موجدة ؟ أها هنا حقد ! أها هنا حقد ! أها هنا ما يوجب هذا ! فقال له : ما أنكرت حتى أخرجك إلى هذا ، مع مودتي لك ، وميلي إليك فقال له : تقول لي تملك ألف ألف درهم ؟ قال أبو محمد : فما أنكرت ، وما الذي تريده ، قال الفضل بن سهل : والله ما صحبت هذا الأمير لأكسب معه مالاً قل أو كثر وإن همتي لتتجاوز كل ما يجوز أن يملك فلما صحبه الفضل بن سهل أخرج خاتمه من يده ، ثم قال الفضل بن سهل لأبي محمد : ليجوز طابع هذا في الشرق والغرب ، لهذا خدمته ولهذا صحبته** » . [٢]

كما روي أن نعيم بن خازم قال للفضل بن سهل ذات يوم أمام المأمون عندما أراد مشاورته في أمر البيعة بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا [٣] ،

---

١ ـ أبومحمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي ، عالم بالعربية والأدب ، من أهل البصرة ، كان مؤدباً للمأمون توفي في عهد المأمون بمرو وله مؤلفات عظيمة . للاستزادة انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٨٣/٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٦٣/٨ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٠ .

٣ ـ علي بن موسى بن جعفر الكاظم بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه موسى قتل على يد السندي مسموماً ١٨٣هـ/٧٩٩م وله من الأولاد ٣٧ بين ذكور وإناث وكان علي الرضا الثامن بين إخوته ، ويكنى بأبي الحسن ويلقب بالرضا والصابر والزكي والولي ، وهو الإمام الثامن من أئمة الاثنى عشرية ولد ١٥٣هـ/٧٧٠م وقيل ١٥١هـ/٧٦٨م وتوفي ٢٠٢هـ/٨١٧م وقيل ٢٠٣هـ/٨١٨م . للاستزادة انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٨/٨ ؛ أبومحمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ١٢/٢ ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ؛ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ١/ق ٢١٣ ـ ٢١٥ .

فقال نعيم : « **إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال عليهم ، فتصير الملك كسروياً ؛ ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده ، وهي البياض ، إلى الخضرة ، وهي لباس كسرى والمجوس** » . [١]

ولم يكتف الفضل بن سهل بما أحدثه من فتنة في الدولة ، بل أضاف إلى سجل أعماله أنه كان يحرض المأمون ويدفعه إلى فصل خراسان وما يحيط بها من أقاليم عن الدولة العباسية [٢] . وتمكن في نهاية الأمر من القضاء على الأمين فقد كان مقتل الأمين انتصاراً للفضل بن سهل خاصة والفرس عامة وبتولي المأمون الخلافة أصبح الفضل بن سهل وزير المأمون [٣] ، ولقب بالوزير الأمير لأنه تعدى منصب الوزير وصلاحياته ، كما كانت صلاحيات وسلطات البرامكة في عهد الرشيد ، فقد جلس لقضاء حوائج الناس ، فقد ذكر أنه قال يوماً لثمامة بن الأشرس : « **ما أدري ما أصنع بطلاب الحاجات ، فقد كثروا علي وأضجروني . فقال له : زل عن موضعك وعلي أن لا يلقاك أحد منهم . قال : صدقت ، وانتصب لقضاء أشغالهم** » . [٤]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٢ ـ ٣١٣ ؛ أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ٤٧/١ ، ط١٠ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٣٥١هـ/١٩٣٢م . ذكر الجهشياري أن الفضل بن سهل جعل المأمون يتخذ الخضرة شعاراً للدولة العباسية الجديدة بدلاً من السواد ، لرغبته في جعل الخلافة كسروية لعدم اتخاذه البياض شعار العلويين ، بينما ذكرت بعض المراجع التاريخية أن البياض شعار العلويين والفرس والقادة والولاة العباسيين والأمويين ، وجميع الثائرين على الدولة بهدف التعبير عن مخالفتهم للدولة . أما اختيار المأمون للخضرة ؛ لأنه لباس أهل الجنة ، وليس لأنه لباس الفرس . للاستزادة انظر فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ٢٤٧ ـ ٢٥٦ ، بيروت ، دار القلم .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٩/٨ .

٣ ـ حسن محمود ، أحمد الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ١١٧ ، ط٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

٤ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٠/٣ ؛ اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٦/٢ ـ ٧ .

٧ ـ وفاتـــــه :

توفى الفضل بن سهل يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر شعبان ٢٠٢هـ/٨١٧م بمدينة سرخس ، عندما كان مع جيش المأمون في طريق عودته إلى بغداد [١] . اغتاله نفر وهم **عبدالعزيز بن عمران الطائي ، ومويس بن عمران البصري** [٢] ، **وخلف بن عمر المصري ، وعلي بن أبي سعيد** ، وسراج الخادم ، فدخلوا عليه في الحمام وقتلوه وهربوا ، فلما علم المأمون بذلك أمر بالقبض عليهم وجعل لمن يقبض عليهم جائزة ، ثم أمر بقتلهم . [٣]

اغتيل الفضل بن سهل وعمره ثمانية وأربعون عاماً [٤] . وقد اختلفت الروايات حول عمره حين وفاته [٥] ، ولكن الراجح أنه توفي وعمره ٤٨ عاماً . لأنه ولد ١٥٤هـ/٧٧١م وقتل ٢٠٢هـ/٨١٧م أي مدة ٤٨ عاماً ، عاش فيها حياة مليئة بتدبير المؤامرات والخطط والكيد لكل من يقف في وجهه ووجه طموحاته وأهدافه الخاصة .

---

١ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٢ . ذكر أنه قتل في يوم الإثنين ٥ شعبان ٢٠٢هـ/٨١٧م ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٣/١٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٢/٣ . ذكر أنه قتل يوم الجمعة ٢ شعبان ٢٠٢هـ/٨١٧م وقيل الخميس ٢ شعبان ٢٠٢هـ/٨١٧م ؛ اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٧/١ . ذكر أنه قتل يوم الجمعة ٢ شعبان ٢٠٢هـ/٨١٧م وروي أنه توفي ٢٠٣هـ/٨١٨م ؛ الذهبي : تاريخ دول الإسلام ، ١٢٦/١ .

٢ ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٥٠٩/٢ . ذكر أن اسمه موسى بن عمران .

٣ ـ أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٤٣ ، تحقيق : على حبيبة ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٤٣/١٢.

٤ ـ القيرواني : زهر الآداب ، ٢٥٣/٢ .

٥ ـ البغدادي : المصدر السابق ، ٣٤٣/١٢ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ٢١٢/٣ . ذكر أنه قتل وعمره ٤١ عاماً ؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢١٢/١ ، المطبعة الوهبية : ١٨٦٨م/١٢٨٥هـ . ذكر أنه قتل وعمره ٤١ عاماً .

روي : « **أن الفضل بن سهل ذكر قبل وفاته أنه يعيش ثمانية وأربعين عاماً ثم يقتل بين ماء ونار** » [١] ، وفي هذه الرواية يتضح فيها اعتماد الفضل على التنجيم وهذا علم بالغيب وهو محرم في الإسلام ، كما أنه لو صدق في روايته وإدعائه لكان احتاط لنفسه ولم يوقع نفسه في التهلكة .

---

١ ـ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٠/١٠٠ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٢/٤ ـ ٥ .

الفصل الثالث :

تولي الأمين الخلافة ودور الفضلين في الخلاف بين الأخوين

١ ـ عهد الرشيد لأبنائه بولاية العهد .

٢ ـ أثر هذا النظام في الأبناء والأتباع .

٣ ـ دور الفضل بن الربيع في الفتنة .

٤ ـ دور الفضل بن سهل في الفتنة .

٥ ـ تطور الصراع بين الأخوين .

٦ ـ الخطوات التي اتخذها الأمين لخلع أخيه .

٧ ـ الصراع العسكري .

٨ ـ بداية المعركة .

٩ ـ نهاية الصراع بين الأخوين .

١٠ـ اختفاء الفضل بن الربيع .

١ ـ عهد الرشيد لأبنائه بولاية العهد :

لقد بدأ الرشيد عهده بعقد ولاية العهد لمن يكون خليفته بعد وفاته ، وكان للرشيد حينما أراد البيعة لولي العهد ابنان فقط هما : المأمون المولود ليلة الجمعة ١٥ ربيع الأول ١٧٠هـ/٧٨٦م ، والأمين المولود يوم الجمعة ١٣ شوال من السنة نفسها [١] . إذ كان الفرق بينهما هو مجرد بضعة أشهر [٢] ، ولم يكونا شقيقين فأم المأمون أمة فارسية اسمها مراجل بينما أم الأمين سيدة عربية وهي زبيدة ابنة عم هارون الرشيد [٣] . فالأمين إذاً عربي هاشمي الأم والأب ؛ وهو ما لم يجتمع لغيره من الخلفاء سوى علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي بن أبي طالب . [٤]

لذلك عندما فكر الرشيد في أخذ البيعة لولاية العهد ، كان عيسى بن جعفر أخو زبيدة قد بدأ في العمل والتخطيط لجعلها لابن أخته الأمين ، فأوعز للفضل بن يحيى بأن يشير للرشيد بهذا الأمر ، مبيناً له أن ذلك سوف يقوي من مركزه لدى الرشيد ، وابنه الذى يتولى تربيته .

ولعل من أسباب رغبة عيسى بن جعفر في البيعة بولاية العهد للأمين ، أنه رأى أن الرشيد عندما بويع لم يكن له ابن كبير راشد تكون له الخلافة من بعده ، فطمع بنو العباس بالخلافة ؛ فكانت أول خطوة قام بها الفضل بن

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٣٣/٨ .

٢ ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٢١ .

٣ ـ أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروفة بزبيدة زوجة هارون الرشيد وأم ولده الأمين . للاستزاده انظر البغدادي : تاريخ بغداد ، ٤٣٣/١٤ ـ ٤٣٤ .

٤ ـ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٥/٩ . ذكر أنه لم يكن هاشمي سوى علي بن أبي طالب ولم يذكر الحسن ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٥٩/٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٨١ ، بيروت ، دار الفكر : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠٧/٣ . ذكر أنه لم يكن هاشمي سوى علي بن أبي"طالب ولم يذكر الحسن"ابنه .

يحيى في سبيل عقد البيعة بولاية العهد للأمين ، أنه عندما ولاه الرشيد ولاية خراسان ، أجمع على البيعة لمحمد الأمين ، فما أن وصل خراسان حتى فرق في أهلها أموالاً ، وأعطى الجند أعطيات متتابعات ،ثم تلاه بإظهار البيعة لمحمد بن الرشيد ، فبايع الناس له وسماه الفضل بن يحيى بالأمين [١] . بينما تذكر بعض المصادر أن والده الرشيد هو الذي أطلق عليه لقب الأمين . [٢]

فأرسل الفضل بن يحيى وفداً إلى بغداد وفيهم الشاعر محمد بن ذؤيب العماني [٣] لإعلام الرشيد بأمر البيعة ، وحثه على ذلك [٤] . فما أن وصل الوفد إلى بغداد حتى وقف أمام الرشيد يتقدمهم شاعرهم العماني ، قائماً بحضرة الرشيد خطيباً ، فأخذ يقرظ محمداً الأمين ، ويحضه على البيعة بولاية العهد لمحمد ، وأنشد الأبيات الآتية :

لما أتانا خبر مشهر

أغر لا يخفى على من يبصر

قلت لأصحابي ووجهي مسفر

فازبها محمد فأبشروا [٥]

---

١ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٧٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/١٦٥ .

٢ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٦٩ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٩٢ .

٣ ـ محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي ، أبوالعباس العماني ، شاعر خرج من الجزيرة إلى عمان وأقام بها فنسب إليها ، وهو من شعراء الدولة العباسية عاش ١٣٣ عاماً . انظر الزركلي : الأعلام ، ٦/١٢٣ .

٤ ـ ذكرت فيما سبق أنه من غير المعقول أن يبايع الفضل بن يحيى للأمين بدون علم الرشيد والراجح أنه تم ذلك بموافقة ومشورة الرشيد وفقاً لرغبته . انظر الفصل التمهيدي ، ص ٢٨ .

٥ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٦٢ .

فلما فرغ العماني من كلامه ، قال له الرشيد : « **أبشر يا عماني بولاية العهد له** » . [١]

ولما بلغ الرشيد خبر البيعة بخراسان للأمين ، ومبايعة أهل المشرق له ، بايع هو أيضاً له ، وكتب كتاباً بالبيعة وبعثها إلى الآفاق يطلب البيعة للأمين ، فبايعت جميع الأمصار محمداً الأمين [٢] وكان عمره خمس سنوات [٣] . فأنشد في أمر هذه البيعة كثير من الشعراء منهم سلم الخاسر قائلاً :

قد وفق الله الخليفة إذ بنى * * بيت الخليفة للهجان الأزهر

فهو الخليفة عن أبيه وجده * * شهدا عليه بمنظر وبمخبر

قد بايع الثقلان في مهد الهدى * * لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر [٤]

كما أنشد في ذلك النمري :

أمست بمرو على التوفيق قد صفقت * * على يد الفضل أبدى العجم والعرب

ببيعة لولي العهد أحكمها * * بالنصح منه وبالإشفاق والحدب

قد وكد الفضل عقداً لا انتقاض له * * لمصطفى من بني العباس منتخب [٥]

عندما بويع الأمين بولاية العهد أخرج للقادة فقام عبدالصمد بن علي قائلاً : « أيها الناس لا يغرنكم صغر السن ، فإنها الشجرة المباركة ، أصلها ثابت

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣٦٢/٣ .
٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٤٠/٨ ـ ٢٤١ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٩٢ .
٣ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٠٨/٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٨١/٢ ؛ مجهول : المصدر السابق ، ٣٩٢ .
٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٤٠/٨ .
٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٤٠/٨ ـ ٢٤١ .

وفرعها في السمـاء » [١] ثم نثر على القادة الدراهم والدنانير ، وفأر المسك ، وبيض العنبر ، وأموالاً عظيمة . [٢]

فكان من نتـائج البـيعـة للأمين بولاية العـهـد ، أن ظهـرت الخـلافـات بين العباسيين فبعضهـم كان يؤيد ويميل إلى بيعة الأمين ، لأن أمه السيدة زبيدة عباسية عربية ، وفريق ثان أنكر بيعته لصغر سنه ، ويرون أن المأمون أولى بها لأنه الأكبر . وفريق ثالث أنكر البيعة لتطلعهم للخلافة وجعلها لأنفسهم ، ويرى عـدم أحقيـة كلاً من الأمين والمأمون ، فالأمين لصغر سنه ، والمأمون لأن أمه غير عربية . [٣]

وروي أن الرشيد كان يريد البيعة لعبدالله المأمون ، لأنه يكبر الأمين بسبعة أشـهـر ، ولما اتصف به من صـفـات نبـيلة ، ولكنه عـدل عن ذلك وبايع للأمين بتأثير من زبيدة [٤] .

والراجح أنه لا يعتقد أن الرشيد يقدم ويبايع للأمين لمجرد تلبية رغبة زبيدة فقط . وعدم رغبة لديه إلى هذه البيعة ، لأنه يدرك أن الخلافة أمانة ولا يمكن للعواطف أن يكون لها دخل أو أثر في ذلك .

إذاً من الأسباب التي دعـت الرشـيد إلى البيعة للأمين هو إرضاء زبيدة ، وقد عرف في التاريخ مكانة زبيدة لدى الرشيد . فذكر أن البيعة للأمين كانت نزولاً على رغبة زبيدة [٥] . حتى إنه قال : « **ولولا أم جعفر ، وميل بني هاشم**

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٠٨/٢ .
٢ ـ المصدر السابق ، ٤٠٨/٢ ؛ ابن تغردي بردي : النجوم الزاهرة ، ٨١/٢ .
٣ ـ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٩٢ .
٤ ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العـرب ، ٢١ .
٥ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٦٩ .

إليه لقدمت عبدالله عليه » [١] وذلك لأن زبيدة كانت دائماً تحث الرشيد على البيعة بولاية العهد لابنها محمد الأمين ، وتفضيله على المأمون .

ويذكر صاحب الإمامة والسياسة أن زبيدة قالت للرشيد في ١٩٤هـ/٨١٠م عندما أنهكته الحمى واشتد ألمه ، لمرض أصابه ، وكان قد بايع للأمين والمأمون ، فلما سمعت زبيدة بأمر البيعة ، غضبت وهجرت الرشيد وتغاضت عنه ، فحزنت وغمت لذلك ، فظهر ذلك على وجهها ، ثم دخلت على الرشيد تعاتبه بشدة ، وتؤاخذه على سلوكه تجاه البيعة لولاية العهد فقال لها : « ويحك إنما هي أمة محمد ، ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقاً بعنقي ، وقد عرفت ما بين ابني وابنك ، ليس ابنك يا زبيدة أهلاً للخلافة ، ولا يصلح للرعاية ، قالت : ابني والله خير من ابنك ، وأصلح لما تريد ، ليس بكبير سفيه ، ولا صغير فهيه [٢] ، واسخى من ابنك نفساً ، وأشجع قلباً . فقال الرشيد : ويحك إن ابنك قد زينه في عينيك ما يزين الولد في عين الأبوين ، فاتقي الله ، فو الله إن ابنك لأحب إلي ، إلا أن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان أهلاً لها ، ومستحقاً لها ، ونحن مسؤلون عن هذا الخلق ، ومأخوذون بهذا الأنام ، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم ، وننقلب إليه بإثمها ، فاقعدي حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك فقعدت معه على الفراش ، فدعا ابنه عبدالله المأمون ، فلما صار بباب المجلس ، سلم على أبيه بالخلافة ، فأذن له بالجلوس فجلس ، وأمر له فتكلم ، فحمد الله على ما من به عليه من رؤية أبيه ، ورغب إليه في تعجيل الفرج مما به ، ثم استأذن في الدنو من أبيه ، فدنا منه ، وجعل يلثم أسافل قدميه ، ويقبل باطن راحتيه ، ثم انثنى ساعياً إلى زبيدة ، فأقبل على تقبيل رأسها ، ثم انحنى إلى قدميها ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقال الرشيد : يا بني إني أريد أن أعهد إليك عهد الإمامة ، وأقعدك مقعد الخلافة ، فإني قد رأيتك لها أهلاً وبها حقيقاً ، فاستعبر عبدالله المأمون باكياً ، وصاح منتحباً يسأل الله العافية من ذلك ، ويرغب إليه أن لا يريه فقد أبيه . فقال له : يا بني إني أراني لما بي وأنت أحق ، وسلم الأمر لله ، وأرض به ، وأسأله العون عليه ، فلابد من عهد يكون في يومي هذا . فقال عبدالله المأمون : يا أبتاه ، أخي أحق مني

---

١ ـ الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ١١٩ .

٢ ـ فهيه : من فه الشيء أي نسبه ، وتأتي بمعنى العيي اللسان الكليل عن حاجته ، وتأتي بمعنى السقطة والجهلة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٥٢٥/١٣ .

وابن سيدتي ، ولا أخال إلا أنه أقوى على هذا الأمر مني ، ثم أذن له فقام خارجاً . ثم دعا هارون بابنه محمد ، فأقبل يجر ذيله ، ويتبختر في مشيته ، فمشى داخلاً بنعليه قد نسي السلام ، وذهل عن الكلام ، نخوة وتجبراً ، وتعظماً وإعجاباً ، فمشى حتى صار مستوياً مع أبيه على الفراش ، فقال هارون . ما تقول أى بني ، فإني أريد أن أعهد إليك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، ومن أحق بذلك مني ، وأنا أسن ولدك ، وابن قرة عينك ، فقال هارون : أخرج يا بني ، ثم قال لزبيدة : كيف رأيت ما بين ابني وابنك ؟ فقالت ابنك أحق بما تريد ، فكتب عهد عبدالله المأمون ثم محمد الأمين بعده » . (١)

من العرض السابق لرواية ابن قتيبة الدينوري يلاحظ ما يأتي :

أ ـ ذكر ابن قتيبة الدينوري أن زبيدة عتبت على الرشيد أمر ولاية العهد للأمين والمأمون ١٩٤هـ/٨١٠م في أثناء مرضه ، والوارد ذكره في المصادر أن الرشيد قد توفي ١٩٣هـ/٨٠٩م فكيف تم ذلك !

ب ـ مبالغة الراوي في وصف القصة وذلك عن طريق وصف هجر السيدة زبيدة لزوجها الرشيد أثناء مرضه من أجل ولاية العهد وقد عرف لزبيدة حبها للرشيد وحب الرشيد لها . كما أنه لا يمكن أن تهجر الزوجة زوجها في أي وقت ، فكيف إذا كان مريضاً ؟ ومن أجل أمر دنيوي ؟ وكيف إذا كان ذلك من زوجة مسلمة اشتهرت بالتقوى وحبها لأعمال الخير مثل السيدة زبيدة !

جـ ـ تشويه المؤرخ لصورة الأمين ، بالمبالغة في ذكر عيوبه وأنه ليس أهلاً للخلافة ، ولا يصلح لها لذلك بايع للمأمون . فكيف يبايع الرشيد لشخص لا يصلح للخلافة وهو يدرك أن الخلافة أمانة في ذمته ، ويدرك مدى إثمها على من يختاره خليفة وولي للعهد في حياته وفي آخرته ، وأنه سوف يحاسب عليها يوم القيامة ، وإذا حدث واختاره خليفة للمسلمين بالرغم من سوء صفاته وأخلاقه فهل يكون باختياره المأمون ولياً للعهد من بعده قد أصلح ما أفسده بتولية الأمين ، فالإصلاح يكون بالحل

---

١ ـ ابن قتيبة الدينوري : ١٧٣/٢ .

الجذري الذي ينهي المشكلة نهائياً ، لا أن يصلح الخطأ بخطأ أكبر منه وتقسيم الدولة وتفكيك وحدة المسلمين .

د ـ محاولة تصوير الراوي مدى حب الرشيد للمأمون بوصفه ابنه أما الأمين فكان يصفه بابنك ، وكأن ليس كلاهما ابناً للرشيد وإن اختلفت الأمهات .

هـ ـ المبالغة في وصف الأمين بالصفات السيئة التي تقلل من قيمته ومكانته ليزداد كره القارئ كرهاً للأمين ، والمبالغة في تصوير المأمون بالصفات الحسنة من أجل كسب عطف القارئ وتأييده في صلاحيته للخلافة .

و ـ ذكر ابن قتيبة الدينوري أن الأمين قال للرشيد عندما أخبره باختياره للخلافة أنه أجابه بأنه أسن ولده لذلك هو أحق بالخلافة ، بينما المعروف لديه ولدى الجميع أن المأمون ؟ أسن منه بسبعة أشهر ، وهو بذلك أحق بالخلافة منه إذا نظر لعامل العمر .

ز ـ كما يلاحظ التلفيق في مجمل الرواية السابقة من خلال أحداثها لأنه ذكر في آخر الرواية أن الرشيد بعد جلسته مع زبيدة وعقد المقارنة بين الأمين والمأمون ، كتب عهد المأمون ثم عهد الأمين والصحيح ما ذكرته المصادر أنه كتب العهد للأمين ثم المأمون . كما أنه ذكر في مقدمة الرواية أنه عندما كتب أمر ولاية العهد للأمين والمأمون دخلت عليه السيدة زبيدة في أمر ولاية العهد ، ثم ذكر بعد ذلك أنه أدخل ولديه ليستشيرهما في أمر ولاية العهد ، وانتهى الأمر بكتابة العهد للمأمون ثم الأمين . كما ذكر أن الرشيد كتب العهد للمأمون والأمين ١٩٤هـ/٨١٠م والوارد ذكره في المصادر أن الرشيد بايع للأمين ١٧٥هـ/٧٩١م وبايع للمأمون ١٨٢هـ/٧٩٨م وبايع للمؤتمن ١٨٦هـ/٨٠٢م . وكتب العهد بمكة في حج ١٨٦هـ/٨٠٢م . وعلقهما بالكعبة .

كما أورد ابن العمراني رواية يذكر فيها دور زبيدة في ولاية العهد بقوله : « وكانت زبيدة تعاتبه دائماً وتقول : أنت تحب عبدالله أكثر من ابني . فقال لها يوماً ، وقد ذكرت له ذلك : تريدين أن أعرفك الفرق بين محمد وبين عبدالله ؟ قالت الأمر لك . فدعا خادمين وقال لأحدهما : امض إلى محمد واجلس عنده وانبسط في الحديث ثم قل له في أثناء كلامك ، يا سيدي : إذا أفضت الخلافة إليك ماذا تصنع معي ؟ وقال للآخر : امض إلى عبدالله واجلس عنده وتحدث معه ، وقل له في أثناء حديثك مثل هذا . وأعد علي ما يكون في جوابه . فمضيا ولبثا ساعة وعاد الخادم الذي أنفذه إلى محمد وعنده جماعة من المطربين والمساخر <١> والصفاعنة <٢> والمخانيث <٣> ، وهو يشرب وهم يتصافعون ويتشاتمون ، وهو يضحك . فجلس الخادم ، وتحدث كما أمره الرشيد ، فقال الخادم للرشيد : فقلت في أثناء كلامي : يا سيدي ؛ إن أفضت الخلافة إليك ما تصنع بي ؟ فقال له الأمين : أعطيك كذا وكذا ألف دينار ، وأقطعك الضيعة الفلانية ، وأفعل معك وأصنع ، وبينما هم في الحديث جاء الخادم الآخر . فقال له الرشيد : هات ما عندك . قال : يا أمير المؤمنين دخلت على عبدالله ، فرأيت مجلسه مغتصا بالفقهاء والشعراء والقراء وأصحاب الحديث وهو يفاوضهم ؛ فصبرت حتى تقوض المجلس ودنوت منه ودعوت له . وقلت يا سيدي ؛ أرى والله مخايل النجابة عليك ، وإني لأشتم من أعطافك روائح الخلافة ، فإن أفضت إليك فماذا تصنع معي ؟ فما سمع هذا الكلام حتي استشاط غضباً ، وأخذ دواة كانت بين يديه فرماني بها وقال : بل يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويديم دولته ، ويمد في عمره ويجعلنا فداه . ويلك قد جئت تبشرني بموت أبي وتطلب مني عند ذلك مراعاتي لك وإحساني إليك ؟ لا أرانا الله يومه وقدمنا قبله . فلما سمع الرشيد جوابهما وزبيدة أيضاً تسمع قال لها : أتلومنني على الميل إلى عبدالله أكثر من محمد ؟ والله ثم و الله لولا مراقبتي لك وإشفاقي على قلبك لخلعت محمداً من العهد وقدمت عبدالله عليه » . <٤>

١ ـ المساخر : مشتقة من السخرة وهي بمعنى الضحكة وقيل بمعنى الهزء ، ورجل سخرة أي يسخر منه . ابن منظور : لسان العرب ، ٣٥٣/٤ .

٢ ـ الصفاعنة : هم الرجال الذين يضربون ببسط الكف على قفاهم أو على أبدانهم . انظر المصدر السابق ، ٢٠٠/٨ .

٣ ـ المخانيث : جمع خنثى وهو الذي لا يخلص لذكر أو لأنثى والانخنات هو التثني والكسر . المصدر السابق ، ١٤٥/٢ .

٤ ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩٦ ـ ٩٧ .

يلاحظ في الرواية السابقة محاولة لإظهار الأمين وتصويره بمظهر العابث اللاهي بالشراب ، وذلك بتصوير أصحابه وجلسائه ، فقد كانوا من المطربين والصفاعنة والمخانيث والمساخر . أما المأمون فيحاولون دائماً تصويره بأحسن الصور ، فقد ذكر أن أصحابه وجلساءه كانوا من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء وأصحاب الحديث .

كما تذكر الرواية أن الرشيد لم يستشير الأمين والمأمون في أمر ولاية العهد بعد المبايعة ، بل أرسل خادميه ليريا صدى موت الرشيد على قلب كلٍ منهما ، وصدى الخلافة عليهما في أقوالهما وأفعالهما ، وليرى مكانته لدى كلٍ منهما . ولم يذكر فيها أن الأمين غير أهلٍ للخلافة بصورة واضحة ومباشرة ، ولم يذكر أنه يريد خلعه لعدم صلاحيته لها وصلاحية المأمون لها . وذكر أنه يميل للمأمون لذلك بايع له .

ويتضح منها مكانة زبيدة لدى الرشيد وإن كان ميله للمأمون في ولاية العهد ، إلا أنه صرفه عنها إلى الأمين نزولاً عند رغبة زبيدة . ويتضح لنا من الروايتين السابقتين لابن قتيبة الدينوري وابن العمراني مدى التناقض بينهما ، فبينما ينسب ابن قتيبة الدينوري ميل الخليفة لابنه الأمين يذهب ابن العمراني إلى العكس ، إلا أنهما متفقان في إبراز صورة المأمون على أنه الرجل الصالح لولاية العهد .

ولكن يتضح لنا من استقراء النصوص التاريخية الواردة في هذا الموضوع والتي تشير إلى ورع الخليفة ورغبته في إسناد ولاية العهد لمن تتحقق فيه الصفات الواجبة لهذه الولاية ، لإدراكه مدى عظم مهمة من يتولى أمر المسلمين . ويمكننا أن نوفق بين هذا التضارب في الروايات أن رغبة الخليفة الشخصية للأمين ، وأنه الرجل المناسب لهذه المهمة لم تكن مصادفة وإنما توافقت مع أهلية الأمين لهذا المنصب ، إلى جانب حظوة والدته لديه الأمر الذي أثار الكثير من التساؤلات السابقة ، ولعل أبلغ الشواهد على ما سبق ما أورده المسعودي في قصة الشاعر الذي دخل على الخليفة وأنشد بعض الأبيات التي يطلب فيها البيعة للأمين فبشره الخليفة بذلك فقال

له العماني : « أي والله يا أمير المؤمنين ، سرور العشب بالغيث ، والمرأة النزور <١> بالولد ، والمريض المدنف <٢> بالبرء ، قال الرشيد : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنه نسيج وحده ، وحامي مجده ، شبيه جده ، قال : فما تقول في عبدالله ؟ قال : مرعي ولا كالسعدان . فتبسم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابي ، ما أعرفه بمواضع الرغبة ، أما والله إني لأتعرف في عبدالله حزم المنصور ، ونسك المهدي وعز نفس الهادي ، ولو شأ الله أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها » . <٣>

وأضاف الأربلي بقوله : « والله إني لأتعرف في عبدالله يعني المأمون حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعز نفس الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة في لنسبته ، إني لأرضى سيرته وأحمد طريقته واستحسن سياسته وأرى قوته وذهنه ، وآمن ضعفه ووهنه ، وإني لأقدم محمداً عليه وأعلم أنه منقاد لهواه متصرف في طريقه مبذر لما حوته يده مشارك للنساء والإماء في رأيه ، ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقدمت عبدالله عليه ، ثم جعل يرى فضل المأمون وعقله فندم على تقديم محمد » . <٤>

كما أورد المسعودي رواية أخرى عن الأصمعي يقول فيها : « بينما أنا أسامر الرشيد ذات ليلة إذ رأيته قد قلق قلقاً شديداً فكان يقعد مرة ويضجع مرة ويبكي أخرى ثم أنشأ يقول :

قلد أمور عباد الله ذا ثقة * * موحد الرأي لانكس ولا برم

واترك مقالة أقوام ذوي خطل * * لا يفهمون إذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمراً عظيماً ، ثم قال لمسرور الخادم : علي بيحيى ، فما لبث أن أتاه فقال : يا أبا الفضل ، إن رسول الله ﷺ مات في غير وصية ، والإسلام جذع <٥> ، والإيمان جديد ، وكلمة العرب مجتمعة ، قد آمنها

١ ـ المرأة النزور : المرأة القليلة الولد . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٠٣/٥ .

٢ ـ مدنف : من دنف والدنف المرض الملازم ، ومدنف : أي براه المرض حتى أشرف على الموت . انظر المصدر السابق ، ١٠٧/٩ .

٣ ـ مروج الذهب ، ٣٦٢/٣ .

٤ ـ خلاصة الذهب المسبوك ، ١١٩ .

٥ ـ جذع : حديث يقال فلان في هذا الأمر جذع إذا كان أخذ فيه حديثاً . ابن منظور : المصدر السابق ، ٤٤/٨ .

الله تعالى بعد الخوف ، وأعزها بعد الذل ، فما لبث أن أرتد عامة العرب على أبي بكر ، وكان من خبره ما قد علمت ، وإن أبابكر صير الأمر إلى عمر ، فسلمت الأمة له ، ورضيت بخلافته ، ثم صيرها عمر شورى ؛ فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت إلى غير أهلها ، وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره إلى من أرضى سيرته ، وأحمد طريقته ، وأثق بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ووهنه ، وهو عبدالله وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم ، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته ، والتبذير لما حوته يده ، ومشاركة النساء والإماء في رأيه ؛ وعبدالله المرضي الطريقة ، الأصيل الرأي ، الموثوق به في الأمر العظيم ؛ فإن ملت إلى عبدالله اسخطت بني هاشم ، وإن أفردت محمداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية . فأشر علي في هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها ، فإنك بحمد الله مبارك الرأي لطيف النظر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كل زلة مستقالة وكل رأي يتلافى خلا هذا العهد ، فإن الخطأ فيه غير مأمون ، والزلة فيه لا تستدرك ، وللنظر فيه مجلس غير هذا ؛ فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة ، فأمرني بالتنحي ، فقمت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما فما زالا في مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل ، وافترقا على أن عقد الأمر لعبدالله بعد محمد » . [١]

كما أورد المسعودي رواية ثانية ، فقال الكسائي [٢] : « دخلت على الرشيد ، فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام ، فقال : اقعد [٣]، فلم أزل عنده حتى خف عامة من كان في مجلسه ، ولم يبق إلا خاصته ، فقال لي : يا علي ، ألا تحب أن ترى محمداً وعبدالله ؟ قلت : ما أشوقني إليهما يا أمير المؤمنين وأسرني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما ، فأمر بإحضارهما ، فلم ألبث أن أقبلا

---

١ ـ مروج الذهب ، ٣/٣٦٣ .

٢ ـ علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان الإمام أبوالحسن الكسائي ، من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد إمام الكوفيين في اللغة والنحو من القراء السبعة المشهورين . سمي بالكسائي لأنه أحرم في كساء . له مصنفات كثيرة ، توفي بالري ١٨٢هـ/٧٩٨م وقد اختلف في تاريخ وفاته . للاستزاده انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣/٢٩٥ ؛ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ٢/١٦٢ ـ ١٦٤ ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، ط١ ، بيروت ، المكتبة العصرية : ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

٣ ـ أبوحنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٦٧ ، تصحيح : محمد الرافع ، ط١ ، مصر ، المكتبة الأزهرية : ١٣٣٠هـ/١٩١٢م . ذكر أنه تم ذلك بين الرشيد والأصمعي .

ككوكبي أفق يزينهما هدوء ووقار ، وقد غضا أبصارهما ، وقاربا خطوهما ، حتى وقفا على باب المجلس ، فسلما على أبيهما بالخلافة ، ودعوا له بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فدنوا ، فصير محمداً عن يمينه ، وعبدالله عن يساره ، ثم أمرني أن استقرئهما وأسألهما ، ففعلت ، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه والخروج منه ، فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه . ثم قال لي : يا علي ، كيف ترى مذهبهما وجوابهما ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين هما كما قال الشاعر :

أرى قمري مجد وفرعي خلافة ** يزينهما عرق كريم ومحتد

يا أمير المؤمنين هما فرع زكا أصله ، وطاب مغرسه ، وتمكنت في الثرى عروقه ، وعذبت مشاربه ، أبوهما أعز ، نافذ الأمر ، واسع العلم ، عظيم الحلم ، يحكمان بحكمه ، ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، ويتقلبان في سعادته ، فأمتع الله أمير المؤمنين بهما ، وآنس جميع الأمة ببقائه وبقائهما ... فقال الكسائي : فما رأيت أحداً من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب ألسناً ولا أحسن ألفاظاً ولا أشد اقتداراً على تأدية ما حفظا منهما ، ودعوت لهما دعاء كثيراً ، وأمن الرشيد على دعائي ، ثم ضمهما إليه ، وجمع يده عليهما ، فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ، ثم أمرهما بالخروج ، فلما خرجا أقبل علي ، فقال : كأنك بهما وقد حم القضاء . ونزلت مقادير السماء ، وبلغ الكتاب أجله ، قد تشتت كلمتهما ، واختلف أمرهما ، وظهر تعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى ، وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الأحياء أنهم في عداد الموتى ، قلت : أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لأمر رؤي في أصل مولدهما أو لأثر وقع لأمير المؤمنين في مولدهما ؟ فقال : لا والله إلا بأثر واجب حملته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء » . (١)

فمن الروايات السابقة يتضح لنا التناقض العجيب ، ففي الرواية الأولى ، يلاحظ من الحوار الذي تم بين الخليفة والشاعر حول الأمين والمأمون وهما صغيران لم يتجاوزا الخامسة من عمرهما ؛ فكيف تظهر عليهما ملامح النجابة والرجولة في هذه السن المبكرة .

---

١ ـ مروج الذهب ، ٣/٣٦٠ ـ ٣٦١ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣/٣٠٨ ـ ٣٠٩ . ذكر أن المحادثة تمت بين الأصمعي والرشيد .

كما يلاحظ تضارب واضح في الروايات التاريخية حول رغبة الرشيد في البيعة للأمين بولاية العهد . فالأربلي ذكر أن الرشيد كان يرغب في البيعة للمأمون ، ولم يبايع له إلا تنفيذاً لرغبة زبيدة وبني العباس وتحت ضغط منهم . ويشترك المسعودي في روايته الثانية معه بينما يناقض نفسه في روايته الأولى ، كما تناقضت الروايات ؛ يتضح ذلك من خلال الرواية الأولى والثانية للمسعودي ورواية الأربلي ؛ فهي تتفق في تشويه صورة الأمين والمبالغة في ذلك ، لأنهما كانا طفلين . بينما الرواية الثانية للمسعودي كان الوصف أدق وموضوعياً دون مبالغة ، فظهر منها أنهما كانا كفرسي رهان لا يتقدم أحدهما الآخر في علم أو معرفة أو أدب أو دين أو فضل ، فكلاهما متعادلان في الأدب كما ورد أنهما دخلا في أدب وهدوء ووقار غاضين أبصارهما ، مقاربي خطاهما ، ولم يجلسا حتى سلما على أبيهما بالخلافة ، ثم الدعاء له ، وإن كان حاول البعض تشويه صورة الأمين كما جاء في رواية ابن قتيبة (١) الدينوري ورواية الأربلي (٢) والمسعودي (٣) السابقة .

وفي مقدورنا بعد استعراض النصوص التاريخية السابقة التي تحدثت عن البيعة للأمين والمأمون أن نوجز الأسباب الكامنة وراء بيعة الأمين بما يلي :

أ – ميل بني العباس إلى البيعة للأمين بولاية العهد ، وذلك لأنه عربي الأم والأب وتمثل هذا في موقف عيسى بن جعفر من البيعة ، وطلبه من الفضل بن يحيى أن يتوسط عند الرشيد لمبايعته ومن ذلك قول الرشيد : « **فإن ملت إلى عبدالله اسخطت بني هاشم** » . (٤)

---

١ – انظر الفصل الثالث من البحث ، ص ٩٦ – ص ٩٧ .

٢ – انظر الفصل الثالث من البحث ، ص ١٠١ .

٣ – انظر الفصل الثالث من البحث ، ص ١٠١ – ص ١٠٢ .

٤ – المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٦٣ .

ب ـ تحقيق وتنفيذ لرغبة زبيدة التي كانت محببة لدى الرشيد ، وكان الرشيد لا يستطيع أن يرد لها طلباً ، وقد قال لها : « **والله ثم والله لولا مراقبتي لك وإشفاقي على قلبك لخلعت محمداً من العهد وقدمت عبدالله عليه** » . [١]

جـ ـ حُب الرشيد للأمين من قوله لزبيدة : « **إن ابنك لأحب إلي** » [٢] ، ثم إن استجابته للشاعر العماني ببيعة الأمين وتبشيره بذلك ١٧٥هـ/٧٩١م وتلقيبه بالأمين إشارة إلى تحقيق هذه الرغبة .

د ـ يرى بعض المؤرخين أن البيعة للأمين كانت ردة فعل نتيجة لموقف الرشيد من البرامكة الفرس ، فأراد الرشيد أن يبعد الفرس عن جميع الأمور ؛ فأبعد المأمون باعتباره فارسي الأم . [٣]

إلا أن اعتبار موقف الرشيد من البيعة للمأمون هو مجرد ردة فعل من الرشيد لموقفه من البرامكة رأي قد جانب الصواب لأنه لو دقق في تاريخ بيعته للأمين والمأمون ونكبة البرامكة للوحظ أن البيعة للأمين قد تمت ١٧٥هـ/٧٩١م [٤] ويعني ذلك أنها تمت بعد تسلم الرشيد للخلافة بخمس سنوات ، وهذه الفترة ، هي من أزهى فترات وزارة البرامكة . فهي الفترة التي بدأت فيها سلطة البرامكة بالاستقلال تقريباً ، وبدء مشاركة أبناء يحيى البرمكي في السلطة .

أما المأمون فقد بويع له بولاية العهد ١٨٢هـ/٧٩٨م [٥] أي قبيل نكبة البرامكة بخمس سنوات ، وأكد البيعة بكتابة كتب العهد وتعليقها بمكة

---

١ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩٧ .

٢ ـ ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ، ٢/١٧٤ .

٣ ـ إبراهيم سلمان الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٣٢ ، ط٢ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٤ ـ شوقي أبوخليل : هارون الرشيد ، ٢٩ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . ذكر أنه بايع للأمين ١٧٣هـ/٧٨٩م .

٥ ـ المرجع السابق ، ٢٩ . ذكر أنه بويع للمأمون ١٨٣هـ/٧٩٩م .

في ١٨٦هـ/٨٠٢م أي قبيل النكبة بفترة وجيزة ، لأن نكبة البرامكة تمت بعد عودة الرشيد من الحج ، وذلك في أوائل ١٨٧هـ/٨٠٣م ، وكانت البيعة للمأمون وتأكيد البيعتين بمكة جاءت تنفيذاً لرغبة جعفر البرمكي . وهذا كفيل بنفي هذا الرأي .

هـ - يرى فريق آخر من المؤرخين أن السبب في البيعة للأمين أن أمه عربية ، وأم المأمون فارسية [١] . وقد ساد في المجتمع العربي والإسلامي عرف يتضمن تقديم أولاد النساء العربيات على أبناء الإماء .

وعلى كل حال فإن الرشيد لم يكتف بأخذ البيعة بولاية العهد من بعده للأمين ، إنما زاد الأمر تعقيداً بأن عقد للمأمون ١٨٢هـ/٧٩٨م [٢] عقداً بولايته للعهد من بعد أخيه وكان ذلك برأي ومشورة جعفر بن يحيى البرمكي ، حينما نقل الرشيد المأمون من حجر محمد بن خالد بن برمك إلى حجر جعفر البرمكي . فأشار جعفر بن يحيى على الرشيد بالبيعة للمأمون بولاية العهد بعد الأمين [٣] . وذلك نتيجة لأن جعفر كان يميل إلى المأمون لأن أمه فارسية ، لذلك أيده جميع البرامكة ، ونجح جعفر والبرامكة في جعل الرشيد يعهد للمأمون بولاية العهد بعد الأمين وذلك بعد انصرافه من مكة في أوائل ١٨٢هـ/٧٩٨م ومسيره إلى الرقة ، بايع له وأخذ البيعة على الجند ، ثم أمره الرشيد بالتوجه إلى مدينة السلام ومعه من أهل بيته جعفر بن أبي جعفر

---

١ - الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٣٢ .

٢ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤١٥/٢ . ذكر أن البيعة تمت ١٨٣هـ/٧٩٩م ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٦٩/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٩/١٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٨٤/٢ . ذكر أنه بايع للمأمون ١٧٦هـ/٧٩٢م ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٣ . والراجح ما اجتمعت عليه المصادر أنه بويع للمأمون ١٨٢هـ/٧٩٨م .

٣ - الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢١١ .

المنصور وعبدالملك بن صالح ، ومن القواد علي بن عيسى ، وسار معه جعفر ابن يحيى حتى يأخذ له البيعة ببغداد ، وقام جعفر بالأمر حتى عقد أمر ولاية العهد للمأمون وأكد البيعة له ، وأخذ الأيمان والمواثيق على بني هاشم ووجوه بغداد ، ثم كاتب العمال في جميع النواحي بأمر البيعة ، ثم انصرف إلى الرقة [١] . وولى الرشيد عبدالله المأمون على خراسان وما يتصل بها إلى همذان ولقبه بالمأمون [٢] أما الأمين فجعل له ولاية العراق والشام ومصر وبلاد المغرب . [٣]

وفي ١٨٦هـ/٨٠٢م عقد الرشيد للقاسم [٤] ، وكان صغيراً في حجر عبدالملك بن صالح ، وذلك أن عبدالملك بن صالح الوصي عليه عندما علم ببيعة الرشيد للأمين وعبدالله المأمون كتب إلى الرشيد كتاباً يسأله فيه أن يجعله ثالثاً في ولاية العهد وكتب إليه الأبيات الآتية :

يا أيها الملك الذي ** لو كان نجماً كان سعداً
للقاسم أعقد بيعة ** وأقدح له في الملك زنداً
الله فرد واحد ** فاجعل ولاة العهد فرداً [٥]

---

١ ـ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٢٩٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠٦/٢ .

٢ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٦٩ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ٢٢٣ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٢/٥ .

٤ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٢٥/٢ . ذكر أنه بايع له ١٨٩هـ/٨٠٥م ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٦/٨ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٧/٦ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٣ /٣٦٤ . ذكر أنه بايع له ١٨٧هـ/٨٠٣م ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ١٠٩/٢ . ذكر أنه بايع له ١٨٣هـ/٧٩٩م ؛ إبراهيم زكي خورشيد وغيره : دائرة المعارف الإسلامية ، ٣/ قسم ٢١ / ٤٥٢ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٧٦/٨ ؛ الأزدي : المصدر السابق ، ٣٠٢ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٤ .

فكان هذا الكتاب سبباً في حث الرشيد على البيعة للقاسم وعقدها له . إذ بايعه على الجزيرة والثغور والعواصم وقنسرين [١] ولقبه بالمؤتمن . [٢]

من العرض السابق يتضح لنا أن الرشيد لم يتعظ بأخطأ سلفه بالبيعة لأكثر من واحد في ولاية العهد [٣] . ولعل هناك أسباباً دفعت بالرشيد للبيعة بولاية العهد لأكثر من واحد من ذلك :

أ - لقد مارس الهاشميون ضغوطاً كبيرة على الرشيد في البيعة للأمين بولاية العهد دون أخيه المأمون ؛ مما دفع الخليفة إلى البيعة للمأمون بعد أخيه ، كرد فعل يثبت فيه شخصيته ودوره في اتخاذ القرار . [٤]

ب - قد يكون الدافع هو رغبة الرشيد في حصر الخلافة في أعقابه ؛ بدليل أنه لم يكتف بالبيعة للأمين بل زاد في الأمر بالبيعة للمأمون ثم وثقه بالبيعة للقاسم أيضاً . وهو بهذا العمل قد تعدى حدود اختيار ولاة العهد ، فجميع الخلفاء كانوا يعهدون بالخلافة لولي أو وليين فقط ، كما فعل

---

١ - الجزيرة : هي جزيرة أقور ، وهي تقع بين دجلة والفرات مجاورة لبلاد الشأم وسميت بالجزيرة لوقوعها بين دجلة والفرات .

الثغور : مفردها ثغر في اللغة تعني : كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك وفي الإصطلاح : هي كثيرة منها ثغور الشأم ، وهي بلاد بن لاون .

العواصم : جمع عاصم وهي حصون وولاية تحيط بها حلب وانطاكية .

قنسرين : مدينة ببلاد الشأم كانت وحمص شيئاً واحداً معناها المسن . انظر على التوالي ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١٣٤/٢ ، ٧٩ ، ٤ / ١٦٥ ، ٤٠٣ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ١٠٣/٤ .

٢ - الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٦/٨ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٧/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٢/٥ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٠٩/٢ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٤ .

٣ - من الملاحظ أن الرشيد يبايع للمأمون بعد الأمين وهو أمر غريب لأنه رأى ما فعله المنصور والمهدي بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد ، وما فعله أخوه الهادي ليخلع نفسه ، ولو لم يعاجله الموت لخلعه ولكنه بايع لأن « حبك للشيء يعمي ويصم » . ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٠٧/٥ .

٤ - الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٣٢ .

السفاح والمنصور والمهدي ؛ أما الرشيد فقد عهد بالخلافة لأكثر من واحد فعقد لثلاثة ولاة للعهد في وقت واحد وهم : « **الأمين ، المأمون ، المؤتمن** » . [١]

جـ - يبرر بعض المؤرخين [٢] سبب البيعة للمأمون ، هو حداثة سن الأمين ، ولصغر سنه وغموض صفاته ومستقبله ، فأراد الرشيد أن يؤكد البيعة حتى يضمن الخلافة لأعقابه فبايع للمأمون .

ربما يكون هذا الرأي فيه بعد عن الحقيقة ؛ لأن الرشيد عندما بايعهما كانا طفلين متقاربين في السن ، فكيف ضمن مستقبل المأمون وهو ما زال طفلاً صغير السن ، بل أن الرشيد عاد مرة أخرى وبايع للقاسم وهو صبي كان في حجر مربيه عبدالملك بن صالح [٣] ، مما يثبت أن الرشيد لم يبايع للمأمون لأن مستقبل الأمين كان مكتنفاً بالغموض لصغر سنه ، فالمأمون أيضاً عمره من عمر الأمين ومستقبلهما مكتنفاً بالغموض ، وما ينطبق عليهما ينطبق على القاسم .

د - هناك سبب آخر تردده جميع المصادر والمراجع العربية وهو أن الرشيد لم يبايع للمأمون إلا لما رأى انحلال أخلاق الأمين ، وحسن أخلاق المأمون [٤] . وهو رأي يبدو فيه المبالغة والبعد عن الحقيقة ، فكيف يكون ذلك وكلاهما صغير السن ، فالأمين بويع بولاية العهد وهو في الخامسة من عمره ، أما المأمون فقد بويع وقد بلغ الثانية عشرة عاماً .

---

١ - الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٣٢ .

٢ - المرجع السابق ، ١٣٢ .

٣ - الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٦/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٢/٥ .

٤ - ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ، ١٧٤ .

إذاً كلاهما طفل لا يتجاوز الثانية عشرة من العمر ، فهما في مرحلة الطفولة ، فكيف يظهر عليهما انحلال الأخلاق أو نبلها ، فمظاهر السلوك المختلفة لا تظهر بوضوح وبتركيز إلا في مرحلة النضج والشباب . وينطبق هذا القول على مبايعته للقاسم .

وفي رمضان ١٨٦هـ/٨٠٢م [١] خرج الرشيد مصاحباً ابنيه الأمين والمأمون قاصداً مكة المكرمة لآداء مناسك الحج ، وما أن فرغ الرشيد من أداء مناسك الحج ، حتى أمر بالفقهاء والقضاة للاجتماع به وأخذ رأيهم في أمر الكتابين اللذين يزمع كتابتهما لابنيه بشأن ولاية العهد . [٢]

يتضمن أحد الكتابين شروطاً على محمد الأمين الوفاء بما في الكتاب وتسليم ما ولي عبدالله من الأعمال ، وما صير إليه من الضياع والغلات والجواهر والأموال .

أما الكتاب الثاني فيتضمن نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة ، والشروط لعبدالله على محمد على الخاصة والعامة ، وجعل الكتابين في البيت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد ، وأشهد على ذلك الله وملائكته ومن كان معه في الكعبة من أولاده وأهل بيته ومواليه وقواده ووزرائه وكتابه وغيرهم .

وكانت الشهادة بالبيعة والكتاب في البيت الحرام ، وتقدم إلى الحجبة في حفظهما ، ومنع من أراد إخراجهما والذهاب بهما ، وذلك أن الرشيد عندما

---

١ ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٦٦ . ذكر أنه خرج للحج ١٨٦هـ/٨٠٢م ، وكتابة كتب العهد في ١٧٤هـ/٧٩٠م . والمصادر أجمعت على أنه تم ذلك في حج ١٨٦هـ/٨٠٢م وهو الراجح لأنه لم يكن قد بايع للأمين والمأمون والقاسم في ١٧٤هـ/٧٩٠م ، ولم تبدأ الفكرة بأخذ البيعة لولي العهد من بعده إلا في ١٧٥هـ/٧٩١م .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٧٥ ـ ٢٧٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢/١٠٩ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٣ .

أراد أن يشهد الموجودين على الكتابين أحضروا وجوه بني هاشم والقواد والفقهاء ، وادخلوا البيت الحرام ، ومن ثم أمر بقراءة الكتاب على عبدالله ومحمد ، وقد أشهد على ذلك الحاضرين وبعد أن فرغ من قراءة الكتابين أمر بتعليقهما في الكعبة .[1]

وبالاطلاع على الكتب التي كتبها الأمين والمأمون والرشيد لوحظ فيها ما يلي :

أ ـ تقسيم الرشيد للدولة الإسلامية بين أولاده الثلاثة ، فجعل الأمين على الأقاليم العربية ، بينما خص المأمون بالأقاليم الفارسية (الشرقية) ، وجعل المؤتمن على المنطقة الواقعة بينهما[2] . وهو بذلك قد تجاوز مفهوم ولاية العهد المعمول بها في الخلافة الإسلامية ، والتي تتضمن ممارسة ولي العهد للصلاحيات وقت غياب الخليفة نفسه ، إلا أن الرشيد بتقسيم الخلافة بين أولاده بالصورة السابقة ، كأنما عقد لخلفاء ثلاثة لدولة واحدة في وقت واحد ، بما يندرج تحت ذلك من مسئوليات الخلافة السياسية والاقتصادية والعسكرية ؛ ومن ذلك أن الطرز والصدقات والعشور ، وجميع ما يتعلق بذلك الجزء من الدولة من حق ولي العهد وليس للخليفة أي شأن أو سطلة عليه بينما تنحصر سلطة الخليفة في الجزء الذي يتولاه فقط ؛ وهذا مما يجعل الدولة تتعرض لمصاعب سياسية واجتماعية واقتصادية .

ب ـ ضمن الكتاب حق عبدالله المأمون في ولاية العهد وولايته على خراسان وأعمالها ، وعدم التدخل في شئونها ، وأن عدم التزام محمد الأمين بهذه الشروط واحترام بنودها يسقط حقه في الخلافة ، ويصبح المأمون أحق بها منه وله طاعة القواد وجميع المسلمين .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٦/٨ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٠٤ ـ ٣٠٥ . للاطلاع على الكتب انظر نصوصها في الملاحق (١ ـ ٢ ـ ٣) ، ص ٢٦٦ ـ ص ٢٧٥ .

٢ ـ انظر الخرائط (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) . ص ٣١٤ ـ ص ٣١٩ .

جـ ـ أن لا يتعرض الأمين والمأمون طوال فترة حكم الأمين للقاسم بالخلع ؛ من أجل تولية أحد أولادهما أو قرابتهما .

د ـ ترك الحرية الكاملة للمأمون في إمضاء القاسم ولياً للعهد أو خلعه وتولية أحداً من أولاده أو إخوته إذا رأى المأمون وجوب تحقيق ذلك ، على أن يجعل القاسم بعد الذي يختاره لولاية العهد .

هـ ـ جعل الرشيد الجيش مع المأمون ، ولم يجعله مع الأمين ؛ وعندما سألت زبيدة الرشيد عن السبب بقولها له : « ما أنصفت ابنك محمداً حيث وليته العراق واعريته عن العدد والقواد ؛ وصيرت ذلك إلى عبدالله دونه ، فقال لها : وما أنت وتميز الأعمال واختبار الرجال ؟ إني وليت ابنك السلم ، وعبدالله الحرب ، وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسالم ، ومع هذا فإنا نتخوف ابنك على عبدالله ، ولا نتخوف عبدالله على ابنك إن بويع » . ⟨١⟩

وبذلك يلاحظ أن بنود الكتاب الأول الذي كتبه محمد الأمين على نفسه فيه محاباة واضحة للمأمون وجور وتعسف على الأمين ؛ لأنه يجيز للمأمون مالا يجيزه للأمين . فللمأمون الحق في عزل أو جعل القاسم ولياً للعهد من بعده حسبما يرى . أما الأمين فليس له الحق في عزل أو تأخير القاسم أو المأمون ولو فكر في ذلك فمن حق المأمون إعلان الحرب على الأمين ومحاربته ومحاربة كل من يناصره ويطيعه .

كما أمر الرشيد للمأمون بمائة ألف دينار حملت له من الرقة إلى بغداد ، أما الأمين فلم يأمر له بمال . ⟨٢⟩

وقد جعل الجيش أيضاً مع المأمون بخراسان وترك الأمين ببغداد بدون جيش حتى يصبح بدون سلطة في البلاد ، فلا يستطيع الخروج على المأمون ومحاربته .

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٦٣ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٨٦ .

كما يلاحظ من الكتب أن الكتابين اللذين كتبهما الأمين والمأمون كلاهما تضمن عهداً على الأمين بتنفيذ ما جاء فيهما .

التزم الأمين في كتابه بتنفيذ جميع الشروط الواجبة عليه للمأمون . أما الكتاب الثاني الذي كتبه المأمون فهو عبارة عن تأكيد للكتاب الأول على الأمين بتنفيذ الشروط الواجبة عليه .

ولقد ذكر أن الرشيد عندما خرج في ١٨٩هـ/٨٠٥م متجهاً نحو قرماسين [١] ومعه عدة رجال من القضاة وغيرهم ليشهدهم على أن جميع ما في عسكره من أموال وخزائن وسلاح وكراع لعبدالله المأمون ، وليس للأمين فيه من قليل أو كثير . كما جدد البيعة للمأمون على من كان حاضراً وبعث هرثمة بن أعين إلى بغداد ليأخذ البيعة على الأمين ، ومن كان بحضرته لمبايعة المأمون والقاسم . [٢]

إذا كانت جميع العهود والمواثيق والبيعات والكتب ما هي إلا توكيد وتوثيق لبيعة المأمون ، ويتضح فيها ميل الرشيد وبشدة إلى المأمون وخوفه على مستقبله .

يرى بعض المؤرخين أن الرشيد أراد من أخذ العهود والمواثيق على الأمين للمأمون ؛ أنه كان يفكر في الفتك بالبرامكة والتخلص منهم ، وكانوا البرامكة يمثلون حزب المأمون ، والهاشميون وزبيدة والفضل بن الربيع حاجبه يمثلون حزب الأمين . وعندما ينتهي أمر البرامكة تصبح الكفتان غير متراجحتان ؛ لأن الأمين له حزبه ، أما المأمون يصبح وحيداً . فخاف الرشيد على المأمون

---

١ ـ قرماسين : موضع منه إلى الزبيدية ثمانية فراسخ ، يعتقد أنها في طريق مكة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ /٣٣٠ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٨٦/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١١٣/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٧٩/٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١١٠/٢ . ذكر أنه جدد البيعة وهو في بغداد ، والمصادر أجمعت على أنه جددها عندما شخص إلى قرماسين .

من الأمين ، لأنه سوف يجد من يناصره ضد أخيه ، فأراد الرشيد أن يرجح الكفتين لتصبحا متساويتين فكتب العهود على الأمين بالوفاء للمأمون [١] . كما أنه جعل الجيش معه وذلك ليسند به ظهر المأمون من أخيه وحزبه إذا أصبح وحيداً في خراسان ليضمن له الخلافة والسلطة فيما بعد .

ومما يزيد الأمر تعقيداً على الأمين ، وكأن الظروف جميعها اجتمعت ضده ولصالح أخيه ، فلم يكف ما أخذه عليه أبوه من العهود والمواثيق والأيمان المغلظة بالكعبة وأمام الملأ ، وسجل ذلك في الكتب ، وأعلنت على الملأ ، فيأتي جعفر بن يحيى البرمكي للأمين وهو بالكعبة بعد أن حلف للرشيد بما حلف له به ، وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له : « **فإن غدرت بأخيك خذلك** الله [٢] ، **وطلب منه أن يقول ذلك ولم يتركه حتى قال : خذلني** الله **إن خذلته ثلاث مرات** » . [٣]

---

١ ـ يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ٧٤ ـ ٧٥ ، مراجعة : محمد العش ، ط١ ، دمشق ، دار الفكر : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٢ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٣٦٤ .

٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٢ .

٢ ـ أثر هذا النظام في الأبناء والأتباع :

لقد لقي نظام ولاية العهد في عهد الرشيد انتقادات متباينة بين مؤيدة ومناؤة لها . فقد أتجه فريق من النقاد إلى القول : أنه بنهجه ذلك ... قد أحكم أمر الملك ، بينما ذهب فريق آخر إلى القول بأن الرشيد قد أسهم في ضعف الخلافة ، وغرس أسباب الفرقة بين الأبناء ، وجعل بأسهم بينهم شديداً . وهذا ما ذهب إليه المسعودي في الرواية التي أوردها عن الكسائي حيث قال للرشيد : « **كأنك بهما وقد حم القضاء ، ونزلت مقادير السماء ، وبلغ الكتاب أجله ، قد تشتت كلمتهما ، واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ، ثم لم يبرح ذلك بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى ، وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الأحياء أنهم في عداد الموتى** » . [١]

إذا كان الرشيد يتوقع حدوث الفتنة بين الأمين والمأمون ؛ لذلك عندما كتب الكتب أراد بها توثيق العهود على الأخوين ؛ حتى لا يقع الخلاف بينهما بعد وفاته [٢]. فتنقسم الأمة وتتفكك ويحدث لها ما يرضي أعداء الدولة الإسلامية. وغفل عنه أنه بعمله هذا قد بذر بنفسه بذور الشقاق بين الأخوة في الدولة الإسلامية نتيجة لبعده عن العدل والإنصاف ، ولأنه جانب الصواب حينما بايع بولاية العهد لأكثر من واحد ، ولم يعتبر ويتعظ لما حدث لعيسى بن موسى [٣] مع المنصور والمهدي . وما حدث له مع الهادي حين أراده أن يخلع نفسه ، ولو لم يعاجله الموت لخلعه ، ثم هو الآن يبايع للأمين ثم المأمون ثم المؤتمن .

---

١ ـ انظر لمزيد من التفصيل الفصل الثالث من البحث فقرة (١) من ١٠٢ ـ ١٠٣ ؛ مروج الذهب ، ٣/٣٦٠ ـ ٣٦١ .

٢ ـ الشريفي : التاريخ الإسلامي ، ١٣٢ ، ط٢ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

٣ ـ عيسى بن موسى بن محمد العباسي ابن أخي السفاح والمنصور ، يلقب بشيخ الدولة ، ولي الكوفة عام ١٣٢هـ/٧٤٩م ، ولاه السفاح ولاية العهد بعد المنصور ، عزله المنصور عن الكوفة ١٤٧هـ/٧٦٤م ، وجعل له ولاية عهد أبنه المهدي ، خلعه المهدي ١٦٠هـ/٧٧٦م توفي بالكوفة . انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٧/٤١١ ، ٤٢٣ ، ٤٥٨ ، ٨/٧ ، ٩ ـ ٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٥/١١٠.

لقد بدأت نتائج هذه البيعة منذ اليوم الأول ، وفي نفس اليوم الذي وثق فيه الرشيد البيعة في الكعبة ، وقبل خروج الناس من البيت الحرام . فقد ذكر الأمين للفضل بن الربيع عند خروجه من البيت الحرام : « **يا أبا العباس ، هو ذا أجد من نفسي أن أمري لا يتم ؛ فقال له : ولمَ ذاك أعز الله الأمير ؟ قال : لأني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر ؛ فقلت له سبحان الله ! أفي هذا الموضع ! فقال لي : هو ما قلت لك .** » [١] . بينما يذكر بعض المؤرخين أن الأمين ذكر هذا الكلام للفضل بن الربيع ، يذكر مؤرخون آخرون أن الأمين عندما نقض العهد لم يكن في نيته الغدر بأخويه ، وإنما الذي زين له ذلك وصغر له شأن المأمون هو الفضل بن الربيع [٢] ، ويبدو أن الرواية فيها إمعان لتشويه صورة الأمين ومحاولة لإظهاره بأنه هو أول من بدأ بأمر نقض العهد ، وأن المأمون والفضل بن سهل لم يبدأا الأمر لأن النية مبيتة لدى الأمين [٣] . وهذه الرواية وإن صحت إنما تشير إلى سوء نظام ولاية العهد الذي وضعه الرشيد لأبنائه ، فتكون هذه الرواية أولى ثمرات هذه الفتنة التي خلفها هذا النظام والتي تتابعت فيما بعد . إذ يذكر بعض المؤرخين أن الرشيد عندما خرج ١٩٢هـ/٨٠٨م إلى خراسان لحرب رافع بن الليث مستخلفاً على الرقة القاسم ومعه خزيمة بن خازم وعلى بغداد محمداً الأمين ، أما المأمون فقد خرج مع الرشيد بطلب من المأمون وذلك برأي الفضل بن سهل [٤] . فها هو يقع الخلاف والصراع بين الأخوة في حياته فبدأ كل مربي يحرض ولي العهد على أخيه ، كما أن الرشيد كان يدرك دور حاشيته على أبنائه ، ونظرة أبنائه وأتباعهم له ، فقد كان الرشيد يخفي مرضه عن أقرب الناس إليه وهم أبناؤه

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٢ .

٢ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٩/٤ .

٣ ـ علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، ٣٩١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٣٨/٨ ، ولمزيد من التفصيل انظر الفصل الثاني ص ٨٥ .

وبالتالي يخفيه عن حاشيته حتى لا يخبروا أبناءه . فها هو يكشف عن مرضه للصباح الطبري أثناء رحلته طالباً منه كتم الخبر معللاً له العلة من وراء كتمانه لمرضه قائلاً : « هذه علة أكتمها الناس كلهم ، ولكل واحد من ولدي علي رقيب ؛ فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين . وسمى الثالث فذهب عني اسمه . وما منهم أحد إلا وهو يحصي أنفاسي ، ويعد أيامي ، ويستطيل عمري ، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابة ، فيجؤنني ببرذون أعجف [١] قطوف [٢] ليزيد في علتي » [٣] . ها هي ثمرة يجنيها الرشيد ببيعته لأكثر من واحد ، لأن كل فرد منهم يفكر في اليوم الذي يستقل فيه بولايته ويصبح مستقلاً عن مقر الخلافة . فقد أصبحوا لا هم لهم إلا الوصول إلى الخلافة فقد روي « أن الصباح الطبري خرج مع الرشيد لحرب رافع بن الليث فعندما وصل إلى خراسان ، جدد الرشيد البيعة للمأمون على القواد ، وأشهدهم على ذلك وأخذ عليهم عهداً بالانضمام إلى المأمون [٤] ، فلما بلغ الأمين أن أباه قد اشتدت علته ، وأنه لمآبه [٥] ، بعث من يأتيه بخبره في كل يوم ، فأرسل بكر بن المعتمر ، وكتب معه كتباً ، وجعلها في قوائم صناديق منقورة وألبسها جلود البقر ، وقال له : لا يظهرن أمير المؤمنين ولا أحد ممن في عسكره على شيء من أمرك ، وما توجهت فيه ، ولا ما معك ، ولو قتلت حتى يموت أمير المؤمنين ، فإذا مات فادفع إلى كل رجل منهم كتابه .

فلما قدم بكر بن المعتمر طوس ، بلغ هارون قدومه ، فدعا به ، فسأله : ما أقدمك ؟ قال : بعثني محمد لأعلم له علم خبرك وآتيه به ، قال : فهل معك كتاب ؟ قال : لا ، فأمر بما معه ، ففتش فلم يصيبوا معه شيئاً ، فهدده بالضرب فلم يقر بشيء ، فأمر به فحبس وقيد . فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرره ، فإن أقر وإلا ضرب عنقه ، فصار إليه ،

---

١ ـ أعجف : هزيل ضعيف خالي من السمنة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣٣/٤ .

٢ ـ قطوف : بطيئة سيئة السير . انظر المصدر السابق ، ٢٨٦/٤ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٣٩/٨ .

٤ ـ يرجح أنه لم يتم ذلك برضا أو برغبة الرشيد ، إنما تم ذلك من تخطيط وتدبير أتباع وأنصار المأمون ليضمنوا له حقه .

٥ ـ مآب : آب يئب يؤب أبا أي تهيأ للذهاب وتجهز . انظر ابن منظور : المصدر السابق ، ٢٠٥/١ .

فقرره فلم يقر بشيء ، ثم غشي على هارون ؛ فصاح النساء ، فأمسك الفضل بن الربيع عن قتله ، وصار إلى هارون ليحضره ، ثم أفاق هارون وهو ضعيف ، قد شغل عن بكر وعن غيره لحس الموت ، ثم غشي عليه غشية ظنوا أنها هي ، وارتفعت الضجة ، فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع مع عبدالله بن أبي نعيم ، يسأله ألا يعجلوا بأمره ، ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إلى علمها ــ وكان بكر محبوساً عند حسين الخادم ــ فلما توفي هارون في الوقت الذي توفي فيه ، دعا الفضل بن الربيع ببكر من ساعته ، فسأله عما عنده ، فأنكر أن يكون عنده شيء ، وخشي على نفسه من أن يكون هارون حياً ، حتى صح عنده موت هارون ، وأدخله عليه ، فأخبره أن عنده كتباً من أمير المؤمنين محمد ، وأنه لا يجوز له إخراجها ؛ وهو على حاله في قيوده وحبسه ، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، فأتاهم بالكتب التي عنده ، وكانت في قوائم المطابخ المجلدة بجلود البقر ، فدفع إلى كل إنسان منهم كتابه . وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطه ، يأمره بتخلية بكر بن المعتمر وإطلاقه ، فدفعه إليه [١] ، وكتاب إلى عبدالله المأمون ، فاحتبس كتاب المأمون عنده ليبعثه إليه بمرو [٢] ، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد فأتاهم في تلك الساعة ، فسألهم عن أبيه هارون ، فأعلموه ، فجزع جزعاً شديداً [٣] ، ثم دفعوا إليه كتابه » . [٤]

---

١ ــ ما الذي أعلم محمد الأمين أن الرشيد سوف يحبس بكر بن المعتمر من أجل الكتب ، بل ويحبسه عند حسين الخادم من دون سائر حاشيته وخدمه ؛ وأن الرشيد عندما يموت لن يقف أمام بكر عقبة سوى حسين الخادم لذلك كتب الأمير كتاباً يطلب فيه من حسين الخادم إطلاق سراح بكر بن المعتمر .

٢ ــ انظر إلى نص الكتاب في قسم الملاحق الملحق رقم (٤) ص ٢٧٦ .

٣ ــ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٦٦/٨ ــ ٣٦٧ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٣ ــ ٢٧٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ١٣٤/٥ ؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٦٧/٢٢ ــ ١٦٨ ، تحقيق : محمد جابر عبدالعال ، مراجعة : إبراهيم مصطفى ، القاهرة ، المكتبة العربية : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٤ ــ انظر إلى نص الكتاب في قسم الملاحق الملحق رقم (٥) ص ٢٧٨ .

ومن دراسة نص الكتابين السابقين <١> وأسلوب إرسالهما ، يتضح لنا مدى ما وصل إليه أمر أبناء الخليفة هارون الرشيد من التنافس على الخلافة ، حتى بعد معرفتهم بوفاة أبيهم . ولم يكتف الأمين بأن بعث بمن يأتيه بأخبار وفاة والده ليقطع بذلك الطريق على إخوته في ضم الجيش والقيادة إليه ، بل كتب كتباً إلى العمال والولاة وإلى أخويه صالح والمأمون تتضمن أوامره وسياسته ، ويطلب منهما أن يأخذا البيعة له ممن معهم ، كما كتب للمأمون يطلب منه أن يخبر جنده وقادته بأنه سوف يتفقد أحوالهم ويلبي طلباتهم .

ولعل نهج الأمين هذا زاد الأمر تعقيداً إذ أنه مناف للمواثيق والعهود التي كتبها على نفسه باحترام ما تحت يد المأمون . ثم أن الأمين قد طلب من أخيه صالح ، أن يبعث بولد أمير المؤمنين وأهله وخدمه وجنده ومعهم الفضل بن الربيع . كما يبعث إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر مباشرة بعد اطلاعه على كتابه ، وأن يبعثهما على مركبيهما من البريد ثم لا يجلس حتى يرسل له الجند والأموال والخزائن التي معه <٢> . وهذا ما يجعل المأمون يأخذ في نفسه لأنه كان يعلم أن الرشيد قد جدد له البيعة على من معه من جند وعامة الناس وأموال وخزائن وسلاح بأن يكون للمأمون ، كما أمر الأمين برجوع ذلك كله إلى بغداد ، لأنه يعتبره حقاً من حقوق الخلافة .

بوفاة الرشيد وقعت الفتنة بين أبناء الرشيد ، فما أن توفي حتى تسلم كل فرد من أبنائه وقادته وجنده كتابه الذي ورد عليه من محمد الأمين ، فتشاوروا في اللحاق به ، فقال الفضل بن الربيع : « **لا أدع ملكاً حاضراً لآخر ما أدري ما يكون من أمره** ، وأمر الناس بالرحيل ، **ففعلوا ذلك محبة منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون** » <٣> . وعندما علم بذلك المأمون وهو بمرو جمع من معه من القواد ، وفيهم الفضل ابن سهل وأخبرهم بما حدث ، فأشار عليه الفضل بن سهل أن يبعث لهم كتاباً يذكرهم بالبيعة . وما أن وصل الكتاب وقرأه الفضل بن الربيع حتى

---

١ ـ انظر الهامشين (٢ ، ٤) ، ص ١١٨ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٣٦٩ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٣٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٦٨ .

قـال : « **مـا أنا إلا واحـد منهـم** » ، أما عبدالرحمن بن جبلة [١] فقد رفض البقاء . [٢]

ويرجع بعض المؤرخين أسباب الأحداث التي وقعت بعد وفاة الرشيد ونشوب الفتنة بين أبنائه إلى نظام ولاية العهد التي تركها الرشيد لأبنائه . بينما يصوب البعض الرشيد فيما ذهب إليه ، لولا قيام الكثير من بطانة الخليفة بالوشاية وبذر بذور الفتنة بين أبنائه [٣] ، إضافة إلى نظام تقسيم الخلافة ، وإحساس بعض الأبناء بالظلم . ومن ذلك أن الأمين أقسم يوم كتابة العهد وهو بالبيت الحرام ، أنه كان ينوي الغدر ، كما رفض المأمون إطاعة أخيه في إقامة بريد يأتيه بأخبار ما تحت يده من بلاد ، إذ كان رده في ذلك ينم عن مرارة بالواقع الذي يعيشه فقال له : « **فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ولا قطيعتك ، وأنا على إيثار ما تحب من صلتك ، وارض بما حكم به الحق في أمرك ، أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك والسلام** » . [٤]

كانت النتيجة أن ظهرت فتنة هوجاء أشعل نارها الوزراء والقادة والمستشارون ؛ فرقت بين المسلمين وأضعفت قوتهم :وشغلتهم عن الفتوحات وعن أعدائهم وذهب ضحاياها الكثير من الأبناء . [٥]

---

١ ـ عبدالرحمن بن جبلة الأبناوي أو الأنباري . من كبار القواد في العصر العباسي ، قاد جيوش الأمين ضد طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون ، وعامله على ما يفتحه من خراسان ، فقاتلهم فقتل في شلاشان وقيل أسد باذ . انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤١٢ ـ ٤١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٣/٣٠٢ .

٢ ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/١٣٥ ـ ١٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٦٨ ـ ١٦٩ .

٣ ـ جلوب : امبراطورية العرب ، ٥٦٦ ؛ بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ٣٢ ؛ الرفاعي : عصر المأمون ، ١/٢١٧ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٣٨٠.

٥ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ٢/٦٥ ، ط٧ : ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م .

٣ ـ دور الفضل بن الربيع في الفتنة :

عرفنا فيما سبق ذكره أن الفضل بن الربيع أحد موالي العرب وأحد حجاب الخلفاء إلى عهد الرشيد . فقد كان الفضل بن الربيع على عداء مع البرامكة الفرس ، الذين كانوا مقربين لدى الخيزران أم الرشيد ، فلما توفيت الخيزران أخذ الفضل بن الربيع يعمل جاداً للوصول إلى قلب الخليفة . فأخذ يتقرب من زبيدة زوجة الرشيد وهي عربية واستطاع أن ينال المكانة الطيبة لدى زبيدة وأن يكسب ثقتها لأنهما الاثنان اجتمعا على قضية واحدة وهو كرههما للبرامكة الفرس واستطاع الاثنان أن يتخلصا من البرامكة بعد أن نكبهم الرشيد .

فلما نكب البرامكة ، نقل الرشيد الوصاية على المأمون من جعفر البرمكي إلى الفضل بن سهل الفارسي ربيب البرامكة ، بذلك انتقلت العداوة من البرامكة إلى الفضل بن سهل لأنه سوف يسير على نهج وطريقة البرامكة في محاولة الاستئثار بالسلطة ؛ لذلك بدأ الفضل بن الربيع بمعاونة السيدة زبيدة في العمل من أجل التخلص من سلطات الفرس ، لأنهما كانا يدركان حقيقة عمل الفرس وما يجوب بخواطرهم من نقل الخلافة إليهم ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتدريج وانتهاز الفرص فبدأوا بمحاولتهم الضغط على الرشيد ليبايع للمأمون ؛ لأن المأمون كانت أمه فارسية الأصل ، كما نشأ في حجر جعفر بن يحيى البرمكي .

فقد بدأ الفضل بن الربيع أعماله في سبيل التخلص من البرامكة بالإيعاز إلى زبيدة أم الأمين أن تطالب الرشيد بولاية العهد من بعده للأمين واستطاع الفضل أن ينجح في خطته ، لمعرفته بالطرق الصحيحة لإنجاح أهدافه [١] ، ولإدراكه مكانة زبيدة لدى الرشيد ، وكان الفضل يميل إلى الأمين لأنه عربي الأم والأب ، أما المأمون فأمه فارسية وتوفيت بعد ولادته ؛ فتربى في حجر

---

١ ـ لمزيد من التفصيل عن طرق الفضل بن الربيع في إنجاح أهدافه أرجع ص ٦٢ ـ ٦٦ من البحث .

البرامكة ، فتشبع بأفكار وآراء ومعتقدات الفرس [١] ، وعندما بويع للمأمون بولاية العهد ، ١٨٢هـ/٧٩٨م بمشورة جعفر بن يحيى البرمكي ، وكان الفضل بن الربيع وزبيدة لا يريدان ذلك ؛ فأصبح هناك حزبان في الدولة ، حزب يناصر البيعة للأمين ، وفي مقدمتهم زبيدة والفضل بن الربيع وبنو هاشم ، وحزب يناصر البيعة للمأمون وفي مقدمتهم الفضل بن سهل وجعفر بن يحيى البرمكي والبرامكة وأهل خراسان .

ومنذ ذلك الوقت والصراع قد بدأ بين الطرفين ، فكان كل طرف يعمل من أجل الخليفة الذي يؤيده ، فالفضل بن الربيع أحد زعماء الحزب العربي لم يأل جهداً في سبيل نجاح خليفته فبدأ منذ الخطوة الأولى وهو يعمل في سبيل تحقيق النجاح للأمين .

بوفاة الرشيد بطوس ١٩٣هـ/٨٠٩م وتسلم كل إنسان كتابه من الأمين ، وكان من بين الكتب كتاب للفضل بن الربيع يأمره بالاحتفاظ والاحتياط بالجند وأهل بيت الرشيد ومواليه وخدمه وولده وأمواله ، وكتب أخرى للقواد والجند وأولاد الرشيد . فلما قرأ الجميع الكتب التي جاءتهم من الأمين ، تشاور القواد والجند وأولاد الرشيد في أمر اللحاق بمحمد الأمين ، فأشار عليهم الفضل بن الربيع بالرحيل [٢] . فوافق على رأيه الجميع رغبةً منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم في بغداد تاركين العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون . فلما علم المأمون بذلك ؛ أرسل إليهم كتاباً مع سهل بن صاعد ونوفل الخادم ، فلما وصلا إلى الفضل بن الربيع ومن معه سلما الكتاب إليهم فكان رده أن قال : « **إنما أنا واحد منهم** » . [٣]

---

١ ـ لمزيد من التفصيل على تشبع المأمون وتشبعه بآراء الفرس ومعتقداتهم انظر ص ٢٠٢ ـ ٢٠٨ من البحث .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٠/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٥/٥ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧١/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٣٦/٥ .

لقد تعلل الفضل بن الربيع لرسل المأمون بأنه ليس له حول ولا قوة في رجوع الجيش إلى بغداد ، ومخالفتهم للعهد الذي كان عليهم بالانضمام إلى المأمون لوحدث بالرشيد حادث الموت . لأنه لو نفذ الفضل بن الربيع العهد الذي أخذ عليه لأصبح وحيداً لأن الجميع يريد الرجوع إلى بغداد رافضين البقاء في خراسان ، وهي مجرد حجة حتى لا يكشف أمره أمام المأمون ، بأنه هو المحرض عليه ، فتظاهر بالضعف وعدم الحيلة ؛ ولعل ذلك كان مجرد تخطيط منه في سبيل تدعيم قوة الأمين ، لأنه كان يدرك أن بقاءه ومن معه من الجند والقادة والأموال وأهل بيت الرشيد سوف يعضد من قوة المأمون ويصبح صاحب السلطة وهذا يتعارض مع خطته ؛ ولم يكتف الفضل ابن الربيع بالبيعة للأمين بولاية العهد وتعزيزه قوة الأمين بضم الجيش إليه ؛ بل سعى إلى إغراء محمد الأمين ضد أخيه عبدالله المأمون وحثه على خلعه وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى . (١)

ويعلل المؤرخون هذا التصرف من الفضل بن الربيع إلى تخوفه من المأمون فيما لو أفضت إليه الخلافة ، فلم يزل الفضل بالأمين يصغر في عينيه شأن المأمون ويزين له خلعه ، حتى قال له : « **ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبدالله والقاسم أخويك ! فإن البيعة كانت لك متقدمة قبلهما ، وإنما أدخلا فيها بعدك واحداً بعد واحداً** » . (٢)

ولم يكتف الفضل بن الربيع بذلك بل أنه أخذ يلح على الأمين أن يقدم ابنه بعده ثم المأمون ثم القاسم . (٣)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٣٧٠ ـ ٣٧١ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٧ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٢٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩١ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٧٦ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٣٧٥ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ٦/١٠٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٣٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤/٣٩ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٣٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/١٣٨. ذكر أنه بايع للمأمون ثم موسى ثم القاسم ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩/٣٣٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ١٠/٢٢٤ ؛ الرفاعي : عصر المأمون ، ١/٢٢٦ . ذكر أنه بايع للمأمون =

وهنا لنا أن نتساءل عن سبب تحريض الفضل بن الربيع للأمين في أمر خلع أخويه المأمون والقاسم من ولاية العهد ؟ فبعض المؤرخين ذكروا أن سبب تعجيله هو خوفه على نفسه من المأمون إذا أفضت إليه الخلافة أن يقتله أو يعذبه [١] . ولكن يبدو أنه ليس السبب في التعجيل هو الخوف من المأمون أن تفضي إليه الخلافة لأن الأمين كان لم يمض على خلافته سوى فترة قصيرة من الزمن ! فما الذي يعجل بخلافة الأمين ويأتي بخلافة المأمون ؟ فهل علم بعمر الأمين وأنه سوف يموت قريباً أو بعيداً ؟ فلومات قريباً ستؤول الخلافة للمأمون وبذلك ينال منه ! أو أنه سوف يعيش ما قدر الله له ! وما أدراه لعله مات هو قبل أن تؤول الخلافة للمأمون ؟ أو لعل المأمون لا يستطيع الوصول إلى الخلافة ويكون أجله قد سبق لأن الآجال والأعمار بيد الله لا يعلمها غيره . وبذلك يلام الفضل بن الربيع في تسرعه في التحريض ، لأنه لو ترك الأمر فترة من الزمن لكان أفضل له وللأمين . إذاً فهناك أسباب جعلت الفضل بن الربيع يحرض الأمين على نقض العهد والبيعة لابنه موسى ويعجل بالبيعة . وهذه الأسباب لا نعلمها وإن كان هناك من ذكر أنه يرجح سبب ذلك إلى طبيعة الفضل بن الربيع وميله إلى الشغب والمؤامرات وسفك الدماء [٢] . ومنهم من ذكر أن السبب في ذلك كره الفضل ابن الربيع للمأمون ، ولعداوة بينهما وخوفه منه . [٣]

وعلى كل حال فقد أخذ الفضل بن الربيع يعطي الأموال للناس حتى يبايع لموسى بن الأمين الذي لقب بالناطق بالحق ، ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر

= ثم موسى ثم القاسم ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٣٥ . ذكر أنه بايع في بداية الأمر للمأمون ثم ابنه ولكنه عاد وانقلب وجعل ابنه أولاً ثم المأمون .

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٤/٨ .

٢ ـ شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٣١٥/٣ .

٣ ـ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٥/٩ .

عبدالله والقاسم والدعاء لهما على شيء من المنابر ، ودس لذكر عبدالله والوقيعة فيه ، ووجه إلى مكة كتاباً مع رسول من حجبة البيت يقال له محمد ابن عبدالله بن عثمان بن طلحة في أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما ، وجعلهما في الكعبة لعبدالله على محمد ، فقدم بهما عليه ، فلما وصل بالكتابين إلى محمد قبضهما منه وأجازه بجائزة عظيمة ومزقهما [١] وأبطلهما . [٢]

ونتيجة لإلحاح الفضل بن الربيع على الأمين بضرورة خلع المأمون والقاسم والبيعة لابنه موسى ، فقد أعلن الأمين في صفر ١٩٤هـ/٨١٠م بالنهي عن الدعاء ، للمأمون والمؤتمن على المنابر وإعلان البيعة لموسى [٣] بن محمد الأمين بولاية العهد من بعده . ثم حضر الفضل بن الربيع هو وأهل بيت الأمين وقواده ومواليه في المقصورة بالشماسية يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة ١٩٥هـ/٨١١م فصلى بهم محمد الأمين الجمعة ، ثم جلس الأمين ومعه ابنه موسى في المحراب ، وقرأ الفضل بن الربيع على من حضر كتاباً من الأمين يعلمهم رأيه فيهم وحقه عليهم ، وأنه هو المتقدم في البيعة ، وواجبهم عليه ، وحثهم على طاعته ، والتمسك ببيعته ، وكان الفضل بن الربيع يحاجج ويجيب على من يعترض أو يستفهم وفي نهاية الاجتماع أعلن الفضل بن الربيع على أهل خراسان أن الأمير موسى بن الأمين قد أمر لهم أن يقسم عليهم من صلب ماله ثلاثة آلاف ألف درهم [٤] . وكان ذلك من تخطيط

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٣٦/٢ . ذكر أنه أحرقهما ولم يمزقهما .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٧/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٥/١٠ .

٣ ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٣٨/٢ . ذكر أن البيعة لموسى بن الأمين بولاية العهد تمت ١٩٣هـ/٨٠٩م ؛ الصدقي : تاريخ دول الإسلام ، ١٠٦/١ . ذكر أنه بايع لموسى ١٩٥هـ/٨١١م وقطع الدعاء للمأمون والمؤتمن . بينما المصادر أجمعت على أنه بايع لموسى مع الدعاء لأخويه المأمون والمؤتمن في ١٩٤هـ/٨١٠م ، ثم قطع الدعاء لأخويه وأعلن بيعة موسى ١٩٥هـ/٨١١م ، الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٧/٨ ، ٣٧٨ ، ٣٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٨/٥ ، ١٤١ ـ ١٤٢ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٩٠/٨ .

الفضل بن الربيع بهدف كسب تأييد أهل خراسان للأمين حتى يصبح المأمون وحيداً ، وقد استطاع الفضل بن الربيع أن ينال شيئاً مما خطط له ؛ فقد أقبل علي بن عيسى بن ماهان على محمد الأمين يخبره بأن أهل خراسان قد كتبوا إليه يذكرون له أنه إن خرج هو أطاعوه وانقادوا معه . (١)

لقد بذل الفضل بن الربيع كل جهوده وأفكاره في سبيل الأمين لجعل الخلافة له ولعقبه فهو الذي حرضه على خلع أخويه المأمون والمؤتمن ومبايعة ابنه موسى . وكان يقوم بجميع أمور الدولة بعد عودته من طوس إذ القى إليه الأمين بأزمة الأمور . (٢)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٠/٨ ، ذُكِرَ أن أهل خراسان هم الذين طلبوا علي بن عيسى ، بينما يرجع السبب في اختيار علي بن عيسى هم عيون المأمون والفضل بن سهل الذين أشاروا عليهم بذلك رغبة في تحقيق أهداف المأمون ووزيره لإفشال جيوش الأمين وإلحاق الهزيمة بها ، لكره الخراسانيين لعلي بن عيسى لسؤ سيرته فيهم .

٢ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٣/١٢ ـ ٣٤٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٥/٣ .

٤ ـ دور الفضل بن سهل في الفتنة :

لقد كان الفضل بن سهل سليل أسرة فارسية أسلم في عهد الرشيد [١] . ومنذ إسلامه وهو مرتبط بالمأمون ، فقد تولى أموره وتربيته بعد نكبة البرامكة بعهد من الرشيد [٢] . فأخذ الفضل بن سهل منذ ذلك الوقت يعمل من أجل المأمون ، وإن كان يهدف من وراء ذلك تحقيق أهدافه الخاصة [٣] . فقد عمل على تثبيت ولاية العهد للمأمون لقناعته بقوة التيار المضاد له ؛ لذلك فقد أشار عليه أن يطلب من والده الخروج معه لضمان حقه وحتى لا يصبح وحيداً في بغداد ، لأن الأمين كان في وسط أنصاره وأتباعه وحزبه . [٤]

ونجح الفضل بن سهل في خطته فقد جدد الرشيد في سفرته هذه البيعة للمأمون على من معه بالانضمام إليه بعد وفاته وأرسل كتاباً بذلك إلى الأمين ببغداد [٥] . ثم بعث الرشيد المأمون إلى مرو لعدم قدرته على مواصلة السير لمرضه ؛ وبعث معه عدة من رجالاته وصحبه الفضل بن سهل . [٦]

---

١ ـ انظر الفصل الثاني من البحث ، ٧٢ ـ ٧٣ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٢٠/٨ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٣/٢ .

٢ ـ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩٩/١٠ ؛ سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ٢٢٢م.

٣ ـ انظر الفصل الثاني من البحث ، ٨٧ ـ ٨٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٠ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٣٨/٨ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٦٦/٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٦٧/٢٢ ـ ١٦٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٣/١٠ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٤١/٨ . ذكر أسماء من بعثهم الرشيد إلى مرو وهم : عبدالله بن مالك ، يحيى بن معاذ ، أسد بن يزيد بن مزيد ، العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، السندي ، ابن الحرشي ، نعيم بن حازم ، وعلى كتابته ووزارته أيوب بن أبي سمير . إلا أن الطبري لم يذكر بعد اسم الفضل بن سهل مع من بعثهم الرشيد مع المأمون إلى مرو ، غير أنه يورد اسمه في موضع آخر ص ٣٧١ بقوله أن الفضل بن سهل كان مع المأمون لا يفارقه . انظر النويري : المصدر السابق ، ١٦٨/٢٢ .

بعد وفاة الرشيد ووصول كتب الأمين إلى القواد وأبناء الرشيد وبعد قراءتها وما كان من أمر الفضل بن الربيع من جمعه للجنود والأموال وقدومه على الأمين ببغداد ، ومعرفة المأمون بذلك ؛ جمع من كان معه من قادة أبيه ، وكان فيهم عبدالله بن مالك ، ويحيى بن معاذ ، وشبيب بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون ، والعباس بن المسيب بن زهير ، وأيوب بن أبي سمير ، ومن أهل بيته عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح ، وذو الرياستين . فشاورهم المأمون في أمر الفضل بن الربيع والجند بعد أن أخبرهم بالأخبار ، فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفي فارس فيردهم . وتم اختيار الجماعة التي ستنتدب للقيام بهذه المهمة . عند ذلك أشار عليه الفضل بن سهل برأي آخر ، لأنه رأى أن هذا الرأي فيه خلاص ونهاية المأمون ؛ فأخبره بعدم إرسال جيش إليهم ، وإنما يكتفي بكتابة كتاب لهم ، ويبعث إليهم رسولاً من عنده يذكرهم بأمر البيعة التي أخذت عليهم في عهد الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م بالانضمام إلى المأمون بما معه من أموال وجند وأهل بيت وسلاح لوحدث للرشيد حادث الموت ، ويسألهم المأمون الوفاء بالعهد ، ويحذرهم الحنث ونقض العهد ، وما يلزم العهد من تنفيذه دنيا ودين ، وما يكون عقاباً لهم دنيا ودين ، وأخبره أن هذا الكتاب ومبعوثيه يقومون مقام المأمون دون حاجة لخروجه بنفسه وتعرضه للوقوع في أيديهم ؛ وبالتالي يذهبون به إلى بغداد ويسلمونه للأمين ، وهذا يحقق لهم هدفهم ، كما يكون بذلك قد برء ذمته لو حدث أي حادث لأنه ذكرهم وحذرهم عاقبة عملهم .

ولم يكتف الفضل بن سهل بالإشارة عليه بأمر الكتاب ، بل اختار له الرسل الذين كلفوا بأمر هذه المهمة وهما سهل بن صاعد ، ونوفل الخادم مولى موسى أمير المؤمنين ، فلما ورد مبعوثا المأمون وأخبراه بأمر الجند ، وما كان من أمر الفضل بن الربيع وعبدالرحمن بن جبلة [١] . فهدأ الفضل بن سهل

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٦٦/٨ ـ ٢٧١ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٦٨/٢٢ ـ ١٦٩ .

المأمون وطمأنه وأتى له بأخبار السابقين ثم بشره بالخلافة بقوله : « أعداء قد استرحت منهم ؛ ولكن افهم عني ما أقول لك ، إن هذه الدولة لم تكن قط أعز منها أيام أبي جعفر ، فخرج عليه المقنع <١> وهو يدعي الربوبية ، وقال بعضهم : طلب بدم أبي مسلم ، فتضعضع العسكر بخروجه بخراسان ، فكفاه الله المؤنة ، ثم خرج بعده يوسف البرم <٢> وهو عند بعض المسلمين كافر ؛ فكفى الله المؤنة ، ثم خرج أستاذسيس <٣> يدعو إلى الكفر ، فسار المهدي من الري إلى نيسابور فكفي المؤنة ؛ ولكن ما أصنع ؟ أكثر عليك ؟ أخبرني كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع ؟ قال : رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً ، قلت : وكيف بك وأنت نازل في أخوالك ، وبيعتك في أعناقهم ! كيف يكون اضطراب أهل بغداد ! اصبر وأنا أضمن لك الخلافة . فقال المأمون : قد فعلت ، وجعلت الأمر إليك فقم به . فقال الفضل بن سهل : والله لا صدقنك ، إن عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من أمراء الرؤساء ، إن قاموا لك بالأمر كانوا أنفع مني لك برياستهم المشهورة ، ولما عندهم من القوة على الحرب ، فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى تصير إلى محبتك ، وترى رأيك في . فلقيهم الفضل بن سهل في منازلهم ، وذكرهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء . فكان جوابهم كما ذكر الفضل بن سهل كما لو جاءهم بجيفة على طبق ، فقال بعضهم ، هذا لا يحل اخرج . وقال بعضهم : من الذي يدخل بين أمير المؤمنين

---

١ ـ المقنع هو سنباذ المجوسي من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أهن ، قيل إنه خرج في عهد المنصور لطلب دم أبي مسلم الخراساني ، وجه إليهم المنصور جيشاً هزم فيها سنباذ وأصحابه ، وقتل عدد كبير منهم وقتل ١٣٧هـ/٧٥٤م دامت ثورته سبعين ليلة . للاستزاده انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٧٥/٤٩٥ .

٢ ـ يوسف بن إبراهيم يلقب بالبرم ، خرج بخراسان ، منكراً على المهدي سيرته ١٦٠هـ/٧٧٦م وقبض عليه وقتل في نفس السنة . للاستزاده انظر المصدر السابق ، ٨/١٢٤ .

٣ ـ أستاذسيس : خرج ١٥٠هـ/٧٦٧م في أهل هراة وباذغيس وسجستان وعامة خراسان . تولى خازم بن خزيمة أمر محاربته بأمر من المهدي واستطاع أن يهزمه ويقبض عليه وعلى أتباعه وأهل بيته ١٥٠هـ/٧٦٧م . للاستزاده انظر المصدر السابق ، ٨/٢٩ ـ ٣٢ .

وأخيه ! فجـاء الفضل بن سهـل للمأمـون وأخبره بأمر القوم . فقال له المأمون : قم بالأمر » . [١]

عندئذ أشار الفضل بن سهل على المأمون أن يتقرب من الفقهاء ويعقد لهم المجالس وتكون بحضرته ، كما أشار عليه أن يجلس للمظالم . وأخذ الفضل ابن سهل يعطي الوعود لبعض الرجال بتولي المناصب في الدولة ؛ حتى مال إليـهم الناس ، كمـا أشـار الفـضل بن سـهل على المأمـون أن يخـفض لأهل خـراسـان ربع الخـراج ؛ مما جـعل الناس يحـبون المأمـون أكثـر من الأمين ويميلون إليه [٢] . كما عمل الفضل بن سهل على جذب العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى [٣] إلى جانب المأمون ، فـقـد كان الأمين بعثـه إليـه ، فأخذ يحادثه ويعده ويمنيه وما برح عـنه حتى أخذ عليه البيعة للمأمـون [٤] . وأن يكون عيناً لهم على الأمين . [٥]

واستمر الفضل بن سهل يبذل كل جهوده من أجل المأمون فكان يحرضه ويبدي له المشورة والرأي المخالف لأوامر الأمين [٦] . وكـان هو الذي يختـار

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطـبري ، ٣٧١/٨ ـ ٣٧٢ ؛ ابن الأثير : الكامـل فـي التاريـخ ، ١٣٦/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٦٩/٢٢ ؛ رفاعي : عصر المأمون ، ٢٢٤/١ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧١/٨ ـ ٣٧٢ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٦٩/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٠/٣ .

٣ ـ العباس بن موسى بن عيسى العباسي الهاشمي ، ولي ولاية مصر ١٩٨هـ/٨١٣م فأرسل ابنه فاشتد ابنه عليهم مما أدى إلى عزله وإعادة المطلب مرة أخرى فلما علم العباس بأمره خرج إليهم بنفسه وفي أثناء محاربته لهم مرض فمات ببلبيس : ١٩٩هـ/٨١٤م . للاستزاده انظر الكندي : الولاة والقضاة ، ١٥٣ ـ ١٥٤ ؛ الزركلي : الأعـلام ، ٢٦٧/٣ .

٤ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٥٥/١٠ . ذكر أن الذي وعد العباس بن موسى هو المأمون ، ولم يتركه حتى بايعه .

٥ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٩/٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٩١/٣ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابـق ، ٣٧٧/٨ ـ ٣٧٩ ؛ المسعودي : التنبيـه والإشـراف ، ٣٠٠ .

القادة (١) . والمبعوثين (٢) والعيون (٣) ، وضبط الثغور بمنع الناس من الدخول والخروج إلى خراسان ، واهتم بتفتيش الكتب الواردة إلى خراسان ، وقبض على أعوان الأمين . (٤)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٧/٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٧/٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٢/٣ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧١/٨ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٣/٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٩١/٣ .

٤ ـ ذكر المؤرخون أن المأمون هو الذي أمر بتفتيش الكتب ولكن الراجح أن ذلك تم بمشورة الفضل بن سهل . الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٩/٨ .

٥ ـ تطور الصراع بين الأخوين :

لقد بدأت الفتنة تشتعل نيرانها بوفاة الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م ومبايعة الأمين بالخلافة [١] ، وقدوم رجاء الخادم بالقضيب والخاتم والبردة [٢] ، وكان المأمون يومئذ بمرو ، وجند الرشيد بطوس وقد جاءتهم كتب الأمين تتضمن أوامره وسياسته . وبعد أن تسلم كل شخص كتابه ، عاد الفضل بن الربيع بأهل بيت الرشيد والجند والأموال إلى بغداد ليكون تحت تصرف الأمين [٣] ، كما أقر الأمين أخاه القاسم على الجزيرة ، واستعمل خزيمة بن خازم عليها ، وأقره على قنسرين والعواصم . [٤]

أما المأمون فعندما وصله خبر نعي الرشيد ، دخل دار الإمارة ونعاه للناس على المنبر ثم بايع لمحمد ولنفسه [٥] ، وأقام على ما كان يتولى من عمل خراسان ونواحيها إلى الري ، وكاتب الأمين بذلك ، وأهدى إليه هدايا كثيرة ، وأخذ يبعث بالكتب إليه مع الهدايا من طرف خراسان من المتاع والآنية والمسك والدواب والسلاح . [٦]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري : ٣٤٥/٨ ـ ٣٤٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٥٩/٣ ؛ الحسن بن حسين بن أحمد المعروف بابن الطولوني : النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية (أخبار الخلفاء) ، ٨٢ ـ ٨٣ ، تحقيق : محمد كمال الدين علي ، بيروت ، عالم الكتب : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٢ ـ البردة : هي بردة النبي ﷺ يرتديها الخلفاء ويتوارثونها واحداً بعد واحد . انظر الصابي : رسوم دار الخلافة ، ٩١ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٦٦/٨ ـ ٣٧٢ .

٤ ـ المصدر السابق ، ٣٧٣/٨ .

٥ ـ المصدر السابق ، ٣٧٠/٨ .

٦ ـ المصدر السابق ، ٣٧٣/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٣/١٠ . ذكر أن المأمون حسد الأمين لذلك وقع الخلاف بينهما . والواقع أن المأمون لم يحسد الأمين ، ولكن ما وقع بينهما نتيجة لتحريض وزيريهما ومستشاريهما الفضل بن الربيع والفضل بن سهل .

ولكن هذا الهدوء والاستقرار النسبي لم يدم طويلاً فلم يمض عام على وفاة الرشيد ، وتولي الأمين الخلافة حتى بدأت الفتنة تضطرم نيرانها بين الأخوين ، وذلك بسبب تصرفات الفضل بن الربيع ورجوعه بالجيش والأموال والسلاح والخزائن إلى بغداد ناكثاً العهود التي أخذها عليهم الرشيد قبل وفاته ، بأن يكون ذلك كله مع المأمون . فبدأ المأمون يتحرك بمشورة مستشاره الفضل بن سهل ؛ لأخذ حقوقه التي جعلها له الرشيد . ولكن لم يبدو هذا الخلاف في بدايته علنياً ، واستمر لمدة عام تقريباً وكلاً منهما يحاول أن يتقرب من الآخر ؛ إلا أن وزيريهما كان لهما دور بارز في انحراف خطهما السياسي واتساع الفجوة بينهما ، ويظهران لهما أنهما يشيران عليهما بما فيه خيرهما وصلاحهما .

بينما يؤكد المؤرخون أنهما كانا يعملان لأهداف راسماها لأنفسهما [١] ، فالفضل بن الربيع يريد أن يتخلص من المأمون مخافة على نفسه من أن يعاقبه لقاء تصرفاته [٢] ، وكان الثمن أن أوقع الأمة الإسلامية في الفتنة .

أما الفضل بن سهل فكان يهدف من نقل الخلافة إلى المأمون وجعله يقيم بخراسان ، محاولة منه لنقل الحكم من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، ثم يجعل الملك كسروياً . [٣]

لقد بدأت بوادر الفتنة تظهر بصورة واضحة في أوائل ١٩٤هـ/٨١٠م عندما قدم الفضل بن الربيع بغداد قادماً من طوس ومعه الجند . إذ أدرك

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٤/٨ .

٢ ـ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٣٥ . يرجع السبب في قيام الفتنة إلى الفضل ابن سهل . ومعظم المؤرخين يرجعون السبب الأكبر إلى الفضل بن الربيع ، والراجح أنه كان لكلاهما دوره في إشعال نار الفتنة ؛ الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية ، ١٦٢ .

٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٣ .

أن المأمـون لو أفضت إليه الخلافة وهو حي لم يبق عليه ؛ فأخذ يسعى لدى الأمين ويغريه ويحثه علـى خلع المأمون ، وصرف ولاية العهد من بعده لابنه موسى . ولم يكن ذلك من رأي الأمين . فقد كان ينوي الوفاء بالعهد لأخويه ، ولكن الفضل بن الربيع زين له خلع المأمون والتصغير من شأنه . [١]

بدأ الأمين يتأثر بأفكار الفضل بن الربيع لأنه كان دائماً يردد له ذلك على مسامعه حتى أصبح متأثراً بآرائه ، لا سيما أنه قد سمع أن المأمون قد جمع حوله في مجالسه العلماء والفقهاء ، وحب الناس له وخاصة العلماء والفقهاء والقواد والملوك وأبناء الملوك ، واستمالته لجميع الناس ؛ لجلوسه لهم لرد المظالم والقضاء في أمورهم ولعمله بالكتاب والسنة ، ولتخفيضه الخراج على أهل خراسان بنسبة الربع ؛ فأصبح الناس يقولون « ابن أختنا ، وابن عم النبي ﷺ » [٢] فلما سمع رافع بن الليث بن نصر بن سيار [٣] بأمر المأمون وبحسن سيرته في أهل عمله وإحسانه إليهم ، وكان رافع بن الليث خارجاً على الدولة من أيام الرشيد ١٩٣هـ/٨٠٩م ؛ عندئذٍ بعث رافع إلى المأمون طالباً الأمان لنفسه ، فخرج هرثمة بن أعين إلى رافع للحضور به إلى مرو ومعه طاهر بن الحسين ، فلما وصلا مرو أسرع رافع بالذهاب إلى المأمون فأكرمه وعفا عنه . [٤]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٢٢ ؛ علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ، ٣٩١ . ذكر أن الأمين هو الذي فكر في خلع المأمون وأن الفضل بن الربيع شجعه على ذلك ، بينما اتفقت المصادر والمراجع على أن الفضل بن الربيع هو الذي حرض الأمين على الخلع ، وهو الراجح لأنه كان في نيته الوفاء ولو كان في نيته الغدر لما انتظر إلى أن يحرض من قبل الأتباع والأعوان .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٢/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٤/١٠ .

٣ ـ رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ثار بسمرقند مخالفاً للرشيد وخالعاً له ، انتصر على علي بن عيسى قائد الرشيد ، فخرج إليه الرشيد بنفسه ، ١٩٢هـ/٨٠٧م ، هزم ١٩٣هـ/٨٠٨م . للاستزاده انظر الطبري : المصدر السابق ، ٣١٩/٨ ـ ٣٢٠ ، ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٢/٣ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٥/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٨/٥ ؛ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٤١ . ذكر أنه ولاه على الحرس .

ولما علم الأمين بأمر رافع وهرثمة أنكر ذلك كله ، وبدأ يستنفز المأمون ، فكتب إلى العباس بن عبدالله بن مالك ـ عامل المأمون على الرى ـ يأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الرى ـ قاصداً من ذلك إمتحانه ـ فبعث إليه ببغيته ، وكتم ذلك عن المأمون ، فبلغه ذلك فعزله .[١]

غير أن الأمين استمر في مضايقة المأمون إذ كتب إلى جميع العمال في الأمصار كلها يطلب منهم الدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والمؤتمن[٢] . ثم ما لبث في ١٩٤هـ/٨١٠م أن عزل أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه قد ولاه ، وولى مكانه خزيمة بن خازم ، وأمر أخاه القاسم بالقدوم عليه ببغداد .[٣]

وكتب إلى أخيه المأمون كتاباً يسأله فيه أن يتنازل له عن كور من خراسان ـ سماها ـ وأن يوجه العمال إليها .[٤]

وبعث وفداً بذلك ومعهم الكتاب ليكونوا حجةً يحتج بها[٥] . فلما وصل الوفد حدود الرى ، أخذهم الحراس ، وأخبر المأمون بهم ، فجاءهم الإذن

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٥/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٨/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩١/٣ .

٢ ـ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٥/٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٤/١٠ . ذكر أنه بايع لموسى ثم المأمون والقاسم ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٤٥/٢ ؛ الصدقي : مختصر تاريخ دول الإسلام ، ١٠٥/١ . ذكر أنه أبطل الدعاء للمأمون ١٩٤هـ/٨١٠م والواقع أنه لم يبطله بل أدخل ابنه موسى بعد المأمون والمؤتمن .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٤/٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣١٨ . ذكر أنه خلعه ١٩٣هـ/٨٠٩م النويري : نهاية الأرب ، ١٦٥/٢٢ . ذكر أنه خلعه ١٩٣هـ/٨٠٩ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ٢٢٤/١٠ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ١٤٥/٢ .

٤ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٩١/٣ .

٥ ـ ذكر بعض المؤرخين أن الأمين كان مشغولاً بملذاته ، وأنه غير أهلاً للخلافة ووصفه ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٣ . بقوله : « وكان بقدر ما كان المأمون من التيقظ والضبط عند الأمين من الإهمال والتفريط والغفول » . وبذلك نلاحظ أن هذه الرواية فيها تعارض فكيف يوصف بالإهمال والتفريط ، وها هو يرسل الوفود بهدف الوقوف على الدليل ، كما أنه فرض حصاراً عليها لمنع تسرب الأخبار .

بحملهم من الرى إلى مرو ؛ كان المأمون يهدف من وراء ذلك أن لا يصل خبرهم إلى الناس ؛ إذ كان الوفد يهدف من قدومه بث الخبر في العامة وإظهار الحجة بالمفارقة والدعاء لأهل القوة إلى مخالفة المأمون ، ويريدون بذل الأموال ، لكسب الناس ، وبذلك يضمنون في صفهم معظم الولايات والقطائع والمنازل ، فحيل بينهم وبين ما يريدون [١] ، فدخلوا عليه وسلموه كتاب الأمين متضمناً :

أ - مطالبته بالتنازل عن بعض كورخراسان .

ب - تعيين رجلٍ من قبله على الكور ليأتي بأخبارها . [٢]

فلما فرغ المأمون من قراءة الكتاب اغتم له واستعظم ما جاء فيه ، فأشار الفضل بن سهل إلى ضرورة مشاورة أهل بيته وشيعته نظراً لخطورة الموقف ، فاستحسن المأمون الرأي ، فجمع الخاصة من الرؤساء والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا جميعاً له : « **أيها الأمير ، تشاور في مخطر ، فاجعل لبديهتنا حظاً من الروية** » [٣] . فأجلهم ثلاثة أيام ، فلما اجتمعوا بعد ذلك ؛ كان رأيهم يميل إلى مدافعة الأمين والاستجابة إلى طلبه رغبة في قطع الفتنة . لقول بعضهم للمأمون : « **أيها الأمير قد حملت على كرهين ، ولست أرى خطأ مدافعة بمكروه ، أولهما مخافة مكروه آخرهما** » [٤] . فلما فرغوا من طرح آرائهم وقف الحسن بن سهل وأبدى اعتراضه بذلك مبيناً أن في الاستجابة إلى طلب الأمين قد يدفعه إلى الظن بضعف موقف المأمون فيتمادى في الطلب . فقال المأمون للفضل بن سهل : « **ما تقول فيما اختلفوا فيه ؟ قال : أيها الأمير ،**

١ - الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٩/٨ - ٢٨٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٠/٥ .

٢ - انظر نص الكتاب الملحق رقم (٦) ، ص ٢٨١ .

٣ - الطبري : المصدر السابق ، ٢٧٧/٨ - ٢٧٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٣٩/٥ .

٤ - الطبري : المصدر السابق ، ٢٧٨/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٣٩/٥ .

أسعدك الله ، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك غداً علـى مخالفتك ؟ وهل يصـير الحـازم إلى فضلة من عاجـل الدعة بخطـر يتعرض له فـي عـاقبـة ، بل إنما أشار الحكمـاء بحمل ثقل فيمـا يرجون به صـلاح عواقب أمورهم [١] . فقال المأمـون : بل بإيثار العاجلة صار من صـار إلى فساد العاقبة في أمـر دنيـا أو أمـر آخرة . قـال القـوم : قلنـا بمبلـغ الـرأي ، والله يؤيد الأمير بالتوفيق » [٢] . ثم أمر المأمون الفضل بن سهل أن يكتب للأمين : فكتب .

« قد بلغني كتاب أمير المؤمنين يسألني التجافي عن مواضع سماها مما أثبته الرشيد في العقـد ، وجعل أمره إلي ، وما أمـر رآه أمير المؤمنين أحـد يجاوز أكثره ؛ غـير أن الذي جـعل إلي الطرف الذى أنابه ، لا ظنين في النظر لعـامته ، ولا جـاهل بما أسند إلي من أمـره ، ولو لم يكن ذلك مـثبتـاً بـالعهـود والمواثيق المأخـوذة ، ثم كنت على الحـال التي أنا علـيهـا من إشـراف عـدو مـخـوف الشـوكـة ، وعـامـة لا تتـألف عن هضمـهـا ، وأجناد لا يسـتتبـع طاعتهـا إلا بالأموال وطرف من الإفضـال ـ لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يحب من لـم أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته ، وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله ؛ فكيف بمسألة ما أوجبه الحق ، ووكد به مأخـوذ العهـد ! وإنـي لأعلم أن أمـير المؤمـنين لـو علـم من الحال ما علمـت لم يطلع بمسـألة ما كـتـب بمسألتـه إلـي . ثم أنا على ثقـة من القبـول بعد البيـان إن شـاء الله » . [٣]

كما كتب كتاباً آخر مجيباً فيه على كتاب الأمين قائلاً :

« أما بعد ؛ فقد بلغني كتاب أميـر المؤمنين ، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ، ولم يسأل ما يوجبه حق فيلزمني الحجة بترك إجابته ، وإنما يتجاوز المتناظران

---

١ ـ يظهر من النص مدى كره الفضل بن سهل وأخوه الحسن للأمين ، ومدى تحريضهما المأمون عليه .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٧/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٩/٥ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٩/٨ .

منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلها ؛ فمتى تجاوز متجاوز ـ وهي موجودة الوسع ـ ولم يكن تجاوزها إلا عن نقضها واحتمال مافي تركها ؛ فلا تبعثنى يا بن أبي على مخالفتك وأنا مذعن بطاعتك ، ولا على قطيعتك . وأنا على إيثار ما تحب من صلتك ، وأرض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك . والسلام » . [١]

ثم أمر المأمون بإحضار الرسل ، وقال لهم : « إن أمير المؤمنين كتب في أمر كتبت له في جوابه ، فأبلغوه الكتاب ، وأعلموه أني لا أزال على طاعته ؛ حتى يضطرني بترك الحق الواجب إلى مخالفته . وعندما أراد الوفد الخروج ، قال لهم : قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم ، وأحسنوا تأدية ما سمعتم ؛ فقد أبلغتمونا من كتابنا ما عسى أن تقولوه لنا » [٢] . فانصرف الرسل عائدين إلى العراق ؛ ولم يستطيعوا أن يثبتوا لأنفسهم حجة ، على المأمون بل كان الأمر عكس ما خططوا له إذ لمسوا له الجد في حديثهم معه . [٣]

فلما وصل كتابه إلى أخيه تغير عليه وأمر بقطع الدعاء له على المنابر [٤] ، وكتب إليه كتاباً جاء فيه :

« أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فماكن لك من ظلها متعرضاً لحراق نار لا قبل لك بها ، ولحظك عن الطاعة كان أودع لك ؛ وإن كان قد تقدم مني متقدم ؛ فليس بخارج من مواضع نفعك إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك ؛ وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ، ويثبت لك من حال الهدنة ؛ فأعلمني رأيك أعمل عليه . إن شاء الله » . [٥]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٠/٨ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٣٨٠/٨ ـ ٣٨١ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٣٨١/٨ .

٤ ـ المصدر السابق ، ٣٨١/٨ . ذكر أن الأمين قطع الدعاء للمأمون في أحداث ١٩٤هـ/٨١٠م ، وعاد وذكر ذلك في أحداث ١٩٥هـ/٨١١م والراجح أنه أمر بالدعاء لابنه موسى ثم المأمون ١٩٤هـ/٨١٠م . ولم يقطع الدعاء للمأمون والقاسم ويخلعهما إلا في ١٩٥هـ/٨١١م بعد أن قطع المأمون الدعاء له على المنابر والطرز والبريد وتسمى بالإمام .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨١/٨ .

كما بعث الأمين وفداً فيهم العباس بن موسى بن عيسى وحملهم كتاباً إلى المأمون يسأله بأمر تقديم موسى على نفسه ، وتسميته بالناطق بالحق ، وإطاعة أهل خراسان له ، وأوعز إلى صاحب الرى أن يستقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر ، وكذلك مع والي قومس ونيسابور [١] وسرخس ، ففعلوا . ثم وردت الرسل مرو ، وقد أعد لهم من السلاح وضرب العدد والعتاد ، ثم صاروا إلى المأمون ؛ فابلغوه بالرسالة . فامتنع المأمون ورفض طلبه .

وقد أعجب الفضل بن سهل بذكاء العباس بن موسى ، فخلا به وأخذ يحادثه ويحاوره ويعده ويمنيه ، ولم يتركه حتى أخذ عليه البيعة للمأمون بالخلافة ، وجعله الفضل بن سهل عيناً له على الأمين ، يكتب لهم بالأخبار ، ويشير عليهم بالرأي [٢] . ثم انطلق الرسل إلى الأمين وأخبروه بالامتناع [٣] ، وسلموه رداً على كتابه في أمر البيعة لابنه . [٤]

ثم أصدر المأمون أوامره بتوجيه الحراس إلى الحدود ليكونوا بمثابة مراقبين لتحركات الأمين ، وأن لا يسمح لرسول من قبله في العبور إلا بصحبة حرس الحدود ، كما شدد في هذه المسألة بحيث طالت التجار وغيرهم ممن اعتادوا الحدود ذهاباً وإياباً ؛ فأصبح هؤلاء تحت مراقبة الحرس . كما فتشت الكتب [٥] . وضرب الفضل بن الربيع حصاراً على بغداد حتى لا تتسرب الأخبار منها وإليها . [٦]

---

١ ـ قومس : هي كورة كبيرة واسعة تقع بين الري ونيسابور .
نيسابور : تسمى تشاوور وهي مدينة عظيمة ذات نضال . للاستزاده انظر على التوالي ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤/٤١٤ ، ٥/٣٣١ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٣٧٥ ـ ٣٧٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٣٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٠ ـ ١٧١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٩/٣٣٦ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٣٧٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/١٣٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٢٥ .

٤ ـ انظر نص الكتاب قسم الملاحق ملحق رقم (٧) ، ص ٢٨٢ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٣٧٩ .

٦ ـ سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ٢٢٤ .

كما أصدر المأمون قراراً بقطع البريد عن بغداد ؛ فأسقط اسمه من الطرز والسكة . لا سيما عندما علم أن الأمين قد خلع القاسم عما ولاه أبوه وأنه أقدمه بغداد ، وأنه يدعو لابنه موسى ؛ فاعتقد أن الأمين يدبر أمر خلعه هو أيضاً فسارع هو إلى خلعه [١] ولقب نفسه بالإمام . [٢]

وفي ١٩٤هـ/٨١٠م بعث المأمون كتاباً [٣] إلى أخيه الأمين يطلب فيه أن يبعث له ماله ليتقوى به على إصلاح ما تحت يده من الثغور ، وكذلك يبعث له ولده وأهله ، وكان الفضل بن سهل قد أشار عليه بذلك وهو يعرف مقدماً بأنه لن يجد قبولاً لدى الأمين فيكون رفضه لذلك حجة عليه لخلعه ومحاربته ، وحتى لا يظهر المأمون البادي بالفتنة ولقد صدق حدس الفضل بن سهل إذ رفض الأمين طلب أخيه ذلك [٤] . فلما ورد الكتاب على المأمون غضب لذلك ؛ فأشار عليه الفضل بن سهل بإخفاء نواياه بالخلع حتى يضطره إلى ذلك . [٥]

بدأ الأمين يفكر في أمر الخلع [٦] ؛ إلا أن الفضل بن الربيع رأى أن يكتب كتاباً يتقرب فيه إليه ، ويطلب منه الصفح عما في يده ، بينما أشار عليهما إسماعيل بن صبيح ؛ بأن يضمن كتابه رغبته لأخيه في مؤازرته له والاستعانة

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٧٥/٨ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٨/٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٦/٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٤/١٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٣٩/٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٧٦ . ذكر البلخي والذهبي وابن تغري بردي أن المأمون لم يخلع الأمين إلا بعد أن خلعه والواقع أن المأمون هو الذي سبق بمجرد أن علم بأمر خلع القاسم فخشي على نفسه فخلعه قبل أن يخلعه الأمين .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٧٦/٨ .

٣ ـ انظر نص الكتاب قسم الملاحق ملحق رقم (٨) ، ص ٢٨٣ .

٤ ـ انظر نص المراسلة في الملحق رقم (٩) ، ٢٨٤ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨١/٨ ـ ٣٨٣ .

٦ ـ المصدر السابق ، ٣٧٥/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٢ .

برأيه ، وأن يسأله القدوم إليه ؛ لأن ذلك أبلغ وأوجب للطاعة والإجابة ، فمال الأمين والفضل إلى رأيه [١] ؛ فبعث بكتابه [٢] مع وفداً أعدهم لهذه المهمة وفيهم : العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علي ، ومحمد بن عيسى بن نهيك ، وصالح صاحب المصلى ، وعيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، وأمرهم أن يحدثوه بالرفق واللين ، وأن يسهلوا عليه الأمر ؛ وبعث معهم الهدايا والألطاف والأموال ؛ فلما وصل الوفد دخلوا على المأمون فتكلم الوفد مع المأمون ؛ فحسنوا إليه طاعة طلب أمير المؤمنين وحببوا إليه أمر القدوم لبلاطه . [٣]

أخذ المأمون كتاب أخيه ، وقرأ ما فيه فلم يجبهم وإنما أكد لهم إدراكه لفضل أمير المؤمنين ونعمته عليه ، ثم إنه خلا بمستشاريه طالباً النصح بذلك ، فكان من رأي الفضل أن يعمل المأمون على تأمين جبهاته الخارجية ، وأن يعقد صلحاً مع من جاوره من الملوك والأمراء حتى يتفرغ لمواجهة الأمين إذا حصل من الأمر مكروه [٤] ، ثم كتب إليه بكتاب أوضح فيه أن بقاءه في ثغره أدعى لحماية الدولة بقوتها من شخوصه إلى بغداد طالباً من الخليفة إعفاءه من ذلك [٥] . كما بعث مع الوفد الهدايا والألطاف ، فلما قدم للوفد الهدايا سألهم أن يحسنوا أمره ويعذروه عند الأمين . [٦]

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٠/٨ ـ ٤٠١ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩١ ـ ٢٩٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٩/٥ ؛ الصدقي : تاريخ دول الإسلام ، ١٠٦/١ . ذكر أنه بعث بالكتاب بعد خلعه ، والمصادر تذكر أنه بعثه قبل أن يعلن الأمين أمر خلعه للمأمون ، وإنما بعث بالكتاب ليطمئنه ويطلب قربه ثم يجعله يتنازل عن الخلافة ولم يكن يريد قتله .

٢ ـ انظر نص الكتاب الملحق رقم (١٠) ، ص ٢٨٥ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٠١/٨ ـ ٤٠٢ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٠٢/٨ ـ ٤٠٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤١/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٢/٣ ؛ محمد الخضري بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ١٦٢ ، مصر ، دار الفكر العربي . ذكر أن المأمون لم يجمع الأجناد ويجهزهم لحرب الأمين إلا بعد أن علم بأمر خلع الأمين له ، والمصادر تذكر وتجمع على أنه فعل ذلك قبل أن يرد عليه كتاب الأمين بطلب القدوم عليه .

٥ ـ انظر نص الرسالة الملحق رقم (١١) ، ص ٢٨٦ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٠٥/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٠/٥ .

وأيقن الأمين بعد تسلمه لرسالة أخيه أن لا مفر من المواجهة فأرسل فرقة عسكرية مكونة من ألف رجل لتقيم في همذان [١] والرى لتقوم بدور الحراسة والمراقبة بحيث تمنع التجار والعابرين وغيرهم من حمل ما قد يفيد المأمون من الميرة والأخبار ، وأمرهم أن يخضعوا عابري الحدود للتفتيش منعاً لوصول الجواسيس والأخبار إلى أخيه ، ثم عزم على خلع أخيه ومحاربته . [٢]

ولما عزم الأمين على خلعه استشار يحيى بن سليم [٣] في هذا الأمر ، فأخبره يحيى أن تصرفه هذا فيه نقض لما وكده من العهود والمواثيق ، وإن كان لابد من ذلك فالأجدر عدم المجاهرة بعزله ؛ حتى لا يستنكرها الناس ويستعظموها ، ولكن يحاول استمالة الجند والقادة ورجالات أخيه بالهدايا والألطاف ؛ فإذا ما تم ذلك فإنه كفيل بإضعافه والهيمنة على الأمور بنفسه . ولكن الأمين اعترض على الرأي ومال إلى رأي الفضل بن الربيع . [٤]

كما ذكر أنه لما هم الأمين بخلع المأمون ، أرسل الفضل بن الربيع إلى أحد رجال الدولة ليشاوره فيما يرى من أمر الخلع ، وكان هذا الرجل أحد الرجال الذين دسهم الفضل بن سهل ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يوماً بيوم ؛ فعظم عليه أمر نقض العهد وقبح الغدر به . فذكر له الفضل بن الربيع أن المأمون فعل ما يوجب نقض العهد ، وإن كان لا يوجد الدليل على نقضه ، ثم تداولوا أمر العامة والجند لدى الطرفين ، ومدى قوة كل جانب ؛ فثبت لدى الفضل بن الربيع مدى قوة جانب المأمون ، وضعف جانب الأمين في أمر الخلع . [٥]

---

١ ـ همذان : نسبة إلى بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح ، اشتهرت بعذوبة مياهها وطيب هواءها . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/٤١٠ .

٢ ـ من الرواية السابقة يتضح مدى اهتمام الأمين بأمور دولته وتيقظه وليس كما يصفه البعض بالغفول والتفريط والاهمال والانشغال بالملذات . انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٧/٨ ـ ٤٠٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤١/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٢/٣ .

٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٢ . ذكر أن اسمه يحيى بن سليمان .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨٤/٨ ـ ٣٨٥ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٩٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٠/٥ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨٥/٨ ـ ٣٨٦ . يتضح مما سبق المبالغة في وصف جند المأمون بأقوى وأحسن الصفات ، بينما يشوهون صورة جند الأمين واظهار قضيته بالخاسرة لعدم قوة الأدلة .

كان الأمين عندما يستشير وجوه القواد في أمر الخلع ، يكون جواب أغلبهم الرفض ، وبعضهم وافقه على الخلع ، فبلغ ذلك خزيمة بن خازم ، فشاوره الأمين في الأمر ، فقال له : « **يا أمير المؤمنين ، لم ينصحك من كذبك ، ولم يغشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك ، فإن الغادر مخذول ، والناكث مفلول ، ولما أقبل علي بن عيسى بن ماهان ، تبسم محمد الأمين ثم قال : لكن شيخ هذه الدعوة ، وناب هذه الدولة لا يخالف على إمامه ، ولا يوهن طاعته . ثم رفعه إلى موضع لم يرفعه إليه من قبل** » . [١]

وروى عمرو بن حفص مولى الأمين : « **أنه دخل ذات ليلة على الأمين ، فوجده جالساً على ضوء الشمع ، وهو يفكر ، فسلم عليه فلم يرد عليه ؛ فعلم عمرو أنه يفكر في تدبير بعض أموره ، فلم يزل واقفاً على رأسه حتى مضى أكثر الليل ، ثم رفع الأمين رأسه لعمرو ، وقال له : أحضرني عبدالله بن خازم** [٢] ، **فمضى إلى عبدالله وأحضره ، فدخل عليه ولم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل ، فسمع عبدالله وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن**[لا] [٣] **لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ، ونقض ميثاقه ، واستخف بيمينه ، ورد رأي الخليفة قبله ! فقال : اسكت ، لله أبوك ! فعبدالملك كان أفضل منك رأياً ، وأكمل نظراً ؛ حيث يقول : لا يجتمع فحلان في هجمة** » . [٤]

وهكذا عزم الأمين على خلع أخيه بعد إلحاح من مستشاريه وقادته ، وأقنعوه بأهمية هذا الأمر مما جعله متمسكاً بالأمر خاصة بعد أن قطع المأمون اسمه من على المنابر والطرز والضرب والبريد .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٩/٨ ـ ٤٠٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٦/٩ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٣٨/٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٧٦ .

٢ ـ عبدالله بن خازم قائد جيوش الأمين أيام الفتنة بين الأمين والمأمون . انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٦/٥ .

٣ ـ ساقطة من النص أضيفت للسياق .

٤ ـ الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل : انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٦٠٢/١٢ ؛ وعن النص انظر الطبري : المصدر السابق ، ٣٣٩/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٣٨/٥ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ١٣٨/٢ .

٦ ـ الخطوات التي اتخذها الأمين لخلع أخيه :

لقد عمل الفضل بن الربيع على نشر الشائعات ضد المأمون والوقيعة فيه ، كما أمر الأمين بأخذ كتابي العهد .[١]

وفي ١٩٥هـ/٨١١م أمر الأمين بإسقاط جميع الدنانير والدراهم التي ضربت لأخيه المأمون بخراسان ، وكان المأمون قد أمر ألا يثبت فيها اسم أخيه ، وكانت تعرف بالدراهم والدنانير الرباعية .[٢]

كما أمر الأمين بإسقاط اسم المأمون من الطرز .

ونهى عن الدعاء له ولأخيه القاسم على المنابر ، وأمر بالدعاء لابنه موسى من بعده ، وسماه الناطق بالحق ، وبايع لابنه الآخر عبدالله ولقبه القائم بالحق .[٣]

وكان المأمون قد بعث كتباً مع رسوله إلى عيونه في بغداد يطلب منهم أن يكتبوا له بأخبار الأمين حال إعلانه خلعه ، فوافق قدوم رسوله إلى بغداد بالكتب ، إصدار الأمين أوامره بكف الدعاء له في الخطبة يوم الجمعة ، فاختلفت الردود عليه ، فمنهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عما في

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٧/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٢ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣١٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٠/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧١/٢٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٥/١٠ .

٢ ـ سميت بالرباعيات ، لأن وزنها كان أربع حبات أو يكاد . الأب أنستاس ماري الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ، ٤٨ ، القاهرة ، المطبعة العصرية : ١٩٣٩م / ١٣٥٩ هـ وعن النص انظر الطبري : المصدر السابق ، ٣٨٩/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٢/٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٦٥/٢٢ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨٩/٨ ، ٤٠٦ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٣١٠/١ ؛ صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٥/٥ ـ ١٣٦ ، اعتناء : س . د يدرينغ ، ط٢ ، فيسباذن ، دار النشر فرانز شتانيز : ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٣٥/١ .

نفسه ، ومنهم من أجاب عن كتابه بكتاب منه وكتب رسول المأمون والفضل بن سهل كتاباً يخبرهما فيه بأمر إمساك الأمين عن ذكره على المنابر ، وموقف الناس من كتبه ، ويطلب منهما عدم التواني عن هدفهما . [١]

فلما بلغ ذلك المأمون ؛ تسمى بإمام الهدى ولقب بذلك [٢] ؛ وبذلك انتهى الأمر بينهما بخلع الأمين له .

---

١ ـ انظر نص الكتاب في الملحق رقم (١٢ ، ١٣ ، ١٤) ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٩/٨ . ذكر أن المأمون تسمى بإمام الهدى قبل ذلك ١٩٤هـ/٨١٠م في ص ٣٧٦ عندما بعث إليه الوفد يطلب منه أن يقدم موسى على نفسه في ولاية العهد ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٦/٥ ؛ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ٢٤٦/١ ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٤٧/٢ .

٧ ـ الصراع العسكري :

في يوم الأربعاء من مطلع شهر ربيع الآخر ١٩٥هـ/٨١١م [١] عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان على كور الجبل كلها [٢] ، وضم إليه جماعةً من القواد وأمر له بمائتي ألف دينار [٣] ، ولولده بخمسين ألف دينار ، وأعطى الجند مالاً عظيماً وأمر له من السيوف المحلاة بألفي سيف وستة آلاف ثوب للخلع [٤] ، وعقد له على خمسين ألف فارس ورجل من أهل بغداد ، ودفع إليه دفاتر الجند ، وأمره أن ينتقى ويتخير من أراد على عينه [٥] ، ويخص من أحب ويرفع من أراد إلى الثمانين ، وأمكنه من السلاح وبيوت الأموال ، ثم أمره بالتوجه نحو خراسان . [٦]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٣ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣١٩ . ذكر أنه أنفذه لحرب المأمون ١٩٤هـ/٨١٠م ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٧/٣ . ذكر أنه أنفذه للحرب ١٩٤هـ/٨١٠م .

٢ ـ تشمل على : نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام .

همذان : سبق ترجمتها في ص ١٤٢ من الفصل الثالث .

قم : مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها .

أصفهان : في ياقوت تسمى أصبهان بالباء وهي مدينة عظيمة مشهورة ، واختلف في سبب تسميتها ومعناه بالعربية . للاستزادة انظر على التوالي ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣١٣/٥ ، ٤١٠ ، ٣٩٧/٤ ، ٢٠٦/١ .

٣ ـ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٤٩ . ذكر أنه دفع له ألفي ألف دينار .

٤ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٩/٨ ـ ٣٩٠ ؛ محمد بن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ٤٦/٤ ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، بيروت ، دار صادر : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٦/٥ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٤٧/٢ .

٥ ـ الطبري: المصدر السابق ، ٤٠٥/٨ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٠ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٣ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ٢٣٠ . ذكر عددهم عشرة آلاف ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٣١٠/١ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠١/٣ . ذكر أن عددهم مئة ألف ؛ علي ظريف الأعظمي : مختصر تاريخ بغداد ، ١٧ ، بغداد ، مطبعة الفرات : ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م . ذكر أن عددهم عشرة آلاف ؛ الشامي : الدولة العباسية في العصر العباسي الأول ، ١٣٦ . ذكر أن عددهم ثمانين ألف .

٦ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٣٧/٢ . ذكر أن الأمين عقد لعلي بن عيسى بعد أن وجه جيشاً بقيادة عصمة بن أبي عصمة السبيعي ورفض عصمة دخول خراسان لمحاربة المأمون وأنه لا يحارب المأمون إلا إذا خرج له ، لأنه أخذت عليه البيعة أن لا يدخل خراسان ولا يدخلها الأمين ولا يرسل أحداً إليها .

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة من السنة نفسها جمع الأمين أهل بيته ومواليه وقواده بالمقصورة بالشماسية ، فصلى بهم الجمعة وأخبرهم بأمر خلع المأمون له ، كما وزعت عليهم الأموال . [١]

كان الفضل بن سهل يكاتب عيونه في بغداد ، ويحثهم على إقناع الأمين بجعل قيادة الجيوش لعلي بن عيسى ؛ وذلك لسوء سيرته لدى أهل خراسان عندما كان والياً عليها من قبل الرشيد ؛ وذلك لطول ولايته عليهم ، وكثرة صنائعه فيهم ، ولأنه من زعماء الفتنة الذين حرضوا الأمين على الخلع ، ومن كبار قادة الدولة ؛ وبذلك يكون المأمون هو الضامن في هذا الصراع بضمانه الجند وعامة خراسان . [٢]

وقبل خروجه بعث المأمون إليه كتاباً عندما علم بما عزم عليه ، يذكره فيه بالعهود التي أخذت عليهم ، ويحذره عاقبة الغدر وتشتيت كلمة المسلمين ، ويذكره بمكانته لدى قومه وأهله ، ويخبره بأنه إذا خاف على نفسه من قول الحق ، فليترك البلد ويلجأ إلى المكان الذي يأمن فيه على نفسه ، وأن يخبره برده . [٣]

وعندما توجه علي بن عيسى بعسكره إلى خراسان عرض المأمون على قادته الاستعداد لمواجهة جيش الأمين ، إلا أنه قوبل بالاعتذار لشدة هيبة علي ابن عيسى في قلوبهم [٤] ؛ فجمع الفضل بن سهل أولاد القواد ووقع اختياره على طاهر بن الحسين وعقد له على الري إلا أن والده طلب إعفاءه من ذلك

---

١ ـ للاستزادة انظر الفصل الثالث من البحث ص ١٢٥ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٠/٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧١/٢٢ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٩٩/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٣/٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٧١/٢٢ .

٣ ـ انظر نص الرسالة الملحق رقم (١٥) ، ص ٢٩٠ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤١١/٨ .

لما يعلم من ضعف ابنه في مثل هذه المواقف ، لا سيما وقد خبره لا يقوى على مجابهة علي بن عيسى لما كان والياً على خراسان ؛ إلا أن الفضل أصر على رأيه وعقد له على الري وأمر له بمائة ألف درهم . [١]

ولما أراد علي بن عيسى الشخوص إلى خراسان ركب إلى باب أم جعفر ، فودعها فطلبت منه أن يعرف لعبدالله حقه ؛ لأنه ابن خليفة وأخو خليفة ، وأن لا يجبهه [٢] بالكلام ، وأن يترفق به ولا يهمل له طلباً ، وأن يراعي مكانته بالنسبة له في الركوب والسير ، وأن يتحمل منه إن شتمه أو تعرض له ثم أعطته قيداً من فضة ليقيده به إذا وقع في يده [٣] . ويذهب بعض المؤرخين [٤] في التشكيك في هذا النص لأن إعطاء زبيدة للقيد لا يتوافق مع ما أسدته إليه من نصيحة .

ثم غادر بغداد إلى معسكره ، وخرج معه الأمين ، وقد وصف المؤرخون جيش علي بن عيسى بقولهم : « **حشرت الأسواق ، وأشخص معه الصناع والفعلة** [٥] ، **فيقال : إن عسكره كان فرسخاً** [٦] **بفسطاطية . وأهبته وأثقاله ، فذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكراً كان أكثر رجالاً ، وأفره كراعاً ، وأظهر سلاحاً ، وأتم عدة ، واكمل هيئة من عسكره** » . [٧]

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ العقوبي ، ٤٣٧/٢ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩١ .

٢ ـ يجبهه : من جبهت فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غلظة : أي يغلظ عليه في الكلام . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٤٨٣/١٣ .

٣ ـ اليعقوبي : المصدر السابق ، ٤٣٧/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٥/٨ ـ ٤٠٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٣/٥؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٤ .

٤ ـ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٨/٦ ؛ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٤٩ .

٥ ـ الفعلة : صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما لأنهم يفعلون ، وكذلك النجارون . انظر ابن منظور : المصدر السابق ، ٥٢٨/١١ .

٦ ـ الفرسخ : وحدة قياس المسافات ويقدر بثلاثة أميال وقيل بستة . انظر المصدر السابق ، ٤٤/٣ .

٧ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٠٦/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٣/٥ .

وكان الأمين قد خرج مع علي بن عيسى مشيعاً له ، ثم أخذ يوصية بقوله : « امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء ، وول الرى يحيى بن علي ، واضمم إليه جنداً كثيفاً ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجبى من خراجها ؛ وول كل كورة ترحل عنها رجلاً من أصحابك ، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فاظهر إكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه ، وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ، ولا تؤمن أحداً رماك بسهم ، أو طعن في إصحابك برمح ، ولا تأذن لعبدالله في المقام أكثر من ثلاثة من اليوم الذي تظهر فيه عليه ؛ فإذا أشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك ؛ فإن غره الشيطان فناصبك فاحرص على أن تأسره أسراً ، وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان فتول إليه المسير بنفسك . أفهمت كل ما أوصيك به ؟ قال علي بن عيسى ؛ نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ! قال الأمين : سر على بركة الله وعونه » . (١)

يلاحظ من وصية الأمين لعلي بن عيسى أن الأمين كان على خلق وأدب ودين ، فقد أوصى علي بن عيسى أن لا يتعرض للرعية أو لشجرة أو لمرأة أو لطفل ، ولا يظلم ولا يطغى ولا يتجبر ولا يحمل أحداً وزر أحد . وهو بهذه الوصية قد سار على نهج الخلفاء الراشدين ؛ فقد كانوا يوصون قادة المعارك بما أوصى الأمين قائده . كما كان على علم بالحروب والشاهد على ذلك وصيته لعلي بأن لا يخرج من أى منطقة حتى يولي عليها وال ، ويعززه بالقوة والجند حتى لا يغير عليه عدو أو تنشب فتنة في البلاد فتضيع عليه ، وربما باغته عدو وهو مؤمن الظهر ؛ فلابد أن يعزز المنطقة بالجند حتى يؤمن ظهره من الأعداء .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري : ٨/٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

كما أمره بأن يحسن معاملة من يدخل في حلفه وجيشه ؛ كما كان على علم بالأمور السياسية ، فقد أوصى علياً بأن يخفض الخراج حتى يكسب الرعية في صفه ؛ فهو إذن قائد يصلح للخلافة ، وعلى خلق وله مقدرة سياسية وحربية وليس كما يذكر المؤرخون بأنه كان ماجناً فاسقاً غير صالح للخلافة لانشغاله باللهو متواكلاً على الفضل بن الربيع ، بل هاهو لا يطمئن لخروج الجيش حتى يخرج معه ويودعه بنفسه كما يفعل أي حاكم وقائد محنك . كما كان على مقدرة سياسية ويهتم بأمور دولته ، وليس كما وصفته بعض كتب التاريخ . أنه كان منصرفاً عنها باللهو والمجون ؛ ولعل في ذلك تحاملاً من بعض من أرخ لهذه الفترة لا سيما من أصحاب الميول الفارسية والذين هم من مؤيدي سياسة المأمون من أهل خراسان ؛ فهم قد أسهموا في تشويه صورة الأمين ليجدوا المبرر والعذر لتصرفات المأمون .

ولما كان علي بن عيسى في همذان جاءته الأخبار بأن طاهر بن الحسين قائد المأمون ؛ قد عسكر في الرى في جمع عظيم ، وأن الأمور في خراسان مضطربة فأمر الجند بالمسير إلى الرى ، وبعث بالهدايا والألطاف إلى ملوك النواحي المجاورة ؛ ليأمن جانبهم وليقطع المدد عن طاهر من قبلهم ؛ فتحقق له ذلك . فلما صار في أول بلاد الرى أشار عليه أصحابه بأن يتخذ لهم معسكراً ، ويحفر الخنادق ليتحصن بها جنده ، ويبث العيون وطلائع العسكر ، لكن علي بن عيسى رفض ذلك بحجة أن حال طاهر تؤول إلى أمرين : إما أن يتحصن بالرى فينتفض عليه أهلها فيكتفي شره ، أو أنه يرى طلائع جند الأمين فيتراجع مهزوماً . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٧/٨ ـ ٤٠٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣١٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٣٩٩/٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٣/٥ ـ ١٤٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧٢/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٩٢/٣ .

أما طاهر بن الحسين فقد استشار قادته ورجاله في أمر علي بن عيسى ؛ فاجتمع الرأي أن يخرج طاهر بقوته وجيشه إلى خارج مدينة الرى على بعد خمسة فراسخ [١] منها عند مدينة يقال لها كلواص [٢] ، ويطلب المدد من خراسان ، لا سيما أنه لا يأمن جانب أهلها لما وقع في قلوبهم من روع علي بن عيسى من جهة ، وعظم جيشه من ناحية أخرى . [٣]

---

١ ـ الفرسخ : ثلاثة أميال ، ٥ فراسخ = ١٥ ميل ، والميل = ٦١٥م ، ١٥ ميل = ٩٢٢٥ متر . انظر أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، ٦١ ، جدة ، دار البيان العربي .

٢ ـ كلواذي : طسوج قرب مدينة السلام . للاستزاده انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٧٧/٤ .

٣ ـ ذكرت المصادر أن عدد جيش طاهر ٤ آلاف جندي وما يقاربه ، بينما عدد جيش علي بن عيسى ٥٠ ألف جندي وما يقاربه . يعتبر بعض المؤرخين أن المصادر بالغت في أعداد الجيشين وذلك لإظهار علي بن عيسى بعدم قدرته الحربية وإظهار طاهر ووصفه بالذكاء والدهاء . ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٧٥ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٣٧/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩١/٨ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ٢٤٦/١ ؛ ابن الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٦/٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٣٤٢/٢ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠١/٣ .

٨ ـ بداية المعركة :

أخذ علي بن عيسى يخطب في جيشه ويثير فيهم الحماس ويقلل من قيمة جيش طاهر بن الحسين ، وقسم جيشه إلى ميمنة وميسرة وقلباً ، وأوصاهم بالثبات . أما طاهر بن الحسين فقد كتب جيشه كتائب وكراديس [١] . وخطب فيهم ، وبين لهم عدالة قضيتهم وأنهم أصحاب حق . واحتدم القتال بين الطرفين وكادت كفة علي بن عيسى أن ترجح لولا ثبات طاهر وجيشه الذي استطاع أن يكسب المعركة بعد سقوط علي بن عيسى صريعاً فيها ؛ مما خفض معنوية جيشه وتسبب في هزيمته . لا سيما وأنه قد صيح في الجيش بأن الأمير قد قتل ، وبلغ أصحابه خبره ، فانهزموا واستسلموا . [٢]

بينما أورد اليعقوبي رواية حول كيفية مقتل علي بن عيسى ، أنه في أثناء تفقد علي بن عيسى لمعسكره ، رآه طاهر بن الحسين فخرج في جماعة من أصحابه وهجم عليه وضربه حتى أسقطه على الأرض ، وأخذ رأسه إلى معسكره ، ونصبه ونادى في معسكر علي بقتله ، مما جعل أصحابه ينهزمون ويسلمون الخزائن والكراع ، فلم يبت طاهر حتى حوى جميع ما كان في عسكره ؛ فاستأمن إليه كثير من أصحابه . [٣]

ثم كتب طاهر بن الحسين إلى ذي الرياستين بالخبر بقوله : « **كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس علي بين يدي وخاتمه في أصبعي ، وجنده متصرفون تحت أمري**

---

١ ـ الكتيبة : جمعها كتائب وهي ما جمع فلم ينتشر ، وقيل هي الجماعة المستحيزة من الخيل أي في حيز على حدة . وقيل جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف . وتعني الجيش . كتب الكتائب : أي هيأها كتيبة كتيبة .

الكراديس : الفرق ، وكردس القائد خيله أي جعلها كتيبة كتيبة وجمعها كتائب الخيل شبهت برؤوس العظام الكثيرة . للاستزادة انظر على التوالي ابن منظور : لسان العرب ، ١/١ ، ٧ ، ١٩٥/٦ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٢/٨ ـ ٣٩٣ ، ٤٠٩ ـ ٤١١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٤/٥ ـ ١٤٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧٣/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٣/٣ .

٣ ـ تاريخ اليعقوبي ، ٤٣٧/٢ .

والسلام » [١] . وما أن تسلم الفضل كتاب طاهر حتى دخل على المأمون وبشره بالفتح ، وقرأ عليه كتاب طاهر ؛ فأمر المأمون بإحضار أهل بيته وقواده ووجوه الناس ، وأعلن خلع الأمين والدعاء له في جميع كور خراسان وما يليها ، فدخل الناس عليه يهنئونه بالنصر ويسلمون عليه بالخلافة ويدعون له بالعز والنصر . [٢]

ذكر أنه لما جاء نعي علي بن عيسى وقتله إلى محمد بن زبيدة وهو يصطاد سمكاً طلب منه أن يدعه لأن كوثراً اصطاد سمكتين وهو لم يصطد شيئاً بعد . [٣]

من هذا نرى أن في الرواية السابقة مبالغة بهدف إظهار الأمين بمظهر المستهتر المشغول بملذاته عن أعماله ، حتى أنه عندما يأتيه خبر نعي قائد جيشه لم يعر الأمر بالاً ، بل كان همه في الصيد . هذه الرواية ربما يكون قد رواها أحد اتباع المأمون بهدف تحقير شخصية الأمين والاستهزاء ، فليس من المعقول أن يعلم الأمين بأمر هزيمة جيشه ومقتل قائده ولا يعر الأمر بالاً ؛ وهو يعلم أن عاقبة ذلك عليه وعلى دولته ورعيته . وإن كان شيعة المأمون يحاولون دائماً إظهار المأمون بمظهر الشخصية المثالية ، أما الأمين فيصورونه

---

١ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٣/٣ ، ورد أن طاهر بن الحسين كتب الكتاب بلقب أمير المؤمنين وهو لم يعلم أنه بويع بالخلافة في مرو إنما لقبه بذلك لأن طاهر وأحمد بن هشام أعلنا بيعتهما للمأمون بالخلافة وخلعهما للأمين . للاستزادة انظر القصة الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩١/٨ـ ٣٩٢ ؛ عماد الدين إسماعيل أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ١٩/٢ ، ط١ ، المطبعة الحسينية ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢١٠/١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٩٣/٣ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٢٩٤/٨ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٨/٦ . ذكر أنه بويع بالخلافة بعد أن علم بخروج جيش علي بن عيسى ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٠ ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ٢١٠/١ . ذكر أنه بويع بالخلافة ١٩٦هـ/٨١٢م ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ، ٣٧٥/٢ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٩٥/٨ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ٤٤٨/١ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٣٤٢/١ .

على عكس ذلك . فلو تأملنا ما ذكر هنا وما ذكر في السابق من أن الأمين خرج بنفسه مودعاً جيشه ، ولم يتركه حتى تفقد الجيش واستعرض المدد ووجه وصاياه إلى جنده وقائدهم ؛ لرأينا التعارض بين الروايتين ، فالمهتم بجيشه وكيفية خروجه وتجهيزه ، كيف لا يهتم بنتائج المعركة ! وخاصة أن النتائج كانت سلبية أي أن مضارها سوف تلحق بدولته وعرشه .

ولعل من النتائج المباشرة لهزيمة جيش الأمين أن انتقض القادة وأدركوا مدى حاجة الأمين إليهم بعد مقتل قائده والهزيمة التي لحقت به ، فأسروا إلى جندهم بالشغب وطلب الأرزاق ، لا سيما وأنهم أدركوا أنها فرصة سانحة لهم للاستجابة لمطالبهم . فلما سمع عبدالله بن خازم خرج إليهم في جماعة من الأعراب ، فتراموا بالنشاب والحجارة ، وعندما سمع الأمين ضجيجهم وتكبيرهم استفسر عن ذلك ؛ فبلغه أن الجند شغبوا لطلب أرزاقهم ، فأمر عبدالله بالكف عنهم ، وأمر لهم بأرزاق أربعة أشهر ، ورفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين ، وأمر للقواد والخواص بالصلات والجوائز ، ولعل في ذلك سياسة من الأمين لتهيئتهم لقتال طاهر بن الحسين .[1]

ثم ما لبث أن أعد جيشاً قوامه عشرون ألفاً من الأبناء[2] بقيادة عبدالرحمن بن جبلة الأبناوي ، ووجهه لحرب طاهر بن الحسين وحمله بالأموال وقواه بالسلاح والخيل ، وأجازه بجوائز ، وولاه حلوان[3] وما يخضع له من خراسان . وأمره بالإسراع في السير ، حتى ينزل مدينة همذان ،

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤١٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢/١٥٠ .

٢ ـ الأبناء : هم الجيل الثاني من أهل خراسان الذين ناصرو العباسيين ، حاربوا الأمويين ، أسسو الخلافة العباسية . انظر محمد حمادة : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول ، ٢٧٢ ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٣ ـ حلوان : مدينة عامرة ليست بالعراق فهي بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرى من رأى بقرب الجبل . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢/٢٩١ .

فيسبق طاهراً إليها ، ويخندق عليه وعلى أصحابه ، ويجمع إليه آلة الحرب ، ويبادر طاهراً بالقتال [١] . ثم اتبعه بابنى الحرشي عبدالله وأحمد ، وأمرهما أن يسمعا ويطيعا لعبـدالرحمن .

فسار حتى نزل مدينة همذان فضبط طرقها وحصن سورها وأبوابها ، وجمع فيها الآلات والميرة ، واستعد للقاء طاهر .

أما يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان فقد أقام مع جماعة من أصحابه بين الرى وهمذان ، ذلك بعد مقتل أبيه ؛ لاعتقاده بأن الأمين سيوليه قيادة الجيوش . فكتب إلى الأمين يستنجده ، فأعلمه بتوجيه عبدالرحمن بن جبلة ، ويأمره بالمقام في موضعه ، لمحاربة طاهر ، ومساعدة عبدالرحمن إذا احتاج إليه . [٢]

فلما بلغ طاهر الخبر توجه نحو عبدالرحمن وأصحابه ، وفي طريقه إليه تخوف أن يثب به كثير بن قادرة عامل الأمين على قزوين ، فلما قرب من همذان أمر أصحابه بالنزول فركبوا في ألف فارس وألف راجل وتوجهوا نحو كثير بن قادرة ، فلما قرب منه هرب كثير وأصحابه وأخلى قزوين ؛ فدخلها طاهر وولى عليها رجلاً من أصحابه وجعل بها جنداً لمحاربة من أراد دخولها من أصحاب عبدالرحمن وغيرهم . [٣]

---

١ ـ إذا لم يكن الأمين منشغلاً عن أمر جيوشه باللهو والمجون ، فها هي الروايات تثبت عكس ما روي فكيف لا يبالي بمقتل قائد جيوشه ، ثم يجهز بسرعة فائقة جيوشه ويأمر قائده الجديد بالسرعة وعدم القعود للراحة إلى أن يصل همذان . ويضع له خطة الحرب ويوصيه كيف يسير حتى يتحقق لهم النصر . إذا لم يكن الأمين كما وصف بأنه غير مؤهل للخلافة لانشغاله باللهو .

٢ ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٧٦ . ذكر أن الجيش عدده ثلاثون ألف جندي ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤١٢ ـ ٤١٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٢٦ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣/٣٠١ ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٣٧ . ذكر أن الأمين قد تسرع بإرسال جيش عبدالرحمن لأنه لم يحسن اختيار القائد والفرصة غير كاملة لتجهيز الجيش ووضع الخطة المناسبة له .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤١٥ ـ ٤١٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/١٤٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٤ .

أما يحيى بن علي فقد أحس بقوة جيش طاهر بن الحسين ؛ وأدرك عدم قدرته على مواجهته ، فأشار على أصحابه بالتقدم إلى همذان ، ليكونوا أقرب إلى جيش عبدالرحمن ، وقصد طاهر مدينة همذان وقبل أن يصلها تقابل مع عبدالرحمن فاقتتلوا ، فكثر القتلى والجرحى فيهم ، وانهزم عبدالرحمن وتقهقر إلى داخل مدينة همذان ، فأقام بها أياماً حتى قوى أصحابه ، ثم أمر بالاستعداد وزحف إلى طاهر ، فلما رآه طاهر أخبر أصحابه بأن عبدالرحمن يريد أن يستدرجهم لقتاله ، فإذا أدرك قوتكم تحصن بالمدينة وقاتلكم من وراء خندقها ، وإن هزمكم تعقبكم ، ولكن لا تبادروه ولكن قفوا مكانكم حتى يتقدم إليكم فقاتلوه . وعندما رأى عبدالرحمن أن جيش طاهر يقف مكانه بلا حراك ظن أن الهيبة بطأت به من لقائه والنهوض إليه ، فبادر بقتالهم ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر طاهر ، وأكثر القتل في أصحاب عبدالرحمن ، وعبدالرحمن يقول لأصحابه : « **يا معشر الأبناء ، يا أبناء الملوك ، وألفاف السيوف ؛ إنهم العجم وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر ؛ فاصبروا لهم فداكم أبي وأمي ! وجعل يمر على راية راية ، فيقول : اصبروا ؛ إنما صبرنا ساعة ، هذا أول الصبر والظفر** »[١] . فاشتد القتال ، وقتل من أصحاب طاهر عدد كبير ، حتى حمل رجل من أتباع طاهر على صاحب علم عبدالرحمن فقتله . ثم استمر القتال حتى وصل أصحاب عبدالرحمن همذان ؛ فحاصرهم طاهر ، ودار بين الطرفين القتال طيلة الحصار ، حتى اشتد ذلك على أصحاب عبدالرحمن ، وضاق أهل المدينة من القتال والحرب ، وقطع عنهم الزاد مما أضعفهم ، فتخوف عبدالرحمن أن يثب به أهل المدينة ، فأرسل إلى طاهر يسأله الأمان ، فأمنه ووفى له ، واعتزل عبدالرحمن ومن معه وأصحاب يحيى بن علي . إلا أنه كان ينوي الغدر بطاهر فأخذ يريهم أنه مسالم لهم راضٍ بعهودهم ، وأيمانهم حتى اطمأنوا له فركب وأصحابه وهجموا على طاهر وأصحابه بالسيوف واشتد القتال مرة أخرى حتى انتهى بهزيمته ومقتله .[٢]

---

١ ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤١٤/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٦/٥ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠٢/٣ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤١٤/٨ ـ ٤١٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٦/٥ .

أما ابنا الحرشي ، فقد دخلهم الوهن والخوف فولوا منهزمين ، حتى وصلوا بغداد ، أما طاهر فقد سيطر على البلاد التي يمر بها ، حتى نزل قرية من قرى حلوان يقال لها شلاشان ؛ فخندق بها ، وحصن عسكره ، وجمع إليه أصحابه . [١]

فلما علم المأمون بأمر مقتل عبدالرحمن بن جبلة وهزيمة جيشه ، دعا الفضل بن سهل وعقد له في رجب ١٩٦هـ/٨١٢م على المشرق من جبل همذان إلى جبل سيقنان والتبت [٢] طولاً ، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم وجرجان [٣] عرضاً ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين وأعطاه علماً ، وسماه ذا الرياستين ، (رياسة الحرب ، ورياسة التدبير) وحمل العلم نعيم بن حازم ، وحمل اللواء علي بن هشام ، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج . [٤]

ما أن وصل خبر مقتل عبدالرحمن بن جبلة إلى بغداد حتى بعث الفضل بن الربيع إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، فجاء أسد للفضل فدخل عليه وكان جالساً في صحن داره ، وفي يده رقعة قرأها وهو يقول : « **ينام نوم الظربان** [٥] **؛ وينتبه انتباه الذئب ، همه بطنه ، ويختال الرعاء والكلاب ترصده . لا يفكر في زوال**

---

١ ـ الدنيوري : الأخبار الطوال ، ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤١٦ ـ ٤١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٤ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣/٣٠٢ .

٢ ـ التبت : بلد بأرض الترك ، وهي متاخمة لملكة الصين وأرض الهند ، وبلاد الهياطلة وبلاد الترك . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢/١٠ .

٣ ـ جرجان : مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان . للاستزادة انظر المصدر السابق ، ٢/١١٩.

٤ ـ البلخي : البدء والتاريخ ، ٦/١٠٨ ـ ١٠٩ ؛ أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢/٢٠ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢/٢١٠ ـ ٢١١ .

٥ ـ الظربان : دويبة شبه الكلب ، اصم الأذنين صماخاة ، طويل الخرطوم ، أسود السراة ، أبيض البطن ، كثير الفسو ، منتن الرائحة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١/٥٧١ .

نعمة ، ولا يروي في إمضاء رأي ولا مكيدة ؛ قد ألهاه كأسه ، وشغله قدحه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام توضع في هلاكه ؛ قد شمر عبدالله له عن ساقه ، وفوق له أصوب أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ ، والموت القاصد ، قد عبى له المنايا على متون الخيل ، وناط البلاء في أسنة الرماح وشفار السيوف . واسترجع ابياتاً للبعيث » . [١]

فلما انتهى أخبر أسداً بأنهما يتفقان في غاياتهم ، بينما الأمين مشغول بملذاته وشهواته ، وأن جلساؤه ومستشاريه من أهل اللهو يشيرون عليه بما فيه ضياعهم ، وأن الأمين استنجد به ليتولى قيادة الجيوش لسببين : لصدق طاعته وفضل نصيحته ، ويمن نقيبته وشدة بأسه ، وأنه أمره أن يبسط له يده في العطاء ، وفيما تطلب من أجل الجند ، وطلب منه أن يسرع في تنفيذ ما طلب منه ؛ لعله يكون النصر على يديه . فوافق أسد على أن يصرف لأصحابه رزق سنة ، ويحمل معهم رزق سنة ، ويجعل لهم خاصة ، وأن يبدل الزمنى [٢] والضعفاء ، وأن يحملهم على ألف فرس ، ولا يسئل عما افتتح من المدن والكور ، فأخبره الفضل باشتطاطه في شروطه ، وطلب منه أن يدخل على الأمين ليخبره بطلباته ، فلما وقف بين يدي الأمين طلب ولدي المأمون ليكونا أسيرين في يديه ؛ متى رفض الخضوع له تخلص منهما ؛ فغضب الأمين لسوء معادلته للمكافأة التي كافأه بها ؛ فأمر بحبسه . [٣]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤١٨/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٤ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٥٨١/٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٨/٥ .

٢ ـ الزمنى : أصحاب العاهات . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١٩٩/١٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤١٩/٨ ـ ٤٢٠ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٩٤ ؛ القيرواني : المصدر السابق ، ٥٨٢/٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٨/٥ـ١٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٥/١٠ . ذكر أن سبب حبسه لأنه نقم على الأمين لعبه وتهاونه في أمر الرعية ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٥/٣ ؛ نبيلة حسن : تاريخ الدولة العباسية ، ١٨١ ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م . ذكرت أن سبب حبسه بسبب مطالبه المالية وهي صرف أرزاق سنة وحمل أرزاق سنة أخرى .

ومن خلال الرواية السابقة يتضح مدى التناقض في الروايات ، فبينما يصف الفضل بن الربيع الأمين بانشغاله ، باللهو والشراب وعدم إهتمامه لما يحدث من أمور جيشه ، يعود يذكر أنه قد أمر بأن يولي أسد بن يزيد قيادة جيوشه ضد طاهر بن الحسين بعد أن علم بمقتل عبدالرحمن بن جبلة ، وأنه أمر أن يعد له ما يطلبه من مال ورجال . فكيف يكون مشغولاً عن أمور دولته بلهوه وها هو يأمر بإعداد الجيوش الواحدة تلو الأخرى لمواجهة طاهر ، ويعتقد أنها روايات من قبيل الدعاية المأمونية .

كما يتضح لنا منها مدى التناقض في تصوير شخصية الأمين ، ففي الرواية ذكر لأخلاق الأمين وخوفه على أبناء أخيه ورفضه السماح أن يكونا لعبة في أيدي القادة ، مما يؤكد على نبل أخلاقه ، وينفي ما يصفه الرواة عنه ؛ فهي مجرد روايات من باب الدعاية المأمونية ؛ لإظهار المأمون بمظهر الشخصية المثالية لما يتصف به من نبيل الأخلاق والصفات ، ووصم الأمين بالأخلاق السيئة . ولكن الحقيقة لابد وأن تظهر مهما أخفيت ، لأن تفكيره في جعل الخلافة لابنه ، لا يعني سوء خلقه ، فهو ليس بأول من فكر في تغيير ولاة العهد فقد سبقه إلى ذلك آباؤه وأجداده ، ولم يحدث لهم ما حدث له ولم يوصفوا بما وصف به ، ولكن حظه والظروف التي أحاطته أدت إلى قتله وتشويه صورته لدى الأجيال .

وها هي أخلاقه تظهر مرة أخرى ، عندما طلب من مستشاريه أن يدلوه إن كان هناك شخص من أهل بيت أسد يصلح لتولي قيادة الجيوش ؛ لأنه لا يريد أن ينحيهم عن مكانتهم وهم أصحاب سابقة طيبة وفضل ونصحية . فدلوه على أحمد بن مزيد ، وما يتصف به من صفات حميدة ، فبعث إليه الأمين يطلب منه القدوم عليه ، فقدم على الفضل ثم قدمه للأمين ؛ فأخبره بما وصف به عنده ، وأنه اختاره لتولي قيادة الجيوش ، وطلب من الفضل أن يدفع له دفاتر الجند ، وأمره أن يعجل في المسير ، فاختار أحمد عشرين ألف رجل من

الأعراب ثم توجه للأمين قبل خروجه ليتوسط لأسد عنده فيطلق سراحه وليوصيه [١] . فقال له الأمين : « **أوصيك بخصال عدة : إياك والبغي ، فإنه عقال النصر ، ولا تقدم رجلاً إلا باستخارة ، ولا تشهر سيفاً إلا بعد إعذار ، ومهما قدرت باللين فلا تتعده إلى الخرق والشره ، وأحسن صحبة من معك من الجند ، وطالعني بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ، ولا تستقها فيما تتخوف رجوعه على ، وكن لعبدالله أخاً مصافياً ، وقريناً براً ، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ؛ ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطىء عنه إذا استصرخك ؛ ولتكن أيديكما واحدة ، وكلمتكما متفقة** » . [٢]

يتبين لنا من النصحية السابقة مدى نبل أخلاق الأمين ، وإن كان البعض يراه يتخوف من الدماء والقتل ومستهتراً ولكن ذلك لم يكن خوفاً من الدماء أو استهتاراً منه . لأنه كيف يكون مستهتراً وهو يخرج بنفسه مع الجيوش ليودعها وينصحها بما يجب أن يكون عليه المقاتل . ولم يكن يتخوف من الدماء ، وإنما يجب عليه أن يحرص على دماء المسلمين . لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يوصون أن لا يسفكوا دماً في غير مكانه . فهل كان خوفاً منهم ؟ ولكن هذا ما كان يجب أن يوصيه لقادته حتى لا يعملوا بسيوفهم بطغيان ، وإن كان البعض اعتبره خوفاً وجبناً . [٣]

كما يتبين منها مدى ميل الأمين إلى الاستخاره التي حث الرسول ﷺ عليها في لحظة الاختيار ، بينما كان المأمون يعتمد في اختياره على الفضل بن سهل المنجم ، والتنجيم محرم في الإسلام ؛ فمن إخبارياته للمأمون ومشورته له أنه اختار وقت خروج طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى ، وتلقيب طاهر بذي اليمينين قبل خروجه للحرب . وإن كان أحمد فريد رفاعي يعيب على

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤٢٠ ـ ٤٢٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٩ ـ ١٥٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٥ .
٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٢٢ .
٣ ـ الرفاعي : عصر المأمون ، ١/١٩٤ ، ٢٠٥ .

الأمين ميله إلى الاستخارة في أمور حياته ، وحتى في آخر لحظة من حياته ، لحظة تسليم نفسه لهرثمة أم لطاهر ! وأن المأمون على عكس ذلك ، فقد كان لا يحفل في مهام أموره بالاستخارة ، ووحي الأحلام ، بل يعتمد في جل حياته على مشورة رجاله وذوي النصيحة والرأي [١] . بينما تخبرنا المصادر الأخرى بموقف المأمون من تنبوءات الفضل بن سهل . أما الأمين فقد كان على العكس يرفض الاعتقاد والأخذ بآراء المنجمين ، فقد روي أنه جاءه منجمٌ قبل خروج علي بن عيسى لحرب طاهر بن الحسين وقال له : « أصلح الله الأمير ! لو انتظرت بمسيرك صلاح القمر ؛ فإن النحوس عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة منصرفة ! فكان جواب الأمين أن أمر أن تضرب الطبول إعلاناً على بدء المسير ، ثم قال : إنا لا ندري ما فساد القمر من صلاحه ، غير أنه من نازلنا نازلناه ، ومن وادعنا وادعناه وكففنا عنه ؛ ومن حاربنا وقاتلنا لم يكن إلا إرواء السيف من دمه . إنا لا نعتد بفساد القمر ؛ فإنا وطنا أنفسنا على صدق اللقاء ومناجزة الأعداء » [٢] . إذاً ها هو الأمين يرفض الاعتقاد بالتنجيم ، ولجوؤه للاستخارة أفضل من لجوؤه إلى التنجيم .

ثم سار أحمد بن مزيد نحو حلوان ، وأتبعه الأمين بعشرين ألفاً من الأبناء عليهم عبدالله بن حميد بن قحطبة أوصاهم بالطاعة واجتماع الكلمة ، وعندما قربا من حلوان عسكرا فيها وتمركز طاهر في قرية شلاشان حيث تحصن هو وجنده بها وبعث بالجواسيس والعيون لينال من جيش الأمين ، وأشاع بينهم الفرقة والشغب بسبب ما نشر من أن الأمين قد وزع الأعطيات والأرزاق على أصحابه ؛ فكان لهذا التصرف أثر بالغ في صفوف جيش الأمين الذي آثر العودة وعدم لقاء جيش طاهر . [٣]

---

١ ـ عصر المأمون ، ٢٠٣/١ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٧/٨ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٤٢٣/٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧٦/٢٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٥/١٠ ـ ٢٣٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٥/٣ .

من العرض السابق يتضح موقف جند الأمين ، وأسباب هزيمتهم وذلك بسبب طمعهم في المال ، وتعودهم على الرفاهية ، إذ يقع العبء الأكبر على عاتق الجند ، وإن كان الأمين يلام على كثرة إغداقه للأموال عليهم حتى أصبحوا شرهين دون أن يجني منهم شيئاً . وإن كان البعض يعلل سبب ذلك بالعداء المستحكم بين العرب والفرس عنصري الجيش . [١]

لما بلغ الأمين أمر هزيمة جيوشه وانتصار طاهر بن الحسين ، دخل عليه عبدالملك بن صالح يخبره أن الجنود قد طمعوا في أمواله وأن معنوياتهم منخفضة ، كما أن كثرة القتال والهزائم أضعفتهم وجعلتهم يتكاسلون عن الخروج ، ولا يقاتلون إلا من أجل المال لذلك سوف يهزمون أمام جيوش طاهر . واقترح عليه أهل الشأم لدرايتهم بالحروب وتدربهم فيها وخضوعهم له ، فوافق الأمين على اقتراحه ، وأعد له ما يحتاجه من مال وعدة وولاه على الشأم والجزيرة ، وأمره أن يعجل في الخروج ، وأن يأتيه بالنصر . [٢]

يلاحظ أن عبدالملك بالغ في وصف جند طاهر بالقوة ، بينما كان جند الأمين لا يقل قوة ، ولكنهم تعودوا على حياة الرفاهية فشغلوا بالمال عن الحروب .

فلما قدم عبدالملك الرقة [٣] . أنفذ رسله ، وكتب إلى رؤساء أجناد الشأم والجزيرة ، يعدهم ويمنيهم ، حتى قدموا عليه جميعاً ، حتى أنه لا يدخل عليه أحداً منهم إلا أجازه وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشأم : الزواقيل [٤]

---

١ ـ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٥٢ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٢٥/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٠/٥ .

٣ ـ الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٩/٣ .

٤ ـ الزواقيل : مشتقة من الزقل ، وهم قوم بناحية الجزيرة وما والاها . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣٠٥/١ .

والأعراب من كل مكان ، فاجتمعوا عنده حتى كثروا ، وحدثت فتنة تقاتل فيها الأبناء وعلى رأسهم الحسين بن علي بن عيسى ، والزواقيل وعلى رأسهم نصر ابن شبث [١] ، وقتل فيها الزواقيل على حين غرة مقتلة عظيمة ، وذبحوهم في رحالهم ؛ فركب من بقى من الزواقيل خيولهم ، ولبسوا سلاحهم ، ونشبت الحرب بينهم ، وبلغ ذلك عبدالملك بن صالح ؛ فوجه إليهم رسولاً يأمرهم بالكف ووضع السلاح ، فرموا الرسول بالحجارة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، قتل من الزواقيل عدد كبير ، فلما أخبر عبدالملك بما حدث غم لذلك . [٢]

وفي رجب ١٩٦هـ/٨١٢م توفي عبدالملك بن صالح بالرقة ، وكان لموته المفاجىء أثر كبير في اضطراب الأمور في بغداد ؛ إذ استغل بعض القادة مراكزهم القيادية ليثوروا على الأمين ، ومن هؤلاء الحسين بن علي بن عيسى ابن ماهان الذي استخدم القوة التي كان قد أعدها له الأمين لمحاربة السفياني في بلاد الشأم [٣] وما أن وصل بغداد حتى تولاه الأبناء وأهلها بالتعظيم والتبجيل ، وعندما علم الأمين بقدومه أرسل إليه في جوف الليل ليأتيه ؛ إلا أن الحسين وجدها فرصة ليعلن عصيانه للأمين ، بأن رفض القدوم إليه ؛ بل أنه اتجه إلى إغلاق أبواب المدينة ، وحرض الناس على الخليفة وحذرهم من مغبة الولاء له . ثم أمر الناس بعبور الجسر إلى سكة باب خراسان والتقى بجموع

---

١ ـ نصر بن شبث العقيلي ، ثائر للعصبية العربية من بني عقيل بن كعب بن ربيعة ، كان أسلافه من رجال بني أمية ، كان مقيماً بكيسوم شمالي حلب ، ثار بكيسوم في عهد المأمون ١٩٩هـ/٨١٥م . للاستزادة انظر الكندي : الولاة والقضاة ، ١٨٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧١/٥ ـ ١٧٢ ، ١٧٦ ، ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢٣/٨ ـ ٢٤ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٢٥/٨ ـ ٤٢٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٥١/٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣٣٧/٩ .

٣ ـ هو علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسفياني ظهر بالشأم ١٩٥هـ/٨١١م في شهر ذي الحجة يدعوا إلى نفسه ، وطرد منها عامل الأمين سليمان بن أبي جعفر . للاستزادة انظر الطبري : المصدر السابق ، ٤١٥/٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٤٧/٥ .

من الحربية [١] وأهل الأرباض ، ثم اشتبكت بعض قوة محمد الأمين مع الحسين بن علي فأقتتلوا قتالاً شديداً حتى تمكنوا من هزيمتهم .

وفي يوم الأحد لأحدى عشرة ليلة خلت من رجب ١٩٦هـ/٨١٢م أعلن الحسين بن علي خلع الأمين والبيعة لأخيه المأمون ، ثم إن العباس بن موسى ابن عيسى الهاشمي دخل على الأمين وأخرجه من قصر الخلد وحبسه في قصر أبي جعفر ؛ ثم إن الناس ضجت في المدينة بعد هذه الأحداث وطلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد بباب الشأم ينادي في أصحاب الحسين بن علي يحرضهم بالخروج عليه ، لأنه لا يوجد ما يبرر سبب توليه عليهم ؛ وقام أسد الحربي ينادي في أهل الحربية ويحثهم على التيقظ وأهمية فك أسر الأمين وإطلاق سراحه .

كما أقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية على فرس صائحاً في الناس يأمرهم بفك أسر خليفتهم ومناصرته والدفاع عنه ، فهو لم يعهد عليه أن أخل بواجب من واجباته أو تعرض لأحد منهم أو ظلمه . ثم إن أهل الحربية خرجت على الحسين بن علي وأصحابه ومعها عامة أهل الأرباض فقاتلوهم قتالاً شديداً ، وأسر الحسين بن علي ، ودخل أسد الحربي على محمد الأمين ففك قيده وأقعده في مجلس الخلافة في ١٦ رجب ١٩٦هـ/٨١٢م بعد أن حبس يومين . ثم أتي بالحسين بن علي فلامه الأمين على فعلته واعتذر إليه وقبل عذره ؛ فدعا له الخليفة بخلعة فخلعها عليه وولاه حلوان [٢] . غير أن هذا التصرف من الأمين إن صحت نسبته إليه لا ينم عن حنكة ودهاء سياسي ؛ حيث أنه

---

١ ـ الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، وتنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي ، وهي منسوبة وهي تلي جامع المنصور ويطلق اسم الحربية على النصرية والشاكر ودار البطيخ والعباسيين وغيرها . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢/٢٣٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤١٥ ، ٤٢٨ ـ ٤٣١ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٢٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٥١ ـ ١٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٦٥ ـ ١٦٧ ، ١٧٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٣٦ ـ ٢٣٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٦ .

لا يؤمن جانب الحسين بن علي بعد أن وقف منه هذا الموقف ، فإن عفا عنه الأمين فلا يعني الإفراط في ثقته به ليوليه قيادة الجيوش ، إذ خرج الحسين بن علي ، مرة أخرى ، فأمر الأمين بقتله فقتل في رجب من السنة نفسها ، وفي نفس الليلة هرب الفضل بن الربيع ؛ وجددت البيعة للأمين . [١]

أما طاهر بن الحسين فقد جاءه كتاب المأمون والفضل وهو بحلوان بتسليم ما حوى لهرثمة بن أعين وأن يتوجه للأهواز [٢] ، فسلمها له ليحصنها ويضبط طرقها وجبالها [٣] . فبعث طاهر جماعة من أصحابه إلى الأهواز لنجدة الحسين بن عمر الرستمي أميره عليها ؛ عندما علم أن محمد بن يزيد المهلبي [٤] عامل الأمين عليها يريد الخروج للدفاع عنها وحمايتها ، وأمد طاهر أصحابه بالمدد ليستطيعوا الصمود أمامه وانضم هو معهم .

فلما علم بأمرهم محمد بن يزيد أمر جنده بنزول سوق عسكر مكرم ، واستشار أصحابه في أن يقاتلهم أم يماطلهم ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى الأهواز ليتحصن بها ويبادي طاهراً القتال ، ويفرض الفروض على أهل البصرة ، فوافق على رأيهم . ودخل المدينة قبل جيوش طاهر وتحصن بها ، ثم لحقته جيوش طاهر ونزلت بالقرب منه وحملوا الحجارة ، ودارت المعركة

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤٣١ ـ ٤٣٢ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٢٥ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٦/٣٢٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٧٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٣٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٧ .

٢ ـ الأهواز : اسم لكورة بأسرها اسمها أيام الفرس خوزستان ، والأهواز اسم عربي . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١/٢٨٤ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٢٣ ؛ أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢/٢٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣/٢٩٦ .

٤ ـ محمد بن يزيد بن حاتم المهلبي ، والي الأمين على الأهواز ، قاتل طاهر بن الحسين أثناء هجومه عليها ، فصمد إلى أن قتل على باب الأهواز دفاعاً عنها وعن الأمين . انظر الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٣٢ ـ ٤٣٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٧/١٤٤ .

بينهما جرح فيها عدد كبير من أصحاب محمد بن يزيد ؛ فأخبر أصحابه بما حدث له وأن عليه الخروج بنفسه للقتال ، ومن أراد منهم الانصراف فلينصرف ، فرفضوا الانصراف وتركه وحده وهو الذي أعتقهم ورفع مكانتهم ؛ فخرجوا وحملوا حملة منكرة على أصحاب قريش قتلوا عدداً كبيراً منهم بالحجارة ، وانتهت المعركة بمقتل محمد بن يزيد على يد أصحاب طاهر . [١]

ثم أقام طاهر بن الحسين بالأهواز ، وولى عماله على كورها وتتابعت المدن وولاتها تسقط في يديه وتبايع له وتعلن خلعها للأمين ؛ مما دفع بطاهر أن يقر هؤلاء الولاة على ولاياتهم . [٢]

كما أعلن والي الأمين على مكة والمدينة خلعه للأمين وبيعته للمأمون ؛ عندما علم بأمر أخذه للكتابين من الكعبة ، فجمع حجبة الكعبة والفقهاء ؛ ليذكرهم بالعهود والمواثيق التي أخذت عليهم في مكة في عهد الرشيد ، وأنهم يجب أن يكونوا مع المظلوم ، ويحرضهم على الأمين لخلعه أخويه ومبايعة ابنه الصغير ، وطلبه الكتابين ؛ فطلب منهم أن يخلعوه ، ويبايعوا للمأمون بالخلافة ، فوافق على رأيه الناس ؛ فجمعهم في صلاة الظهر ، وبعد أن صلاها معهم ، خطب فيهم في أمر البيعة [٣] ، ثم جلس للبيعة وقرأ عليهم كتابها ، ثم كتب لابنه على المدينة المنورة يأمره بذلك .

فلما ورد عليه الرد سار إلى مرو ليعلم المأمون بأمر مكة والمدينة ، فما أن علم بذلك حتى كافأه وجعل لابن أخيه ولاية الموسم في تلك السنة ، ودعي له ، وكان أول موسم يدعى فيه للمأمون . كما أعلنت اليمن بيعتها له . [٤]

---

١ ـ الطبري: تاريخ الطبري ، ٨/٤٣٢ ـ ٤٣٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٥١ ـ ١٥٣ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٣٥ ـ ٤٣٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٢٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/١٥٣ ـ ١٥٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٩٧ .

٣ ـ انظر نص الخطبة في قسم الملاحق رقم (١٦) ، ص ٢٩٢ .

٤ ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٢/٥٠٤ ، الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٣٨ ـ ٤٤١ ؛ =

وفيها عقد الأمين نحواً من أربعمائة لواء لقواد شتى بقيادة علي بن محمد ابن عيسى بن نهيك ؛ لمحاربة هرثمة بن أعين ، فهزموا وأسر قائدهم ، ووصل هرثمة النهروان [١] ، كما ثار على طاهر خمسة آلاف جندي والتفوا حول الأمين يعدهم ويمنيهم ويغدق عليهم ، ونشر العيون في جيش طاهر ، ودار بينهم قتال ما لبث أن انهزم فيه أهل بغداد ، فانتهب أصحاب طاهر معسكر الأمين ؛ فزاد الأمين في الإغداق عليهم من الأموال والصلات والذخائر وغلف لحاهم بقوارير الغالية حتى سموا بقواد الغالية .

ولكن طاهراً أغراهم واستمالهم مما جعلهم يثورون عليه فقاتلهم فانضموا إلى طاهر في البستان والأرباض بعد نزوله به في ١٢ ذي الحجة ١٩٦هـ/٨١٢م ؛ فأمنهم والحقهم جميعاً في الثمانين في الأرزاق ، وأجرى عليهم الأموال ، وأضعف للقواد وأبناء القواد والخواص ؛ مما ساءت حالة البلاد وخربت وانتشر الفساد [٢] . « **ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها وفتن الناس ، ووثب على أهل الصلاح الدعار والشطار ، فعز الفاجر ، وذل المؤمن ، واختل الصالح ، وساءت حال الناس إلا من كان في عسكر طاهر لتفقده أمرهم ، وأخذه على أيدي سفهائهم وفساقهم ، واشتد في ذلك عليهم ، وغادى القتال ورواحه ، حتى تواكل الفريقان ، وخربت الدار** » . [٣]

= الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٢٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٥/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٧٨/٢٢ ـ ١٧٩ .

١ ـ النهروان : هي كورة واسعة بين بغداد ووسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٢٥/٥ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤٠/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٤٢/٨ ـ ٤٤٣ ؛ الأزدي : المصدر السابق ، ٣٢٥ . ذكر أنه عقد ثلاثمائة لواء ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٥٥/٥ ـ ١٥٦ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٨٠/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٨/٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٣/٨ ـ ٤٤٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٥٦/٥ .

٩ ـ نهاية الصراع بين الأخوين :

في أوائل ١٩٧هـ/٨١٣م لحق القاسم بن هارون الرشيد ، ومنصور بن المهدي بالمأمون في مرو ؛ فوجه المأمون القاسم إلى جُرجان . ثم نزل زهير بن المسيب (١) قصر رقة كلواذي ، ونزل هرثمة بن أعين نهربين (٢) ، وعبيدالله ابن الوضاح الشماسية (٣) ، ونصبوا المجانيق والعرادات (٤) واحتفروا الخنادق ، وجعل زهير يرمي ويساعده هرثمة ؛ مما ألب الناس عليه فشكوه عند طاهر . (٥)

أما الأمين فقد ضعف أمره ؛ فأخذ يبيع مافي الخزائن من آنية ليضربها دراهم ودنانير ؛ لينفق على حرب طاهر ، وأمر برمي الحربية بالنيران والنفط ، وعمل على استمالة هرثمة ففشل ، وتعرضت بغداد للتدمير من قبل طاهر والأمين حتى كادت أن تصبح خراباً ، وانضم أهل بغداد إلى طاهر ماعدا باعة الطريق وأهل السجون والأوباش والرعاع وقطاع الطرق وأهل السوق

---

١ ـ زهير بن المسيب الضبي : أحد القادة في العصر العباسي ، كان مع المأمون ضد الأمين استعمله الحسن بن سهل على جوخي ، قتل في ثورة بغداد على الحسن بن سهل ٢٠١هـ/٨١٧م . للاستزادة انظر المسعودي : مروج الذهب ، ٤١١/٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٧/٥ ، ١٧٩ ـ ١٨٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٥٢/٣ .

٢ ـ نهربين : طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣١٨/٥ .

٣ ـ الشماسية : نسبة إلى شماسي النصارى : وهي مجاورة لدار الروم في أعلى مدينة بغداد ، وإليها ينسب الشماسية . للاستزادة انظر : المصدر السابق ، ٣٦١/٣ .

٤ ـ المجانيق : جمع منجنيق ، وهي آلة ترمى بها الحجارة ، وهي كلمة فارسية معربة أصلها جي تيك .
العرادات : جمع عرادة وهي آلة تشبه المنجنيق صغيرة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣٣٨/١٠ ، ٢٨٨/٣ .

٥ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٤٥/٨ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ٤١١/٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٧/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٨/١٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٥٤/٢ .

فقد صمدوا مع الأمين ضد طاهر وأصحابه ، أما الباقون فقد استسلموا ، لما عانوا من حصار وإذلال وقهر واستغلال واستبداد وسيطرة على أموالهم وضياعهم حتى يضغط عليهم ويجبرهم على خذل الأمين فيضعف <١> ؛ فقد استسلم صاحب قصر صالح وصاحب الشرطة والقواد وبنو هاشم ؛ فلما انتشر الفساد في بغداد وعم الخراب والجوع والفقر انضم إليه باقي أهلها .

أما من بقي فقد صمد وقاتل ببسالة حتى قتل عدد كبير من أصحاب طاهر في وقعة قصر صالح ؛ فغضب طاهر لما حدث فأمر بإحراق وهدم دور من خالفه من أهل بغداد ؛ وساعده على ذلك أصحاب الأمين فكانوا يخربون أكثر مما يفعله أصحاب طاهر ؛ فربما فعلوه حتى يمنعوا طاهراً وأصحابه من الاستفادة منها . <٢>

فلما رأى طاهر أن أصحاب الأمين لا يحفلون بالقتل والهدم والحرق ، وفشل في الحرب الفعلية ، لجأ إلى الحرب النفسية ، ففرض حصاراً مادياً على بغداد بمنعها من الدقيق وجميع المنافع ؛ فغلت الأسعار غلاءً فاحشاً فبينما نجد قيمة عشرين رطلاً من الخبز بدرهم لدى أصحاب المأمون نجد أن سعر الرطل الواحد من الخبز بدرهم لدى أصحاب الأمين ؛ مما جعل أصحاب الأمين يتضايقون من هذا الغلاء ، ومع ذلك فإنهم صمدوا أمام جيوش طاهر فقد دارت عدة معارك بينهما انتصر فيها أصحاب الأمين على أصحاب طاهر

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤١/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٤٦/٨ ـ ٤٤٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤١٢/٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٧/٥ ـ ١٥٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٩/٣ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ، ٣٧٢/٢ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٥٤/٨ ـ ٤٥٩ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ٤١٤/٣ ـ ٤١٥ ؛ أحمد بن محمد بن مكسويه : تجارب الأمم ، ٤١٢/٦ ـ ٤١٣ ، بغداد ، مكتبة المثنى ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٥٨/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٨١/٢٢ .

كما في وقعة درب الحجارة ، وقتل فيها عدد كبير من أصحاب طاهر والشماسية ؛ ولكن المؤرخين لا يذكرون انتصارات جيوش الأمين ؛ إنما يذكرون فقط انتصارات جيش طاهر ؛ بهدف تصوير جيوش الأمين ودولته بمظهر الضعف وعدم القوة ؛ لذلك استحقت النهاية التي حلت بها . وإن كانوا ينوهون أحياناً عنها وذلك لمجرد التنويه في سياق الحديث والرواية ، وليس بهدف التوضيح . ومما يثبت انتصاراتهم أن طاهراً انتقم منهم بإحراقه قصور ومجالس الأمين الخيزرانية التي أعطاها للغزاة بعد انتصارهم على جيوش هرثمة ، وقتل عدداً كبيراً منهم . (١)

وهكذا بدأ أمر الأمين يضعف ؛ لا لضعف من اتباعه كما يصورهم المؤرخون ، بل كانوا على قدر كبير من الشجاعة ؛ فقد أحرزوا انتصارات عظيمة كما رأينا ؛ ولكن هزموا لما دبره لهم طاهر من مؤامرات ومكائد دنيئة بإظهار حسن المعاملة في البداية لجذب الناس إليه ، ومن ثم إيقاعه الشر بمن لم يخضع له فيضطر إلى الاستسلام والخضوع له ، ولكن المؤرخين يحاولون دائماً تصوير جيوش المأمون بالصورة المثالية ؛ فهم لا يذكرون أنهم يتعرضون لأهل بغداد بالقتل والتعذيب ، وأن الذي فعل ذلك أصحاب الأمين . بينما الواقع أنه أساء معاملتهم عندما لم يخضعوا له وبعد أن تمكن من الأمين وذلك مخطط منه بهدف كسب الناس لينضموا إليه ويخذلوا الخليفة ؛ مما يضعف أمره فيسيطر على الموقف ، وفعلاً تم له ما أراد ؛ فقد أخذوا يستسلمون حفاظاً على أموالهم وأرواحهم ؛ عندئذٍ أمر الأمين أن يباع ما بقي في الخزائن ، ولكن وجد أنها قد سرقت . فطلب الناس الأرزاق ، فضاق لذلك فقال : « **وددت أن الله عز وجل قتل الفريقين جميعاً ،**

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٦٦/٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤١٥/٣ ـ ٤١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٠/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٩/١٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣ / ٣٠٠ .

وأراح الناس منهم ، **فما منهم إلا عدو ممن معنا ، وممن علينا ، أما هؤلاء فيريدون مالي ، وأما أولئك فيريدون نفسي** » [١] . ثم تحصن بمدينة أبي جعفر لما أصابه من حصار طاهر له ، وأمر أن تحرق مجالسه وبسطه [٢] ؛ ولكن المؤرخين يشوهون صورة الأمين في هذا الوقت ويسيئون إليه فهم يستغلون الموقف بهدف تشويه سمعته ؛ ولكن الواقع لا يصدق ؛ لأن المواقف السابقة أثبتت لنا مبالغة إدعاءات المؤرخين في وصف الأمين .

فلما ضاقت الحال بالأمين من الحصار دخل عليه جماعة من أتباعه وعرضوا عليه الهروب إلى الجزيرة والشام ، حتى يجتمع له جنده وملكه ، ويصعب طلبه ، فوافق على رأيهم وقرر تنفيذ ذلك . فلما علم بذلك طاهر بن الحسين أرسل إلى بعض عيونه يأمرهم أن يجعلوا الأمين يرجع عن قراره ، وهددهم إذا لم ينجحوا في ذلك . واستطاعوا أن يردوه عن قراره بإقناعه عن طريق توضيح ضعف موقفه وموقف أتباعه وضربوا له الأمثال ، ثم عرضوا عليه الخروج والتسليم لمن يشعر بالراحة معه ؛ لأن المأمون سوف يترك له حرية الحياة ولا يتعرض له بمكروه . فوافق على أن يسلم نفسه لهرثمة ، ورأى ذلك أصحابه وهموا بكشفهم وقتلهم ، ولكنهم خافوا أن تقوم ثورة في الداخل وحرب في الخارج من قبل طاهر وأصحابه كما خافوا على أنفسهم من هرثمة ؛ لذلك تقبلوا الأمر ولكن على أن لا يسلم نفسه لهرثمة ؛ لأن طاهراً أفضل منه لديهم ؛ ولكن الأمين رفض التسليم له [٣] .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٧٠/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٠/٥ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٧٣/٨ ـ ٤٧٤ ، ٤٧٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٦١/٥ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠٢/٣ ؛ الصدقي : تاريخ دول الإسلام ، ١٠٧/١ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٧٨/٨ ـ ٤٧٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤١٩/٣ ـ ٤٢٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٦٣/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٨٢/٢٢ ـ ١٨٣ .

وقد اختلف في سبب رفضه ؛ قيل لحلم رآه في منامه [١] ، وقيل لسوء معاملته له وقسوته عليه [٢] ، ويرجع البعض السبب إلى كبر سن هرثمة [٣]، بينما يرجع البعض السبب إلى رغبة الأمين في عفو المأمون ، ولميل هرثمة إلى الحزب العربي ، واشتراكه في نكبة البرامكة وهو قائد جيش الرشيد من قبل ، ورغبته في الهرب [٤] ، ويرجعها البعض إلى سوء أخلاق الأمين . [٥]

والراجح أنه لم يكن لسبب من الأسباب السابقة ، بل لأنه استقر في داخله المميزات التي تميز بها هرثمة ، فظهرت له في صورة أحلام .

فلما عزم الأمين على الخروج من بغداد بعث كتاباً إلى هرثمة يخبره برغبته في اللجوء إليه ليؤمنه من المأمون ، فوافق على حمايته والدفاع عنه لدى المأمون [٦] . ولكن طاهراً رفض أن يكون التسليم لهرثمة ، حتى لا يكون له الأفضلية ، فأشار عليه أصحابه بأن يسلم الأمين بدنه لهرثمة ، والقضيب والخاتم والبردة (أدوات الخلافة) له ؛ وبذلك يكون له شرف الإخضاع فوافق طاهر ، إلا أن أحدهم حرضه ضدهم ، وأخبره أن أدوات الخلافة ستكون مع الأمين لهرثمة ؛ مما ألب طاهراً عليهم ؛ فكمن بنفسه حول القصور [٧] .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٧٩/٨ ـ ٤٨٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٣/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٨٣/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٠/٣ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٣٥٢/١ .

٢ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٤٠٨/٣ ؛ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩١ ـ ٩٢ .

٣ ـ العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ٩٩ ؛ عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول ، ٧٨ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٤ ـ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٤٠ .

٥ ـ نبيلة حسن : الدولة العباسية ، ١٨٨ .

٦ ـ الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٧٧ .

٧ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٨١/٨ ـ ٤٨٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٨٣/٢٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤١/١٠ ؛ ابن العماد : المصدر السابق ، ٣٥٣/١ .

عندئذٍ أرسل هرثمة إلى الأمين يخبره بموافقته له حسب الموعد إلا أنه يرى أن ينتظر إلى الغد ؛ لربما يكون هناك كمين له ؛ فيتخلص منه وتفشل خطة طاهر . ولكن الأمين رفض وأصر على الخروج من ليلته خشية أن ينتظر للغد فيكون قد علم طاهر بأمر خذلان أصحابه له فيستفرد به ويقبض عليه . [١]

حدث ما كان هرثمة يتوقعه ، فما أن سلم الأمين نفسه لهرثمة ودخل حراقته حتى هجم طاهر وأصحابه على الحراقة فغرقت بمن فيها ، فسبح الأمين حتى خرج ، فأخذه أصحاب طاهر ووضعوه في دار مع أحد أتباعه حتى منتصف الليل فجاءوا وقتلوه ، ودفنوا جثته ببستان مؤنسة [٢] . أما رأسه فقد نصب في بغداد ثم بعث إلى المأمون مع البردة والقضيب والمصلى والسيف والخاتم كما بعث معه كتاباً إلى المأمون [٣] . يخبره بالفتح وخطة الدخول وطريقة القبض على الأمين .

ولكن يلاحظ من نص الكتاب بعض الملاحظات : فطاهر بن الحسين يذكر للمأمون أنه حاصر الأمين حتى لا يروغ عنه ويجد مسلكاً لإثارة الفتنة وإهاجاً للقتال ، فيعتبر طاهر أن ما يفعله الأمين قيام بفتنة وأن ما فعلوه ليس فتنة وليس إثارة للقتال والحروب في الدولة وخروجاً على الخلافة .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٨٣/٨ ـ ٤٨٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٤/٥ ؛ أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢٠/٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠١/٣ .

٢ ـ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨٦ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤١/٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٤٨٥/٨ ـ ٤٨٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣٠ ـ ٣٣١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤٠٢/٣ ، ٤٢٠ ـ ٤٢١ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤١٣/٦ ـ ٤١٥ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٨/٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣٠١/٣ ؛ القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ١٥٣ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣٠٤/٣ ـ ٣٠٥ .

٣ ـ انظر نص الكتاب الملحق رقم (١٧) ، ص ٢٩٣ .

كما يذكر أن أنصار الأمين هزموه وتحزبوا للوثوب بالأمين ، وهذا مجانبٌ للواقع لأنه ورد أن أنصار الأمين قاتلوا عنه ودافعوا أشد دفاع حتى وصفهم المؤرخون بأنهم بالغوا في الدفاع عنه ، وإن كان الدفاع عن الخليفة لا يكون فيه مبالغة لأنه أمر واجب على الرعية ، ويبالغ في وصف الأمين بأنه ندم على نقضه للعهد ، فأي نقض إن كان المأمون هو الذي نقض العهد بخلعه الأمين ، ثم يذكر أنه كان أثناء سقوطه في دجلة والقبض عليه ، كان ينادي بشعاره . فأي شعار سوف ينادي به وهو في تلك الحالة ، والإنسان في تلك اللحظة لا يكون له هم إلا النجاة ، فكيف يفكر في الشعارات وغير ذلك من الأمور التي لا تهم في ذلك الموقف .

كما يقول أنه لم يكن هناك أي فتنة أو ثورة بعد مقتل الأمين . فهناك تناقض في ذلك لأنه قد ذكر أنه قامت ثورة بعد مقتل الأمين بخمسة أيام مما يثبت كذب طاهر وتناقض الروايات التي تحاول تحسين صورة طاهر وجيوشه .

فلما قتل الأمين دخل طاهر بغداد وأعطى الأمان لجميع الناس وصلى بهم الجمعة ، وخطب فيهم [١] ، ولكن جنده وجند أهل بغداد ندموا على قتلهم الأمين ؛ فوثبوا عليه بعد خمسة أيام من مقتل الأمين طالبين الأرزاق ؛ فأمر لهم برزق أربعة أشهر ، كان قد أخذها من أهالي الأرباض كدين عليه ، ليسكن الثورة . [٢]

---

١ ـ انظر نص الخطبة الملحق رقم (١٨) ، ص ٢٩٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٨٨/٨ ، ٤٩٥ ـ ٤٩٧ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤١٦/٦ ـ ٤١٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٥/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٣/١٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٢/٣ .

وهكذا انتهى الأمر بمقتل الأمين في ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم ١٩٨هـ/٨١٤م [١] وقد اختلف في تاريخ وفاته [٢] . فلما وصل نبأ وفاته للمأمون هنئ بالخلافة والظفر ، وخلع القاسم بن الرشيد [٣] . وقيل إنه حزن لمقتله وبكى فاشتد أسفه فقال له الفضل بن سهل : « **الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة ؛ فإن محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيته** » . [٤]

وقيل إنه لما جاء رأس الأمين قال المأمون : « **إنا لله ، أمرناهم أن يأتوا به أسيراً ، فأتوا به عقيراً . فقال الفضل بن سهل : يا أمير المؤمنين إنه قد كان ما كان فاحتل لنا في العذر ، وحينئذ تمثل المأمون بهذين البيتين :**

شفيت الناس من حمل ابن بدر * * وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي * * فلم أقطع بهم إلا بناني

ثم بكى . فقال له الفضل بن سهل : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : تذكرت لمحمد مع عقوقه قليل بره ، أمر لي الرشيد يوماً بمائة ألف دينار ، وأمر له بمائتي ألف . ولم يعلم بذلك فبادرت فبشرته بها ، فقال : يا أخي لعل في نفسك شيئاً من تفضيلي عليك قد جعلتها بأسرها لك جزاء بشارتك ، فصرف الثلاثمائة ألف إلي . فقال له الفضل بن سهل : يا أمير المؤمنين ؛ كيف تحمد على بذل مال من سمح بسفك الدماء ونقض العهد والميثاق وآثر الغدر على الوفاء ؟ فقال المأمون : ذلك هو الذي يسليني عنه » . [٥]

يلاحظ من الرواية السابقة مدى نبل أخلاق الأمين وعطفه على أخيه لأنه لم ينل مثل ما نال هو ، فأعطاه جميع ماله الذي أعطاه إياه والده . فهذه واحدة من مآثر الأمين التي يخفيها المؤرخون ، ويحاولون إظهاره بالمظهر السيء فيبالغون في وصفه بالصفات السيئة ؛ فالروايات تناقض بعضها وتثبت حسن أخلاق الأمين ، وأن معظم الروايات السيئة تهدف إلى الدعاية للمأمون .

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٩٩/٨ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ، ٣٧٢/٢ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٩٨/٨ ؛ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٥١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٥٩/٣ . ذكروا أنه قتل ليلة الأحد لست بقين من صفر ١٩٨هـ/٨١٤م .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٩٩/٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٤٣١ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٩/٢ .

٤ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٤٢٢/٣ ـ ٤٢٣ .

٥ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩٤ ـ ٩٥ .

١٠ـ اختفاء الفضل بن الربيع :

من دراسة أحداث الفتنة بين الأمين والمأمون ونتائجها ، اتضح دور الفضل ابن الربيع في تلك الفتنة التي اشتعلت نيرانها بين الأخوين إذ هو محركها ومشعلها بجانب الفضل بن سهل ، ولكننا لم نلبث أن رأينا الفضل بن الربيع أحد الطرفين اللذين كان لهم دور في تلك الفتنة ؛ أن اختفى عن مسرح الأحداث ، وكأنه لم يكن له صلة بذلك ، وكأنه بذلك يثبت للعالم عدم قدرته على مواجهة الأحداث الجسام وحلها وتدبير شئونها ، فاستتر في نصف رجب ١٩٦هـ/٨١٢م [١] بعد أن علم بمقتل الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان . وبذلك تخلى الفضل بن الربيع عن خليفته تاركه يواجه الأحداث منفرداً ، دون أن يجد النصير والمستشار ويصف ذلك الجهشياري بقوله : « **ولما رأى الفضل ابن الربيع قوة أمر المأمون ، واتصال ضعف محمد وتخليطه وإنفلال الناس عنه ، وتمزق الأموال التي كانت في يده استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة** » . [٢]

وبذلك أصبح الأمين بدون وزير ، وتولى وزارته من حضر من كتابه ، كإسماعيل بن صبيح ، وعدد من الأولياء ، منهم محمد بن عيسى بن نهيك ، والسندي بن شاهك ، وسليمان بن أبي جعفر المنصور . [٣]

وظل الفضل بن الربيع مستتراً منذ أن اختفى في عهد الأمين إلى أن ظهر في المرة الأولى ٢٠١هـ/٨١٧م [٤] بعد أن غلب بغداد محمد بن أبي خالد

---

١ ـ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨٥ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٥/٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٠٧/٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٣٧/١٠ .

٢ ـ الوزراء والكتاب ، ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

٣ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٢ .

٤ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٧/٣ ـ ٣٠٨ .

وحارب الحسن بن سهل وغلبه على ما بينهما وبين واسط [١] ، فاستأمنه الفضل بن الربيع وظهر ولم يزل ظاهراً إلى أن غلب إبراهيم بن المهدي على الأمر ، وتسمى بالخلافة ، فتولى حجابته إلى أن اختل أمر إبراهيم ، ووصلت الأنباء بقدوم المأمون بغداد ، فعاد الفضل إلى استتاره [٢] : تاركاً إبراهيم ابن المهدي يواجه الأحداث منفرداً ، وذلك لم يكن أمراً جديداً عليه ، فقد سبق وأن تخلى عن الأمين . فقد استتر لدى يزيد بن المنجاب المهلبي بالبصرة ، وأمر المأمون أن يقبض على ضياعه وأمواله وعقاراته [٣] . كما قبض على داره في شارع الميدان التي كان يسكنها زهير بن المسيب بعد أن استتر ، وذلك من أجل رعاية حرمة بيته ولحقوق كانت بين زهير وبين الفضل ، وأراد بما فعله حفظها عليه [٤] ، وأسكنها القاسم بن الرشيد .

كما أرسل المأمون العيون وراء الفضل تطلبه لما اجتمع عليه من أنه هو الذي ألب عليه بني العباس ببغداد حتى بايعوا لإبراهيم بن المهدي ، وحسن لإبراهيم فعله . كما كان في نفسه أثر لما فعله الفضل عند موت الرشيد من قبل . [٥]

واستطاعت أخيراً عيون المأمون من الظفر بالفضل وجاءوا به إليه ؛ فلما وصل إلى بابه بعد أن بلغه وفاته بشهادة جماعة فلما قيل له إن الفضل بن الربيع ببابك قال : « **إن كان بعث من الآخرة ، فقد بعث الرشيد معه ، فأدخله ، وأعطاه الأمان** » . [٦]

---

١ ـ واسط : سميت بذلك لتوسطها بين الكوفة والبصرة ، ولواسط سبعة مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٤٧/٥ ـ ٣٥٣ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٢ .

٣ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٤/٢ .

٤ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٢ .

٥ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ١٠٠ .

٦ ـ اليعقوبي : المصدر السابق ، ٤٥٤/٢ .

قيل : « **إن المأمون وجده قبل الشفاعة ثم شفع فيه طاهر بن الحسين فعفا عنه** » . [١]

وقيل : إن الفضل بن الربيع طلب من طاهر أن يشفع له عند المأمون ، فشفع له ؛ فعفا عنه ورضي عنه . [٢]

وذكر أن المأمون قال للفضل بن الربيع لما ظفر به : « **يا فضل ؛ أكان في حقي عليك ، وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ، أن تثلبني** [٣] **وتسبني ، وتحرض على دمي ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟**

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ، إن عذري يحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف إذا حفته العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك ، فأنت كما قال الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك فيك :

صفوح عن الأجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرماً

وليس يبالي أن يكون به الأذى * إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلماً

فأمسك عن عتابه وأذن له في حضور بابه » . [٤]

وقيل إن المأمون عتب على الفضل بن الربيع ، بسبب مناصرته وتحريضه لإبراهيم بن المهدي ، فإن كان وجد له المبرر في مناصرة الأمين بسبب البيعة

---

١ ـ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ١٠١ .

٢ ـ أبوالفضل أحمد بن طاهر بن طيفور : كتاب بغداد ، ١٤ ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، بغداد ، القاهرة ، مكتبة المثنى ، مكتبة الخانجي : ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ؛ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ١٠٠ ـ ١٠١ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١٠١ ـ ١٠٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٠٧/٣ .

٣ ـ تثلبني : تعيبني وتلومني وتنقصني . للاستزادة انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٤١/١ .

٤ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ١٤ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٥٨٤/٢ ـ ٥٨٥ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١٠٢ .

التي أخـذت عليه ، فما من مـبرر لمناصرته لمغني ، وهو الخليفة وبيعته في عنقه ، فرد عليه الفضل بالاعتذار ، لعظم ذنبه عن الاعتذار ولا يسع ذنبه إلا عفوه ، وطلب منه أن يعفو عنه ، فعفا عنه ورد عليه ضيعته فمبلغ مالها ثلاثمائة ألف درهم وستون ألفاً ، قدرها لقوته وقوت عياله . كما رد إليه داره التي أنزل فيها القاسم بن الرشيد .[١]

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٤/٢ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٢ .

الفصل الرابع :

الفضل بن سهلٍ
وأثره في تولي المأمون الخلافة

١ ـ تأييد الفضل بن سهلٍ للمأمونِ .

٢ ـ سلطات الفضل بن سهل في خلافة المأمونِ .

٣ ـ نهاية الفضل بن سهلٍ .

١ ـ تأييد الفضل بن سهل للمأمون :

عرفنا في الفصل السابق جهود الفضل بن سهل في سبيل تقديم المأمون في الخلافة . فقد كان الفضل يقف إلى جانبه منذ عهد الرشيد ، وفي عهد أخيه الأمين ، كان يعضده ويؤيد مواقفه ضد أخيه ، بل كان يشاركه بالرأي .

فقد أشار عليه باستمالة القواد والناس بحسن المعاملة وجذب العلماء إليه ؛ بالبعد عن الملذات والجلوس للقضاء لرد المظالم ومجالسة العلماء والفقهاء ، والعمل بالكتاب والسنة .

كما كان يؤيده في أمر خلع أخيه والبيعة له ، وقطع الدعاء للأمين على المنابر ، وعدم كتابة اسمه على الطرز ودور الضرب . [١]

وأخذ يبايع له بالخلافة منذ عهد مبكر ١٩٤هـ/٨١٠م ولقبه بالإمام [٢] . ثم بايعه بالخلافة وسلم عليه بها ١٩٥هـ/٨١١م قبيل انتصار جيش طاهر بن الحسين على جيش علي بن عيسى بن ماهان ، فطلب الفضل من المأمون أن يبايع بالخلافة قبل أن يشيع جيش هرثمة ليكون مدداً لطاهر . [٣]

كما كان يحرضه على محاربة أخيه والتخلص منه نهائياً حتى تنقاد له الخلافة وحده [٤] ؛ فكان إذا وجد ضعفاً في المأمون شد على يديه ومنعه من الركون إلى أوامر الأمين وطلباته [٥] . كما فعل حينما بعث الأمين كتاباً يطلب فيه منه أن يقدم عليه إلي بغداد لحاجته إليه ، ويخبره بأمر تفكيره في أخذ

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٠/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٨/٥ .
٢ ـ النويري : نهاية الأرب ، ١٧١/٢٢ .
٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٩٤/٨ .
٤ ـ المصدر السابق ، ٤٠٣/٨ ـ ٤٠٤ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٠ .
٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٠٣/٨ ـ ٤٠٤ .

البيعة لابنه موسى بولاية العهد من بعدهم [١] ، فأشار عليه الفضل بعدم الاستجابة ؛ فنفذ المأمون ما أشار به الفضل ، وهذا ما يُعاب على المأمون انضمامه إلى أعدائه وأعداء الدولة الإسلامية ضد خليفته وأهله ، فقد أراد الخلافة ، ولم يهتم بنتائج ذلك على دولته ورعيته ، فأين الإحساس بالخلافة ؟ وهو قد تعاون مع الأعداء ضد أهله وأخوته في حالة انتصاره على أخيه ، وكذلك في حالة هزيمته ، فبدلاً من أن يحل المشاكل الموجودة بينه ، وبين أخيه بالسر والتودد والكتمان ويتعاونا معاً ضد الأعداء ، فإنه مهما قدم للخلافة من نفس أو مال أو رجال فهو بذلك لم يذل ولم ينتهي دوره فهو قد آثار حفيظة أخيه ولو امتثل لقوله لم يذل ولم يكن ضعيفاً في أعين الناس ، بل الهدف من وجوده هو مناصرة أهله ووطنه وخليفته .

وهكذا كان دائماً موقف الفضل بن سهل من المأمون ، تأييداً لأفعاله وتصويباً لما يراه قد أخطأ المأمون فيه في اعتقاده . وللمأمون توقيع للفضل ابن سهل كتب فيه : « **أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله ، وإقامة سلطاني ...** » . [٢]

---

١ ـ انظر نص المراسلة ملحق رقم (١٠) ، ص ٢٨٥ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٣/٨ ـ ٤٠٤ .
٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٦ .

٢ ـ سلطات الفضل بن سهل في خلافة المأمون :

كان الفضل بن سهل منذ توليه الخدمة في القصور العباسية وهو يعمل على تحقيق طموحاته في الوصول إلى أعلى المناصب ليكون ذا سلطات واسعة ليحكم البلاد ؛ لأنه كان يتشيع للعلويين ، وكان يهدف إلى نقل الخلافة من بني العباس إلى بني علي ، ومن ثم ينقلها إلى الفرس ، لذلك عمل جاداً في تحقيق طموحاته ؛ فظل يعمل في البلاط العباسي ضمن رجال الحاشية إلى أن حانت له الفرصة لكي يبدأ في التقرب من الخلفاء وخاصة المأمون ، لأنه كان يعلم ببيعة الرشيد له بولاية العهد من بعد أخيه الأمين ؛ ولأن أم المأمون فارسية .

بالإضافة إلى ذلك فالمأمون ربيب البرامكة ، الأسرة التي ربت إلى جانب المأمون وزيره الفضل بن سهل ؛ فكان هناك تقارب في الميول والأفكار بينهما؛ لذا بدأ الفضل خطوته الأولى نحو تحقيق طموحاته بنكبة البرامكة ؛ فعمل مربياً ومرافقاً وكاتباً ومستشاراً للمأمون قبل توليه الخلافة في حياة والده .

ولقد استطاع الفضل بذكائه وطموحه وقدرته السياسية على أن يستولي على قلب المأمون ، فأخذ يقربه منه حتى أصبح كبير مستشاريه [١] وبذلك تخطى الخطوة الثانية من طريق طموحاته ، وبدأ بالعمل الدؤب في سبيل السير في طريقه . ومن العوامل التي ساعدته على تحقيق طموحه . وفاة الرشيد بطوس ورجوع الجيش بقيادة الفضل بن الربيع إلى بغداد ، فأخذ يعمل على التقرب منه والوقوف إلى جانبه ؛ فأخذ يدبر ويخطط له ويشير عليه بما يفعل ليضمن له الخلافة .

وقد بلغت سلطته في عهد المأمون درجة التأمير مع الوزارة وكان يلقب بالوزير الأمير ، فهو أول وزير لقب ، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير . [٢]

---

١ ـ جلوب : امبراطورية العرب ، ٥٧٦ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .

كما كتب اسمه ولقبه على نقود الأقاليم الشرقية أيام الأمين ، وبعد سقوط بغداد على يدي قادة جيوش المأمون ، وتعيين الحسن بن سهل والياً على كور العراق ، شملت أيضاً النقود المضروبة في بلاد الشأم ومصر . (١)

ومنذ ١٩٦هـ/٨١٢م وسلطاته في تزايد ونمو ؛ فقد صارت سلطة واسعة منذ وفاة الرشيد وتولي الأمين الخلافة ، فهو الذي يرسم الخطوط الرئيسية والإطار العام لسياسة المأمون مع الرعية في مقر ولايته . كما أشار عليه باتباع السياسة السلمية مع ملوك المقاطعات الفارسية والتركية في بلاد ما وراء النهر (٢) . فكان ملوك خراسان عندما يقدمون على الصلح لا يكتبون الكتاب باسم المأمون بل يكتبونه باسم الفضل بن سهل ؛ كما فعل ذلك ملك أشر وسنة المسمى كاوس عندما كتب كتاباً إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يسأله الصلح على مال يؤديه على أن لا يغزو المسلمون بلده فأجيب إلى ذلك . (٣)

كما اقترح على المأمون أن يعقد اجتماعات لتوضيح سياسته المبنية على تطبيق مبادىء الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة ، والجلوس للمظالم ، وكان يكتب له الكتب والرقاع بخطه والمأمون يعلنها على الناس ، أو يبعثها الفضل بدون أن يكون له في ذلك رأي فعال (٤) . ومن أمثلة الرقاع رقعة كتبت بخط الفضل توضح سياسة المأمون ، ونصائح له جاء فيها .

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٥ ؛ فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ١٥٥ ؛ مصطفى شاكر : « دراسة في مفهوم الوزارة ونشأتها لدى المؤرخين وفي الواقع التاريخي » ، ٩٦ ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت .

٢ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٠/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩١/٣ .

٣ ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ٤١٩ .

٤ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٥ .

« جعلت لله على نفسي إن استرعاني أمور المؤمنين ، وقلدني خلافته في خلقه ، العمل فيهم بكتابه وسنة رسوله ، محمد ﷺ ، ولا أسفك دماً عمداً ، إلا ما أحلته حدوده ، وسفكته فروضه ، وأن لا أنال من أحد من المخلوقين مالاً ولا أثاثاً غصباً ، ولا بحيلة تحرم على المسلمين ، ولا أعمل في شيء من الأحكام بهواي ، ولا بغضبي . إلا ما كان منهما في الله عز وجل وله ، وجعلت ذلك كله عهداً مؤكداً على أن أفي به ، رغبة في زيادته إياي ، ورهبة من مساءلته لي عنه ، فإنه جل وعز يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ [١] فإن حلت أو غيرت كنت للعن مستحقاً ، وللنكال متعرضاً : وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه في المعونة لي على طاعته ، والحؤول بيني وبين معصيته ، في عافية لي ولجماعة المسلمين ، وأن يسهل لي ما يحب ويرضى في جميع أموري ، إنه قريب مجيب ، وعلى ما يشاء قدير . وكتبت بخطي » . [٢]

وكان أيضاً يقضي حوائج الرعية ويكافىء العمال والقادة [٣] ويعاقبهم ، ويصدر الأوامر والقرارات بالعزل والتولية [٤] فكان يقول للتميمي : « **نقيمك مقام موسى بن كعب ، وللربعي : نقيمك مقام أبي داود ، ولليماني : نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم** » . [٥]

كما بلغت سلطته إلى درجة أن المأمون كان ينفذ جميع آراء الفضل ، فاستطاع أن يغير ولاة العهد ، فقد نقلها من البيت العباسي إلى البيت العلوي بمبايعة المأمون علي الرضا بالخلافة من بعده . [٦]

---

١ ـ القرآن الكريم : الأسراء ، ٣٤/١٧ .

٢ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٩ .

٣ ـ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٣٤٢/١٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٠/٣ .

٤ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٨١ ؛ الرفاعي : المرجع السابق ، ٢٩٨/١ .

٥ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٠/٣ .

٦ ـ للاستزادة انظر الفصل الخامس من البحث ، ص ٢٠٧ . الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٥٤/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٠/٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩١/٢٢ .

وكان أيضاً يتمتع بتأثير عسكري بالإضافة إلى تأثيره السياسي فقد كان له سلطة تجهيز الجيوش واختيار القادة والعيون ، وتحصيل الأموال [١] كما بلغت سلطته أن عقد له المأمون لواءً على سنان ذي شعبتين ، ولقبه بذي الرياسيتين (رياسة الحرب ورياسة القلم والتدبير) [٢] . وأعطاه مع العقد علماً مكتوباً عليه لقبه . وبذلك أصبحت سلطته سلطة مطلقة لأنها سلطة حربية وادارية وسياسية ؛ فنرى المأمون يصدر أمرين بعد نجاح طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين في العراق ، ومقتل الأمين ، واخماد الفتنة وبمشورة الفضل بن سهل ورأيه . [٣]

أولهما : تولية الحسن بن سهل على جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن ، وأن يسلم طاهر جميع ما بيده من الأعمال للحسن بن سهل ويتوجه نحو الرقة لمحاربة نصر بن شبث ، وولاه على الموصل والجزيرة والشأم والمغرب . [٤]

ثانيهما : إلى هرثمة بن أعين يأمره بتسليم ما في يده من أعمال لعلي بن أبي سعيد أيضاً والتوجه نحو خراسان . [٥]

وقد كانت له أيضاً أفكار اقتصادية نيرة استطاع أن يقنع الخليفة بقوتها مثل إشارته على المأمون بتخفيض الضرائب على أهل خراسان . [٦]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣٠٦ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .

٢ ـ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٩/٦ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٣٥٣/٢ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢٧/٨ ؛ زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ٢٣٥ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني : ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٧/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٢/٥ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٧/٨ ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣٠٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٧٢/٥٥ .

٦ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٧٩ .

فالفضل بن سهل أراد أن يستأثر بالسلطة له ولأسرته ومد نفوذه من مرو إلى بغداد ، حتى كان يخفي عن المأمون جميع الأخبار المتعلقة بعاصمة خلافته ، وما يحدث فيها من اضطرابات وفتنة ، وحجبه عن الناس والأخبار . [١]

ومما يدل على نفوذه وسلطاته توقيع المأمون له : « **أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله وإقامة سلطاني ، فرأيت أن أغنيك ، ... وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به ، من العمل لله ونبيه ، والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها** ... » [٢] وعقد له المأمون . على المشرق من جبل همذان ، إلى جبل سقينان والتبت طولاً ، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم وجرجان عرضاً . [٣]

ونتيجة لهذه المكانة التي وصل إليها الفضل ، أصبح يقتدي ويتصرف تصرف وزراء الأكاسرة ، فقد سمع الفضل أن وزيراً من وزراء الأكاسرة ، كان يجلس على كرسي مجنح ، ويحمله اثنا عشر رجلاً من أولاد الملوك ، إذا أراد الدخول على كسرى ، فاتخذ الفضل لنفسه أيضاً كرسياً مجنحاً ، يحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه ، فإذا وقعت عليه ، وضع الكرسي ، ونزل عنه ، فمشى وحمل الكرسي ، حتى يوضع بين يدي المأمون ، ثم يسلم الفضل بن سهل عليه ؛ ثم يعود فيقعد عليه ، يحمله : سعيد بن مسلم ويحيى بن معاذ . [٤]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٣ .

٢ ـ للإستزادة انظر الفصل الثاني من البحث ، ص ٧٧ . المصدر السابق ، ٣٠٦ .

٣ ـ الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ، ١٧٢ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢١٠/١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٣٦/٥ .

٤ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ٣١٦ .

من هذا نرى أنه قد بلغت سلطته حداً واسعاً ، فهي سلطة لم ينلها أي وزير قبله سوى البرامكة أيام الرشيد ، فهو يسير على نهجهم بالاستئثار بها ، وإن كان يحيى بن خالد كان في بداية وزارته تشاركه في السلطة الخيزران ، ولكن بعد وفاتها انفرد بها وتقاسمها مع أبنائه وأحفاده ، أما الفضل فقد انفرد بها وحده ، ولا يستغرب هذا التصرف منه وهو ربيب البرامكة .

٣ ـ نهاية الفضل بن سهل :

كان الفضل بن سهل وزير المأمون ومستشاره وصاحبه ، فهو الذي يخطط ويدبر له ، فيولي القادة ويعزلهم ، وهو الذي يختار ويرشح والخليفة كانت عليه الموافقة الشكلية على ما يختاره ويرشحه ؛ حتى أصبح المأمون في شبه انفصال تام عن مملكته ودولته ، فهو لا يعلم شيئاً عما يحدث فيها .

كانت جميع الكتب والأخبار تفد على الفضل وهو بدوره يطلع المأمون على ما يشاء منها ، فكأنه قد فرض عليه الحجب ، وخاصة أنه كان يعيش بعيداً عن مقر الخلافة إلى أن حان الوقت ليعلم المأمون بأخبار دولته ، عندما عقد ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا ٢٠١هـ/٨١٧م [١] وحدثت الاضطرابات في بغداد ، وكادت أن تذهب الخلافة من يديه .

عندئذ رأى علي الرضا ضرورة إعلامه بأمر مملكته وما يحدث فيها من حروب أهلية بين عامله على العراق الحسن بن سهل ، وبين أهلها ، وأنهم وأهل بيته من بني العباس قد نقموا عليه ، ووصفوه بالمسحور والمجنون [٢] ؛ لاستبعاده طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين عن العراق ، وولى عليها الحسن ابن سهل أخا الفضل ، فهو موضع نقمة من أهل العراق ؛ لأنهم يرونه أساس كل هذه الأحداث ومدبرها . ولقتله هرثمة بن أعين بدون ذنب وهو أحد اليدين التي كانت لها الفضل في إخماد الفتنة التي اشتعلت نيرانها بينه وبين أخيه .

ذلك أن هرثمة بعد أن فرغ من ثورة أبي السرايا [٣] ومحمد بن محمد العلوي ، وعاد إلى الكوفة ، وأقام في معسكره إلى أن أهل شهر ربيع الأول

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٥٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٨٣ . ذكر أنه بويع ٢٠٢هـ/١٨م ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٤٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٣١٠ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٦٤ .

٣ ـ السري بن منصور الشيباني من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . انظر الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/١٩١ .

٢٠٠هـ/٨١٦م خرج منه إلى أن وصل خراسان ، أتته كتب المأمون تأمره بالرجوع إلى الشأم أو الحجاز ليتولى أمرها ، فرفض هرثمة الرجوع قبل أن يقابل المأمون ؛ ليخبره بأمر العراق ، وأمر الفضل وما يدبر له ويخطط .

وقد عُرف عنه إخلاصه للمأمون ولآبائه من قبل وأراد أن يطلب منه الرجوع إلى بغداد ، دار خلافته وخلافة آبائه وأجداده ليتوسط ملكه وسلطانه ، ويشرف على جميع نواحي مملكته من طرفها الشرقي إلى الطرف الغربي ، ومن الشمال إلى الجنوب .

فلما علم الفضل بأمره ، وما ينوي عليه ، رأى أن يسبقه إلى ذلك حتى ينال ويتخلص منه قبل أن ينال هو منه . فأخذ كعادته يشي به عند المأمون ، ويستغل الأحداث بدهاء وذكاء ضد مصلحة منافسه ؛ فأخذ يحرض المأمون عليه بإخباره بأن هرثمة هو الذي يفسد عليه البلاد والعباد ، ويظاهر عليه عدوه ، ويعادي وليه ، وأنه هو الذي دس أبا السرايا ؛ لأنه كان جندياً من جنود هرثمة في جيشه ، وهو الذي أمره أن يفعل ما فعل ؛ فكانت ردة الفعل لدى المأمون ، أن صدق كلام الفضل وأخذ يكتب إلى هرثمة الكتب ، يأمره فيها بالرجوع إلى بلاد الشأم أو الحجاز ليلي إحدى الولايتين وبذلك يتحقق للفضل أهدافه ويستبعد عن طريقه أحد منافسيه ، ويصبح في ولاية بعيدة كل البعد عن خليفة المسلمين ؛ وبذلك لا يستطيع أن يعلمه بما يدبره ، ولا تكون للمأمون صلة به .

ولكن هرثمة أدرك نواياه ، وأنه هو الذي وراء هذا القرار ؛ فأبى الرجوع قبل لقاء المأمون ؛ وبذلك أصبح في نظر المأمون عاصياً شاقاً لعصا الطاعة ، فغضب المأمون عليه لرفضه تنفيذ أوامره ؛ لأنه رأى عدم تنفيذه لأوامره مفسدة عليه وقد يتهاون الجميع بأوامره ، فتوعده بالعقاب الشديد نتيجة لأعماله وتصرفاته ، وأخذ يغلظ القول عليه .

عندئذ رأى هرثمة ضرورة الإبطاء في المسير إلى الخليفة حتى كان شهر ذي القعدة من السنة نفسها . فلما وصل مرو خشي هرثمة أن يكتم خبر وصوله عن المأمون ، فيدس عليه الفضل ويشي به ، ويخبره أنه أراد أن يدبر مكيدة أو مؤامرة للفتك به ، فأمر أن تضرب الطبول لكي يسمعها المأمون ؛ فسمعها فسأل عن الصوت ، قيل له : إن هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق . فظن هرثمة أنه قد أحسن التصرف ووصل إلى هدفه ، خاصةً بعد أن أمر المأمون بإدخاله عليه ، وكان قلب المأمون قد امتلأ عليه غضباً نتيجة لأفعاله التي رآها من وجهة نظر الفضل وبعينه وكما وضحها له .

فلما دخل عليه ، اخبره المأمون بأنه : قد خرج عليه وناصر أهل الكوفة والعلويين ، وأنه داهنهم وهو السبب وراء خروج أبي السرايا فهو دسيسة منه لأنه رجل من أصحابه وجيشه ، ولوشد عليهم لقضى على كل ذلك ، ولكن تهاونه معهم ومشاركته لهم شجع أهل الكوفة والعلويين على الخروج عليه فحدث ما حدث . (١)

فما أن سمع كلام المأمون حتى فوجىء به ؛ لأنه لم يتوقع هذا الكلام وهذا التصرف منه ، باتهامه وهو الذي أخلص لآبائه من قبل ، وله في حربه ضد أخيه الأمين ، وهو أحد اليدين التي كانت لها الفضل عليه في القضاء على الفتنة ، وكان له دور في القضاء على الثورات ومن ثم يتهم بأنه محركها ؛ فأخذ يتكلم ويعتذر ويشرح حقيقة الأوضاع ويدافع عن نفسه ؛ ولكن المأمون لم يترك له الفرصة لذلك ولم يقبل منه أي كلمة ، بل أمر جنوده بأن يضرب على أنفه ويداس على بطنه ، وسحبه على الأرض من بين يديه ؛ ففرح الفضل لما حدث لهرثمة ، وأخذ يفرغ حقده فيه ، فأمر الأعوان أن يغلظوا ويشددوا عليه حتى حبس وظل بالحبس أياماً ، حتى دس عليه من قتله في سجنه . (٢)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٣/٨ .
٢ ـ المصدر السابق ، ٥٤٢/٨ ـ ٥٤٣ .

وبذلك تخلص الفضل من أحد منافسيه بسهولة ويسر ، كما أنه لم يكتف بذلك ، بل عمل على جعل ولاية العهد في بني علي بهدف إخراجها من بني العباس . فأشار على المأمون بجعل ولي العهد من بني علي .

فلما علم أهل العراق ثاروا على المأمون ورأوا أن يبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة ، فأخبر علي الرضا المأمون بالأمر ، وبأمر الفضل وما يخفيه عنه من أمر الحروب بين أهل العراق وبين أبناء سهل ، وموقفهم منهم ومنه أيضاً ؛ فوجىء المأمون بالأخبار ، فطلب منه أن يسمع ذلك من غيره ؛ فما أن علم بأسباب الفتنة حتى استجاب لمشورتهم بالخروج إلى بغداد ليطمئنهم ويسكن روعهم ؛ لأنــه رأى ذلك هو الحل الأمثل للمشاكل ، خاصة بعد أن علم بإساءة الفضل لقادته فرحل إليها في موكب عظيم ومعه علي الرضا والفضل . [١]

وما أن وصل المأمون وموكبه سرخس حتى شد قوم على الفضل وهو في الحمام ، فضربوه بالسيوف حتى مات ؛ في يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان ٢٠٢هـ/٨١٨م فأخذوا ، وكان الذين قتلوه من حشم المأمون وهم أربعة نفر : غالب المسعودي الأسود ، قسطنطين الرومي ، فرج الديلمي ، موفق الصقلبي ، وبعد أن قتلوه هربوا ، فبعث المأمون في طلبهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار فجيء بهم ؛ فلما أمسك بهم أخبروه بأنه هو الذي طلب منهم قتله . ومنهم من قال : أن علي بن أبي سعيد هو الذي دسهم [٢] ، ومنهم من أنكر ذلك ، ولكن المأمون أمر بقتلهم فقتلوا ، وبعث برؤوسهم إلى

---

١ ـ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٨/٢٢ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢١٢/١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣١٣/٣ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٢/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٥/٨ .

الحسن بن سهل بواسط ، وأعلمه ما أصابه بقتل الفضل ، وأنه قد ولاه مكانه وأصبح وزيره بدلاً عنه . [١]

ولم يكتف المأمون بذلك ، بل أنه تظاهر بالحزن الشديد لوفاة الفضل ، فأخذ يعزي أمه فذهب إليها بنفسه وقال لها : « **إنك لم تفقدي منه إلا رؤيته فلا تجزعي ، فأنا ولدك مكانه . فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن أمراً أفدانيك ولداً لجدير أن أجزع عليه** » [٢] . وقيل إنه قال لها : « **إن ذهب أحد بنيك فقد بقي الابن الآخر** ، وأومأ إلى نفسه . **فقالت : يا أمير المؤمنين كيف لا أبكي على ابن جعل لي ابناً مثلك ؟** » . [٣]

يرى بعض المؤرخين أن المأمون أراد بتولية الحسن بن سهل الوزارة ، نفي التهمة عنه وخاصة أن الذين قتلوا الفضل اعترفوا له وللناس أنه هو الذي أمرهم بقتله [٤] . كما أراد أن لا ينسب إليه قلة الحفاظ وسوء العهد . [٥]

لا يرى بعض المؤرخين أن ابن أخت الفضل علي بن أبي سعيد الملقب بذي القلمين هو الذي دسهم لأنه لا مصلحة له في ذلك ، فقد كان للفضل دور كبير في ظهور علي على مسرح الأحداث ، فقد عهد له بأعمال سياسية خطيرة حتى أصبح ذا أهمية ومنصب في الدولة . [٦]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٤/٨ ـ ٥٦٦ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٤٣/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٢/٥ .

يعتبر هذا التصرف من المأمون تصرف غير عادل لأنه قتل أناساً لم يكن لهم يد في القتل ، ولمجرد أن شهدوا عما سألهم والراجح أنها رواية الغرض منها تشويه صورة المأمون .

٢ ـ أبو علي المحسن بن علي التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ، ٢٥٤ ، تحقيق : محمد كرد علي ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

٣ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢١٢/٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٠٠/١٠ .

٤ ـ فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ١٦٣ ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٤٨ ؛ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٩٤ .

٥ ـ ابن العمراني : المصدر السابق ، ٩٩ .

٦ ـ الكروي : المرجع السابق ، ١٩٤ .

ويميل معظمهم إلى أن المأمون هو الذي حرض على قتل الفضل بعدما علم بأخباره ، وأخبار مملكته التي كان الفضل يخفيها عنه ، فجميع الأدلة والشواهد تثبت أن المأمون هو الذي أمر بقتل الفضل ؛ فمن ذلك قوله لعلي الرضا عندما أخبره بأمر الفضل مع قادته الذين شهدوا ، وكان المأمون قد كتب لهم أماناً من الفضل بألا يتعرض لهم ، وها هو قد تعرض لهم بالأذى والتعذيب ، فأخبره المأمون أنه يداري أمره وسيبلغ ما فيه الصلاح بمشيئة الله [١] ، وأنه بقوله هذا أراد أن يحل مشكلته مع الفضل بالتدريج وببطء ودون إثارة الناس عليه وخاصة أهل خراسان فهو منهم .

ولكن حدث أن بعض أعداء الفضل عندما علموا بنوايا المأمون وعزمه على تنحيته عن الوزارة ، هبوا من أنفسهم وقتلوه في سرخس بدون أن يأمرهم الخليفة ؛ لذلك أمر بقتلهم . [٢]

والراجح أن المأمون هو الذي أمر بقتله ، وإن كان قد أنكر ذلك أمام قتلته ، وأنه لا يوجد عليه دليل أو بينة تثبت كلامهم ، وتوعدهم بالقتل لقولهم أنه هو الذي أمرهم بذلك ، وفرض جائزة لمن يأتي بهم ، وقصد بذلك تمويه الناس [٣] والدليل على إشتراكه في مقتل الفضل أنه ترك مرو متوجهاً إلى بغداد وهو يعلم أن هذا الأمر ضد إرادة وتخطيط الفضل واتباعه من الفرس ، كما أراد كسب رضاء أهل بغداد الذين نقموا عليه بما حازه الفضل وأخوه من مكانة لدى المأمون من سلطة ونفوذ [٤] . وإن كان المأمون قد أحسن التدبير في رأي بعض المؤرخين بقتله قتلة الفضل وبعث رؤوسهم إلى الحسن ابن سهل ، وتعيين الحسن وزيراً له ، وإن لم يعطه السلطة التي كانت لأخيه

١ ـ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٤٣/٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٩/٢٢ .
٢ ـ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ٢٤٢ .
٣ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٨ ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٤٨ .
٤ ـ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٩٤ .

من قبل ، كما كان يصل ويود أم الفضل والحسن ، ويعزيها ويواسيها في فقدانها ابنها ، بل زاد الأمر حبكة بتزوجه من بني سهل (ببوران بنت الحسن) ٢٠٢هـ/٨١٨م ؛ حتى لا يثير الفرس عليه . <١>

ويرى بعض المؤرخين أن سياسة القتل ليست هي سياسة المأمون ، لأنه عرف عنه حبه للعفو والتسامح ، فكيف يميل إلى السفك والغدر ، وهو قد عفا عن مثيري الفتنة والاضطرابات أمثال الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي ، ثم هنا يقتل : ولكنهم يجدون له المبرر لاختلاف الظروف ، فالظروف هنا قهرية اضطرارية جعلته يقتل غدراً وينكر ذلك حتى لا يفقد ولاء الخراسانيين له ، ولتسببه في كل هذه الاضطرابات والفوضى ، واهتزاز عرشه ، ولسيطرة الفضل على المأمون سيطرة كاملة . <٢>

ذكر الثعالبي في كتابه « أنه لما اضطربت البلاد ، وثارت الفتن بالحجاز واليمن والعراق وطبرستان ، وحاربوا الحسن بن سهل ، والأخبار إذ ذاك مطوية عن المأمون بسبب تحكم الفضل ، وتحكم أصحاب البريد والأخبار ؛ فتحيلت جارية المأمون إلى أن بعثت له خلعاً من خز ووشي ، وكتبت على بطانتها ما أرادت وجعلت عليها بطائن خلقة فوق ذلك ، فلما عرضت على الفضل حملها إلى المأمون ، فلما أراد لبسها تعجب من رداءة بطانتها ووسخها فنزعها ، فوجد الكتابة عليها فغضب من انطواء الأخبار ، وتنكر للفضل ، فقال له الفضل : أردت أن أكفيك هذا الأمر ، ثم أعلمك به ، فلم يقبل عذره ، ورحل إلى العراق من وقته ، وأمر أصحاب البريد أن يردوا عليه ، ولا يحجبوا عنه من ذلك الوقت » <٣> . وقد انفرد بهذه الرواية الثعالبي ، فجميع المؤرخين أجمعوا على أن علي الرضا هو الذي أخبر المأمون .

---

١ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٩٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٤٩ .

٢ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٤/٥ ؛ عرفة : الخراسانيون ودورهم السياسي ، ١٣٣ ؛ شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٣/٣٢٧ .

٣ ـ الثعالبي : تحفة الوزراء ، ٩٨ .

وروي أن الفضل بن سهل كان كثيراً ما يقول في أيام المأمون :

لئن نجوت أو نجـــت ركائبي   من غالـــب ومن لفيف غالب

إني لنجاء من الكرائـــب

وكان الفضل لا يدري ما غالب ، وكان يعتقد أنه من قريش ؛ حتى دخل عليه غالب الرومي ، صاحب ركاب المأمون فقتله ، فقال الفضل : « **لك مائة ألف دينار** ، **فقال له** : **ليس بأوان تملق ولا رشوة** ، **وقتله** » . (١)

وروى أن الحسن بن سهل بعث كتاباً إلى أخيه الفضل يحذره هو والخليفة وعلي الرضا من الدخول إلى الحمام يوم كذا شهر كذا ؛ حتى لا يقع لهم سوء . ويبدو أن الكتاب لم يصله لذلك وقع ما وقع لو صدقنا هذه الرواية ؛ ويعتقد أن هذا الأمر غير صحيح ، لأن بعض روايات المنجمين ذكرت أن الفضل يموت بين ماء ونار ، ولو كانوا على صدق فيما رووه من روايات لابتعدوا عما ذكروه ، ولما أصابهم مكروه . كما أنه قيل إنه حذره من دخول الحمام يوم الأربعاء ، بينما الفضل اختلف في يوم وفاته ، قيل يوم الخميس ، وقيل يوم الجمعة ، ولم يذكروا أنه قتل يوم الأربعاء . (٢)

وبذلك انتهت حياة الفضل الحافلة بالمؤامرات والخطط لنقل الخلافة إلى الفرس لقول نعيم بن خازم للفضل : « **إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال عليهم ، فتصير الملك كسروياً ؛ ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده ، وهي البياض إلى الخضرة ، وهي لباس كسرى والمجوس** » . (٣)

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٢/٢ .

٢ ـ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ١٩٠/٢ .

٣ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٣ .

هذه هي النهاية لكل من يحاول تفتيت شمل الأمة الإسلامية وتشتيت كلمتها والقضاء على رجالها ، فقد عاش الفضل حياة مليئة بتدبير المؤامرات لقتل الأبرياء والتخلص منهم لمجرد أنهم يقفون عقبة أمام طريقه وطريق طموحاته وأهدافه الخاصة وطبيعته للنفوذ والسلطة . فهو القائل :
« **إن دام ما أنا فيه فالدنيا كلها ضيعتي وعقدي وإن زال فما أنا فيه لا يزول إلا باصطلام** » . (١) وقتل وعمره ستون عاماً . (٢)

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٢/٢ ؛ محمد مصطفى هدارة : المأمون ، ٥٩ ، القاهرة ، مكتبة مصر .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٥/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٤٣/٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٩/٢٢ .

الفصل الخامس :

الآثار التي ترتبت على الدور الذي قام به الفضلان في الدولة العباسية

المبحث الأول :

أثرهما في التنظيمات والمؤسسات الإدارية في الدولة العباسية

أ ـ أثرهما في ولاية العهد .

ب ـ أثرهما في الوزارة .

جـ ـ أثرهما في قوى الدولة العسكرية .

١ ـ الجيش .

٢ ـ الشرطة .

المبحث الثاني :

أثرهما في المجتمع

المبحث الثالث :

أثرهما في الوضع الداخلي

أ ـ الحالة الأمنية :

١ ـ ثورةالحسن الهرش ١٩٨هـ/٨١٤م .

٢ ـ ثورة نصر بن شبث ١٩٨هـ/٨١٤م .

٣ ـ ثورة ابن طباطبا ١٩٩هـ/٨١٥م .

٤ ـ ثورة إبراهيم بن موسى ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٥ ـ ثورة الحسين بن الأفطس ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٦ ـ ثورة أهل الحربية ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٧ ـ ولاية منصور بن المهدي ٢٠١هـ/٨١٦م .

٨ ـ بيعة إبراهيم بن المهدي ٢٠٢هـ/٨١٧م .

ب ـ الحالة الاقتصادية :

١ ـ أثر الفتنة على موارد الدولة ونفقاتها .

٢ ـ الزراعة .

٣ ـ الصناعة .

٤ ـ التجارة .

المبحث الأول
أثرهما في التنظيمات والمؤسسات الإدارية في الدولة العباسية

أ ـ أثرهما في ولاية العهد .

ب ـ أثرهما في الوزارة .

جـ ـ أثرهما في قوى الدولة العسكرية .

١ ـ الجيش .

٢ ـ الشرطة .

أ ـ أثرهما في ولاية العهد :

لقد انتهت الفتنة التي نشبت بين الأمين والمأمون بمقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة ١٩٨هـ/٨١٤ <١> ، وكانت هناك أسباب عديدة لنشوب هذه الفتنة ووقفت خلفها شخصيات ساهمت في إذكاء نارها بينهما ، وكان لابد والأمر كذلك أن يكون لها آثار جانبية أثرت في الدولة والرعية : بل وفي الوضع الداخلي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً .

ولعل ولاية العهد في الدولة العباسية في هذه الفترة كانت من أهم الجوانب التي تأثرت بهذا الوضع ؛ إذ حدث بعد انتهاء الفتنة ومقتل الأمين ، وتولي المأمون الخلافة وعزله القاسم بن الرشيد عن ولاية العهد <٢> ، أصبح منصب ولي العهد شاغراً وهو أمر لا يمكن إغفاله ؛ لأن الدولة الإسلامية منذ عهد الدولة الأموية وهي تولي وتختار ولي العهد ، وسار على هذا النهج الخلفاء العباسيون ، بل كانوا يختارون أكثر من ولي للعهد .

أما الآن بعد أن عزل القاسم عن ولاية العهد أصبح المنصب شاغراً ؛ فاستغل هذه الفرصة وزير المأمون الفضل بن سهل لتحقيق أغراضه ، فأخذ يشير على المأمون بتولية ولاية العهد لأحد أفراد البيت العلوي <٣> ؛ لأن الفضل كان يُدرك مدى ميل المأمون إلى العلويين ، لكون أمه فارسية وكذلك زوجته ؛ فتأثر بالفرس وبأفكارهم ومعتقداتهم <٤> ، بالرغم من أن الرشيد بذل الكثير ، وجاء له بالمؤدبين والعلماء والفقهاء لتعليمه وتأديبه ؛ غير أنه على

---

١ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٢٥٩/٣ .
٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٩٩/٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣١ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٩/٢ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٨٥ .
٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٥٥/٨ .
٤ ـ المصدر السابق ، ٣٦٠/٨ ، ٥٦٦ ، ٦١٩ ؛ القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ١٥٤ .

ما يبدو قد تأثر بمربيه جعفر بن يحيى البرمكي ثم بوزيره الفضل بن سهل فهو الذي أشار عليه بالبيعة بولاية العهد لأحد أفراد البيت العلوي ؛ فاستجاب له وتم ذلك في ٢٠٠هـ/٨١٦م ؛ فبعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك وفرناس الخادم [١] للبحث عن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ، ومحمد بن جعفر وإشخاصهما من المدينة وإحضارهما إلى مرو .

كما أمر بإحصاء أولاد العباس ليتبين أجدرهم للخلافة من بعده ، وتذاكر أحوال أعيان البيت العباسي فلم يجد فيهم من يستحق ولاية العهد ، فبحث في البيت العلوي فلم يجد أحداً أصلح وأفضل وأورع للخلافة من بعده سوى علي بن موسى الكاظم . [٢]

وقيل إن المأمون هو الذي اقترح أمر البيعة لعلي الرضا ، غير أن الفضل ابن سهل وأخاه حاولا ثنيه عن ذلك لخوفهما من عاقبة الأمر ، ولكنه أصر على موقفه وأقنع علياً بتولي الأمر ، واشترط عليه القبول لقاء عدم التدخل في الحكم [٣] وقيل إن الفضل هو الذي حثه وشجعه على ذلك . [٤]

ففي يوم الخميس ٢٠١هـ/٨١٧م عقد المأمون مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الوزراء والأمراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد أحضرهم ليخبرهم بأمر ولاية العهد لعلي ، ولبس الخضرة ، وصرف أرزاق سنة مقدماً . وبويع يوم الخميس ٢ رمضان من السنة نفسها ، وطرح السواد ، ولبست الخضرة ، وأمر بنقش اسمه على الدراهم والدنانير ، وكتابة اسمه

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٢٨/٤ . ذكر أنه بعث رجاء وياسر الخادم .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٢٨/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٤/٨ ـ ٥٤٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨١/٥ .

٣ ـ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ١/ ق ٣١٥ .

٤ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٣ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٧ .

على الخلع والدعاء له على المنابر ولقبه بالرضا من آل محمد ، وفرق على الناس الصلات .[١]

وأمره المأمون أن يخطب في الناس ؛ فقام علي الرضا وخطب ، فحمد الله عز وجل وأثنى ، وثنى بذكر الرسول ﷺ وقال : « **أيها الناس ؛ إن لنا عليكم حقاً برسول الله** ﷺ ، **ولكم علينا حق به فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام** »[٢] . ثم كتب المأمون إلى جميع الآفاق يخبرهم بما عقد عليه من ولاية العهد لعلي الرضا ، كما كتب كتاباً إلى علي يخبره بالأمر ، فقام علي الرضا بالرد على الخليفة على ظهر كتابه يخبره بقبول الأمر ، وقطع على نفسه العهود والأيمان بأن يعمل بما فيه طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .[٣]

كما زوج المأمون علي الرضا من ابنته أم حبيبة ، وزوج محمد بن علي بن موسى ابنته الثانية أم الفضل .[٤]

وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى حول تحديد سبب البيعة للعلويين فمنهم من يرى أن الفضل كان قد لعب دوراً سياسياً في إقناع المأمون بهذا الأمر ، ولعل من أهم الأسباب التي دفعت بالمؤرخين إلى أن يحملوا الفضل مسئولية البيعة للعلويين وإقناعه بها اعتمادهم على رواية الجهشياري

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤٨/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٥٤/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٢٨/٤ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٦/٦ ؛ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ١/ق ٣١٥ ؛ العصامي : سمط النجوم العوالي ، ٣١٠/٣ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٢/٢ .

٢ ـ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٥٦٤ ؛ الجنابي : المصدر السابق ، جـ١/ق ٣١٥ ـ ٣١٦ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٥٤/٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣١٠/٣ . انظر نصوص الكتب قسم الملاحق ملحق رقم (١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ص ٢٩٨ ـ ص ٣٠١) .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٦٦/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٣/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٩/١٠ .

وابن الطقطقي [١] ، إضافة إلى موقف البغدادين في لوم الفضل بن سهل حول هذا الأمر ، كما يرون أن خيبة أمل الخراسانيين وخاصة الفرس منهم من الدولة العباسية كان عاملاً قوياً في نقل المعارضة إلى العلوية ، ثم إن رغبة الفضل في إرجاع السلطة إلى الفرس عن طريق نقل الخلافة إلى العلويين ؛ وذلك بنقل مركز الخلافة إلى خراسان . [٢]

بينما يذهب البعض الآخر إلى الجزم إلى أن المأمون انتهج هذه السياسة إنطلاقاً من قناعته الخاصة ، ولعل من أهم الأسباب التي دفعته إلى ذلك نشأة المأمون في بيئة فارسية منذ نعومة أظفاره فأمه فارسية . وإن توفيت أثناء ولادته ، إلا أنه وجد من يغرس فيه المبادىء والأفكار والمعتقدات والآراء الفارسية .

فقد تولى وعني بتربيته جعفر بن يحيى البرمكي ، والفرس يتشيعون للعلويين ومن بينهم جعفر وأكبر دليل على ميله إطلاقه سراح يحيى بن عبدالله عندما أمره الرشيد بحبسه . ثم انتقل المأمون بعد مقتل جعفر إلى يد الفضل ابن سهل . إذاً فكلاهما فارسي متشيع للعلويين ، فكان طبيعياً أن يتشيع ويميل إلى الأفكار والمعتقدات الفارسية . والدليل على ميله إلى الفرس اتخاذه مرو عاصمة خراسان قاعدة لولايته ، ثم اتخذها مقراً لخلافته لمدة ٤ سنوات ، واتخاذه رجاله وأعوانه من موالي الفرس الذين يميلون إلى العلويين ويتشيعون لهم . [٣]

---

١ ـ سبق الإشارة إليها في الفصل الخامس ، ص ٢٠٢ ؛ الوزراء والكتاب ، ٢١٣ ؛ الفخري ، ٢١٧ .

٢ ـ أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ٣/٢٩٥ ؛ فاروق عمر : « سياسة المأمون تجاه العلويين ١٩٨هـ/٨١٤م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م » ، ٢٨٣ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ع ١٦ ؛ ١٣٩٣/١٩٧٣م.

٣ ـ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ٢٠٦ ، القاهرة ، دار الفكر العربي : ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

كما يذهب بعض المؤرخين إلى أن تولي المأمون الخلافة بعد صراعه مع الأمين كان بمثابة ضربة لبني العباس مما أفقده تأييدهم ؛ فأراد أن يكسب ثقة وتأييد الفرع الهاشمي وهو الفرع العلوي . [١]

كما استعرض الفتن التي نشبت على طوال التاريخ . من عهد علي بن أبي طالب إلى عهده هو ، ورأى أن هذه الفتن كانت سبباً في تفتيت وحدة المسلمين ، وكان من الواجب أن يتحدوا ويتركوا الخلافات من أجل السلطة ويتجهوا إلى تنظيم أمور الدولة الداخلية وتطويرها ، ونشر العلم والحضارة ، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ، ومواجهة أعدائها في جميع أقطارها ؛ وبذلك تصبح دولة قوية لا يستهان بها . ولكن الخلافات على السلطة شتتت الدولة وقسمتها إلى قسمين ، قسم يتشيع للعباسيين ، وآخر يتشيع للعلويين ، فقطع الدولة إلى أشلاء ، وشغل الخلفاء بإخماد الثورات عن الاهتمام بها وأحوالها ، فرأى المأمون أنه من الأصلح أن يكون هو نقطة البداية لتوحيد كلمة المسلمين ، وتوحيد البيتين العلوي والعباسي باختيار الخليفة الأصلح في البيتين دون النظر إلى أيهما ينتمي ، وأكبر دليل على أنه حاول دمجهما معاً ؛ ربطهما بروابط المصاهرة والدم من جديد بتزويجه ابنتيه أم حبيب ، وأم الفضل لعلي بن موسى وابنه محمد الجواد بن علي الرضا .

ويفسر ذلك بأن المأمون نسي أن الناس ابتعدوا عن العقل وأن الخلافات لا تنتهي بمثل هذه السهولة ، وأن العصبية تعمي القلوب والعقول . [٢]

وعطف المأمون على العلويين [٣] ؛ ومما يؤكد ذلك وصيته لأخيه المعتصم ٢١٨هـ/٨٣٣م بقوله : « **هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**

---

١ ـ أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ٢٩٥/٣ ؛ فاروق عمر : « سياسة المأمون تجاه العلويين ١٩٨هـ/٨١٤م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م » ، ٢٨٣ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد .

٢ ـ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٨٥ ؛ سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٣ ـ أحمد أمين : المصدر السابق ، ٢٩٦/٣ .

رضى الله عنه ، **فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم ، وأقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى »** . ‹١›

كما رأى أن للعلويين أحقية في الخلافة كما للعباسيين حق فيها فكلاهما فرع لشجرة واحدة وهي شجرة أسرة النبي ﷺ ، فللعلويين حق في الاشتراك في الحكم اشتراكاً فعلياً . ‹٢›

أيضاً أحقية علي بن موسى بالخلافة باعتبار عدم وجود من هو أصلح ولا أفضل ولا أعلم ولا أدين منه في البيت العباسي ، فلجأ إلى البيت العلوي لاختيار أفضل شخص ليتولى الخلافة من بعده . ‹٣›

وأراد أيضاً الإحسان ورد الجميل لبني علي بن أبي طالب ، فقد روي أنه حدثت محاورة بين المأمون وعمة أبيه زينب بنت سليمان بن علي وقد سألت زينب المأمون : « **ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي ؟ فقال : يا عمة ؛ إني رأيت علياً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس ، فولى عبدالله البصرة ، وعبيد الله اليمن ، وقثم سمرقند ، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم ، كافأوه على فعله في ولده ، فأحببت أن أكافئه على إحسانه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إنك على بر بني علي والأمر فيك ، أقدر منك على برهم والأمر فيهم »** . ‹٤›

ويحلل بعض المؤرخين السبب الذي دفع المأمون إلى تولية علي الرضا ولاية العهد أنه رأى أن عدم تولي العلويين الخلافة يكسب أئمتهم شيئاً من التقديس ، فإذا ولوا الحكم ظهروا للناس وبان خطؤهم وصوابهم فزال عنهم

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٦٤٩ ـ ٦٥٠ .

٢ ـ نبيله حسن : تاريخ الدولة العباسية ، ٢٠٠ .

٣ ـ الشريفي : التاريخ الإسلامي ، ١٣٥ ؛ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٨٣ .

٤ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢١٩ .

هذا التقديس ، وأنها مجرد مناورة سياسية ، بهدف كشف الشخصيات العلوية ، وإظهار عزوفها عن الخوض في غمار السياسة ومعترك الحياة . ‹١›

وهناك عامل سياسي هو كسب رضاء الفرس ؛ لأنهم كانوا يميلون إلى العلويين ، فهم أنصار لهم على مر عصور التاريخ منذ عهد الحسين بن علي بعد زواج ابنه بابنة يزد جرد كسرى الفرس ، لأن غضب الشعب الفارسي الذي كان يمثل نصف الدولة سوف يكون شؤماً عليهم ، كما حدث للأمويين عندما أشعلوا نار الكره في قلوب غير العرب ، وخاصة الفرس بتنحيتهم وإبعادهم واضطهادهم . ‹٢›

ولكن يبدو أن المأمون قد أخلص وصدق في تصرفه مع العلويين كما يرى ذلك بعض المؤرخين ، فقد استدلوا على ذلك بتزويجه الرضا وابنه ابنتيه ، ولكن الله عز وجل أراد له الموت سريعاً بعد توليه ولاية العهد ، وإن كان يتهم المأمون في قتل الرضا ، كما استشهدوا على صدق نيته بحزنه على موت الرضا حزناً شديداً ، واستمراره على لباس الخضرة شعار الدولة الجديدة تسعة وعشرين يوماً ؛ بعد أن رأى غضب العباسيين وكراهيتهم للون الأخضر ؛ فاضطر إلى تغييره إلى اللون الأسود شعار العباسيين ‹٣› . كما استدل أنصار هذا الرأى برواية الجنابي عندما ناقش ابني سهل وأصر عليهما في أخذ البيعة لعلي الرضا عندما أخبراه بقلقهما تجاه هذه البيعة من العباسيين . ‹٤›

---

١ ـ أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ٢٩٥/٣ ؛ فاروق عمر : « سياسة المأمون تجاه العلويين ١٩٨هـ/٨١٣م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م » ، ٢٨٧ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد .

٢ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ١٨٦/٢ .

٣ ـ أحمد أمين : المرجع السابق ، ٢٩٥/٣ ـ ٢٩٦ .

٤ ـ البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، جـ١/ق ٢١٥ .

ويرى البعض أن المأمون كان معتزلياً على مذهب معتزلة بغداد ، وهم يرون أن علياً أولى بالخلافة حتى من أبي بكر وعمر ، فذريته من بعده أحق ، فأراد أن يحقق مذهبه بنقل الخلافة إليهم . <١>

وهناك من يعارض هذا الرأي ويعتبر أن المأمون معتزلي وأن علي الرضا شيعي حسيني ، والمعتزلة لا تتفق مع الشيعة الحسينية في قضية الخلافة . <٢>

والراجح أن الأمر تم برأي المأمون وعن قناعة منه كما وضح ذلك من خلال الأدلة السابقة وإن كان الأمر لا يخلو من تدخل الفضل فيه ، لأنه لو كان الأمر بأكمله من رأي المأمون لاقتصر على اختيار علي الرضا ولياً للعهد ومبايعته بذلك ، دون التعرض لتغيير لون شعار الدولة من السواد إلى الخضرة .

من العرض السابق يتضح أثر الفتنة التي أشعلها الفضلان (ابن الربيع وابن سهل) في الدولة ، وما سبباه من خسائر فادحة مادية وبشرية ، كما كان له أكبر الأثر على المأمون ، فقد جعل ولاية العهد في غير بني العباس ثم عادت إليهم بوفاة الرضا ، ولكن لم يجعل ولاية العهد متعددة بل جعلها في ولي عهد واحد ، فقد بايع لأخيه المعتصم ، ولم يجعلها في أبنائه كما فعل ذلك إسلافه .

---

١ ـ أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ٣/٢٩٥ .

٢ ـ فاروق عمر : « سياسة المأمون تجاه العلويين ١٩٨هـ/٨١٤م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م » ، ٢٨٥ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد .

ب ـ أثرهما في الوزارة :

لم تنته الثورة التي نشبت بين الأمين والمأمون فقط بما انتهت إليه من نتائج عسكرية على الطرفين ، بل امتدت آثارها إلى فترات طويلة الأمد .

فقد امتد أثرها ليؤثر على اختيار ولي العهد كما استعرضنا في المبحث السابق ، وها هي الآن تمتد جذورها إلى الوزارة ، وتؤثر عليها فكان لها تأثير ذا جانبين .

الجانب الأول : بعد وفاة الفضل بن سهل وزير المأمون ، وجد أنه قد تأثر به إلى درجة كبيرة . فقد لوحظ أنه بعد عودته إلى بغداد ٢٠٤هـ/٨٢٠م ، استوزر الحسن بن سهل أخا الفضل ، بالرغم من أنه نقم عليه ، وإن كانت نقمته لم تكن نقمة عامةً ، بل كانت نقمة خاصةً فقد انتهت بتخلصه منه وحده، ولم يفعل كما فعل والده الرشيد عندما نقم على البرامكة بسبب نقمته على جعفر بن يحيى ؛ حتى أنه بدأ يولي جميع أعماله للموالي ، محاولاً استبعاد الفرس . أما المأمون فقد أعجب بشدة ذكاء الفضل بن سهل وحسن سياسته ، فعندما تخلص منه كما روي ، لم يؤثر ذلك على استفادته من العنصر الفارسي ، بل أنه ولاهم وزارته وكتابته [١] ؛ فكان منهم :

الحسن بن سهل الفارسي أخو الفضل بن سهل ، الذي تولى الوزارة بوفاته ٢٠٢هـ/٨١٨م [٢] ، فبعد أن قتل الفضل وقبض على قتلته وقتلهم ،

---

١ ـ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ١٠٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٨/٨ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١٠٧ . ذكر ابن الآبار : أن فترة تولي الحسن بن سهل للوزارة من بعد ٢٠٣هـ/٨١٩م ، لأنه يرى أن الوزير لابد أن يكون ملازماً للخليفة ، والحسن كان في بغداد ، والمأمون بطوس ؛ مما دعاه إلى عدم نسبة الوزارة إليه في الفترة السابقة لوصول المأمون بغداد ؛ ولكن الطبري ذكر أنه شد في الحديد وحبس في بيته ٢٠٣هـ/٨١٩م أي قبل الفترة التي اعتبرها ابن الآبار فترة وزارته ، مما يدلل على تناقض المؤرخين فيما بينهم وفي رواياتهم . والراجح أن رواية الطبري هي الأصح .

بعث كتاباً للحسن يخبره بخبر أخيه ، وأنه قد صيره مكانه ، فتولى الحسن الوزارة منذ ذلك اليوم [١] ، وقد أصبحت مكانته عظيمة لديه ، فقد وصفت بقولهم : « وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون ، وكان المأمون شديد المحبة لمفاوضته ، وإذا حضر عنده طاوله في الحديث ، وكلما أراد الانصراف منعه . فانقطع زمان الحسن بذلك وثقلت عليه الملازمة . فصار يتراخى عن الحضور بمجلس المأمون ، ويستخلف أحد كتابه كأحمد بن أبي خالد الأحوال [٢] ، وأحمد بن أبي يوسف [٣] وغيرهما . ثم عرضت له سوداء كان أصلها جزعه على أخيه ، فانقطع بداره ليتطبب ، واحتجب عن الناس ، ... » [٤] واستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد . وقد كان كاتباً للحسن بن سهل عندما بدأ يظهر عليه العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ، ولزم منزله [٥] ، فقال له المأمون : « قد اعتل الحسن ، ولزم بيته ، ووكل الأمر إليك ، فأنا إلى راحته وبقائه ، أحوج مني إلى إتعابه وفنائه ، وقد رأيت أن استوزرك ؛ فإن الأمر ما دمت أنت تقوم به ، وقد طالعت رأيه في هذا الأمر ، فما عداك ، فقال أحمد : يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبني بالواجب فيها ، واجعل بيني وبين الغاية ما يرجوني له ولي ويخافني له عدوي ، فما بعد الغايات إلا الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لابد من ذلك ، واستوزره » . [٦]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٥/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٢/٥ .

٢ ـ كان شامياً مولى لبني عامر بن لؤي أبوه أبو خالد الأحول ، كاتب لعبيد الله كاتب المهدي ، كان على جانب كبير من رجاحة العقل ، وكاتباً فصيحاً بالأمور توفي ٢١٠هـ/٨٢٦م . للاستزاده انظر ابن طيفور : كتاب بغداد ، ١١٨ ؛ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ١٠٩ .

٣ ـ أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب القفطي يكنى بأبي جعفر ، من أهل الكوفة كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ووزر له ، وكان أخوه القاسم بن يوسف يدعي أنه من بني عجل ، ولم يدع أحمد ذلك . كان مولى لبني عجل ومنازلهم الكوفة توفي ٢١٣هـ/٨٢٩م . للاستزاده انظر ابن الآبار : المصدر السابق ، ١١٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٧٩/٨ ، اعتناء : محمد يوسف نجم ، ط٢ ، قيسباذان ، دار النشر فرانز شتايتز : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢٣ .

٥ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٤ .

٦ ـ القيرواني : زهر الآداب ، ٧٢٦/٣ .

ويذهب بعض المؤرخين [١] إلى أن أحمد بن أبي خالد تولى الوزارة بعد الفضل بن سهل مباشرة ، ولم يعتبر ويعترف بوزارة الحسن بن سهل .

ثم ولي الوزارة من بعده أحمد بن يوسف كاتب الحسن بن سهل بمشورة الحسن للمأمون باختياره وزيراً له وكاتباً بعد أحمد بن أبي خالد ، فتولى الكتابة إلى ٢١٣هـ/٨٢٨م [٢] وقيل إلى ٢١٤هـ/٨٢٩م [٣] ولم يكن في زمن أحمد بن يوسف أكتب منه ، وأحسن شعراً ، وهو أحد رؤساء البلاغة والبيان ، فهو أديب وشاعر وكاتب ، له علم بأمور الدولة وآداب الملوك [٤] . وسبب اشتهاره كتابه الذي كتبه لطاهر بن الحسين ليبعثه للمأمون يخبره بأمر قتل الأمين وانتصار جيوشه . [٥]

ثم وليها أبو عباد ثابت بن يحيى بن سعده [٦] ، ثم جاء بعده عمرو بن مسعدة بن صول [٧] ، كاتب الحسن مع أحمد بن أبي خالد وأحمد بن يوسف ، كان يسير على سيرة من قبله من الوزراء والكتاب [٨] ، ولكن بعض المؤرخين لا يعده من الوزراء . [٩]

---

١ ـ ابن طيفور : كتاب بغداد ، ١١٨ .

٢ ـ ابن الآبار : إعتاب الكتاب ، ١١٣ .

٣ ـ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٧٩/٨ .

٤ ـ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١١٣ .

٥ ـ المصدر السابق : ١١٤ ـ ١١٥ ؛ الصفدي : المصدر السابق ، ٢٨٠/٨ .

٦ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٤ ؛ الرفاعي : عصر المأمون ، ٣٠٨/١ . ذكر أن اسمه أبا عباد ثابت ابن يحيى بن يسار .

٧ ـ هو عمرو بن مسعدة بن صول أحد الكتاب البلغاء ، تجعل منه المصادر وزيراً للمأمون ، له كثير من رسائله في الأدب والتوقيعات توفي ٢١٧هـ/٨٣٢م . للاستزاده انظر ابن الآبار : المصدر السابق ، ١١٦.

٨ ـ المسعودي : المصدر السابق ، ٣٠٤ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١١٦ ؛ رفاعي : المرجع السابق ، ٣٠٨/١ . ذكر أنه آخر وزراء المأمون وبعده أبا يحيى بن أكثم ثم أبا عباد بن يحيى ثم أبا عبدالله يزداد.

٩ ـ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ١٠٣ ؛ ابن الآبار : المصدر السابق ، ١١٦ .

ثم تولى الوزارة يحيى بن أكثم التميمي [١] ، وبعض المؤرخين يعده من كبار المحدثين وقاضي للمأمون ، ولم يذكر أنه تولى الوزارة للمأمون . [٢]

وولي الوزارة من بعده محمد بن يزداد بن سويد [٣] ، كان متأدباً ، وشاعراً بارعاً في كل شيء ، وظل على الوزارة إلى أن توفي المأمون . [٤]

الجانب الثاني : بعد قدوم المأمون بغداد ، وتخلصه من الفضل بن سهل ، حرص على أن لا يترك لوزارائه العنان في السلطة كما كان للفضل في مرو ، بل كان يتفقدهم ويراقبهم ويقوم بنفسه في جميع أموره [٥] ؛ حتى لا يستفحل نفوذهم .

فقد روي : « **أن المأمون خرج في عشية يوم من مقصورته إلى الدار المعروفة بدار العامة ، فرأى الحسن بن سهل جالساً فيها ينظر في الأعمال ، وينفذ الأشغال ، فسأل عنه ، فقيل : إنه من الصبح هنا . ولم يمض إلى منزله ، فلما رآه الحسن بن سهل قام مبادراً بين يديه ، فقال له المأمون : تعبت اليوم يا أبا الفضل . فقال الحسن ابن سهل : لا أعد تعباً ما كان لراحة أمير المؤمنين وفي خدمته** » . [٦]

---

١ ـ الرفاعي : عصر المأمون ، ٣٠٨/١ . ذكر أنه تولى الوزارة بعد أحمد بن يوسف ؛ فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ١٦٥ . ذكر أنه لم يتول الوزارة عربي ، بينما نجد أنه كان بينهم التميمي ، فربما أسقط من الروايات ؛ لذلك اعتبروه لم يتول الوزارة بعد الفضل بن سهل وزير عربي ، وربما لأن بعضهم لا يعده وزير بل اعتبره من المحدثين والقضاة .

٢ ـ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٦٩ .

٣ ـ الرفاعي : المرجع السابق ، ٣٠٨/١ . ذكر أن أبا عباد تولى قبل عمرو بن مسعدة وجعل عمرو آخر وزراء المأمون ؛ فاروق عمر : المصدر السابق ، ١٦٥ . ذكر أن أبا عباد تولى قبل عمرو بن مسعدة ثم يحيى بن أكثم وهو آخر وزراء المأمون .

٤ ـ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٤ .

٥ ـ المصدر السابق ، ٣٠٤ .

٦ ـ الثعالبي : تحفة الوزراء ، ٧٠ . يشك في صحة هذه الرواية ؛ لأنها تورد أن المأمون كان يتفقد وزرائه ، ومنهم الحسن بن سهل . فكيف يتفقد الحسن مع أن بعض المؤرخين ذكروا أن الحسن قد شد في الحديد وحبس في بيته قبل قدوم المأمون بغداد ٢٠٣هـ/٨١٩م .

كما أنه لم يكتف بتحديد السلطة ، بل أنه لم يتسم أحد من كتابه بعد الفضل بن سهل بلقب وزير ؛ لذلك اختلف الناس والمؤرخون في تسمية الكتاب السابقين الذين تولوا الكتابة للمأمون بعد الفضل بلقب وزيراً . [١]

وهكذا فإن منصب الوزارة أضحى في عهد المأمون هي « **رأس الكتابة ، وتعارف الناس على أن أبرز أعوان الخليفة من كتابه هم وزراؤه ، فكانوا يقومون بأعمال الوزير دون أن يتسموا بلقبه ، فأضحت وظيفة غير رسمية دائمة في الدولة كمثيلاتها من الوظائف الأخرى ؛ لذلك لم يتعجب الناس لاختفاء المنصب ، ولم يشعروا بالنقص** » . [٢]

وبذلك يتضح أثر الفضل بن الربيع والفضل بن سهل على الوزارة فقد جعلا المأمون يلغي فكرة الوزارة طوال الفترة ما بين ٢٠٢هـ/٨١٨م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م ، وبوفاته عاد المنصب من جديد ٢١٨هـ/٨٣٣م في عهد الخليفة المعتصم .

كما كان للفضل بن سهل دور كبير على رواتب الوزراء والعمال ، فقد كان راتب العامل ثلاثمائة درهم ؛ ثم ارتفعت بتولي الفضل بن سهل الوزارة ، فكان أول من سن زيادة الرواتب . [٣]

---

١ ـ الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ١٦٨ .

٢ ـ شاكر مصطفى : « دراسة في مفهوم الوزارة ونشأتها لدى المؤرخين وفي الواقع التاريخي » ، ٩٨ ، كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٩٥ .

جـ ـ أثرهما في قوى الدولة العسكرية :

١ ـ الجيش :

إن عماد أي دولة في قيامها وتأسيسها يكون عادةً على جيشها ، وكذلك كان عماد الدولة العباسية على الجيش الذي ضم العرب والفرس ، بينما كان جيش الدولة الأموية عماده العرب فقط [١] ، وكان لإشراك العباسيين للفرس في الجيش أن أصبح لهم شأناً عظيماً في الدولة لا يقل عن شأن العرب ، فكانت لهم القيادة . [٢]

كانت الدولة العباسية تملك جيشاً نظامياً كبيراً منظماً بلغ عدده في عهد المأمون ١٢٥ ألفاً [٣] ، وكانت تدفع لهم رواتب عالية . إذا ما قيست برواتب جميع مستخدمي الدولة عدا التجهيزات التي كانوا يتجهزون بها من أسلحة وألبسة بأفضل ما يكون ، وقد بلغ راتب الجندي المشاة في عهد المأمون العباسي ٢٤٠ درهماً في السنة أي بما يعادل ٢٠ درهماً شهرياً ، بينما بلغ راتب الفارس ضعفي راتب المشاة ، كما يضاف إليه حصته في الغنائم .

---

١ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ٢/٢٧٤ .

٢ ـ الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ٢٠٢ .

٣ ـ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ٢/٢٧٤ ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب مطول ، ٢/٤٠٣ ـ٤٠٥، تعريب : ادوارد جرجي ، ط٤ ، بيروت ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع : ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م . ذكر أن الدولة العباسية لم يكن لها جيش نظامي له عدة كاملة وعدد ثابت مدرب على التمارين العسكرية المنتظمة ، وأنه كان عبارة عن مجرد عصائب تلتف حول زعماء ، وأنه لم يكن جيش للدولة إلا حرس الخليفة يمكن تسميته بالجند النظامي ، ثم ناقض نفسه وذكر في موضع آخر أن الدولة العباسية كانت تملك وحدات قائمة من الجنود على أساس القبائل ، ثم ذكر أنه قال في موضع آخر : أن الدولة في عهد المأمون تملك جيشاً عدده ١٢ ألف ، وأن الخلافة العباسية طوال عهدها في القرن الأول تعتمد على جيش قوي .

فقد ذكر أنه عندما صرفت حصة الغنائم للجنود في عهد الأمين ١٩٨هـ/٨١٤م بلغت حصة الجندي ستة دنانير ، وفي فترة النزاع بين الأمين والمأمون جعل المأمون راتب الجندي ثمانين درهماً في الشهر ، ولكن هذا الراتب عاد إلى ما كان عليه بعد انتهاء الفتنة [١] ، وقد أطلق عليهم البعض [٢] لقب المرتزقة لأنهم يتعاطون الجندية حرفةً .

هذا فيما يتعلق بالجيش النظامي ، كما أن الدولة تضم إلى جانب هؤلاء جيش المتطوعة وهم جند من البدو وطبقة الفلاحين وسكان المدن من العوام يشتركون في الحروب ويتاقضون رواتب مدة الخدمة العسكرية فقط ، وكانوا ينضمون إلى الجيش إما بدافع ديني أو بدافع مادي . [٣]

وبينما يميل بعض المؤرخين إلى أن الدولة العباسية اعتمدت في تكوين جيشها على الفرس إنما مرد ذلك إلى الانطباع السائد لدى هؤلاء بدور الفرس في قيام الدولة العباسية من ناحية ، وبسبب المبالغة في تصوير العصبية القبلية التي ما زالت تشتعل نارها بين الجند العرب حتى أصبحوا فريقين متناحرين هما عرب الشمال المضرية ، وعرب الجنوب اليمانية . [٤]

لذلك كان للفضل بن سهل أثر كبير على المأمون في جعله يختار بعض قواده وجنده من الفرس ، كأمثال : طاهر بن الحسين . كما أنه أنكر أي جهود للعرب في القضاء على النزاع ، حتى أنه عندما تعرض له عربي من عرب الشمال مراراً ، فقال للمأمون : « **يا أمير المؤمنين** ،

---

١ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ٢٧٤/٢ ؛ الرفاعي : عصر المأمون ، ٣٠٩/١ .

٢ ـ حتي : تاريخ العرب مطول ، ٤٠٣/٢ .

٣ ـ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ٢٧٤/٢ ؛ حتي : المرجع السابق ، ٤٠٣/٢ .

٤ ـ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ٢٧٤/٢ ؛ حتى : المرجع السابق ، ٤٠٥/٢ .

انظر لعرب الشأم كما نظرت لعجم أهل خراسان ، فقال المأمون : أكثرت علي يا أخا الشأم ، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى لم يبق في بيت مالي درهم واحد ، وأما اليمن فو الله ما أحببتها ولا أجبتني قط . وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه . وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه ﷺ من مضر ، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً ، أغرب فعل الله بك !» . [١]

يلاحظ أن المؤرخين يحاولون تصوير سلطة العرب بأنها قد ضعفت ، وضعفت مكانتهم بسبب العصبية ، وأنه لم يكن لهم دور في قيام الخلافة العباسية ، كما لم يكن لهم دورٌ في جيوش المأمون ، وأن الفرس هم الذين احتلوا المناصب ، لذلك استحقوا أن يعلن المأمون ذلك ويجهر به أمام الملأ . [٢]

والواقع أن العرب كانوا في خلافات ، ولا يعني ذلك انشغالهم بها وعدم مشاركتهم في حروب الدولة الخارجية مع أعداء الخلافة العباسية . وحتى في تأسيسها ، وفي القضاء على الثورات الداخلية ، فقد كان للعرب جهود جبارة في تأسيس الدولة أمثال قحطبة بن شبيب الذي قاد الجيوش في مرو ، واستطاع أن يحقق انتصاراً لجيش الدولة العباسية . [٣]

كما كان لهم دور في تقديم الخلافة للمأمون والقضاء على الأمين وعلى الثورات الداخلية أمثال هرثمة بن أعين . [٤]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٦٥٢/٨ .

٢ ـ حتي : تاريخ العرب مطول ، ٤٠٥/٢ ؛ الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ٢٠٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٨٨/٧ ـ ٤١١ .

٤ ـ المصدر السابق ، ٤٤٥/٨ ـ ٤٤٨ ، ٥٣٠ ـ ٥٣٣ .

من العرض السابق يتضح مدى تأثر الخليفة المأمون بالفضل بن سهل ، حتى أنه أنكر جهود العرب ، كما أنكرها المؤرخون ؛ ولكن الحقيقة لابد وأن تظهر للناس جميعاً ، فمهما حاول الجميع إخفاءها لابد وأن تظهر ، ويسطع نورها للبشرية جمعاء .

٢ ـ الشرطة :

من النظم الادارية الهامة في العصر العباسي الأول نظام الشرطة وهي : « وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة . وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان ، وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها ، أولاً ثم الحدود بعد استيفائها ، فإن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها ، بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك ، فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة ، وربما جعلوا إليه النظر في الحدود والدماء بإطلاق ، وأفردوها من نظر القاضي ، ونزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم ، ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس ، إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاع والفجرة » . [١]

وكان صاحب الشرطة يختار عادة من أهل العصبية والقوة ، لأن عليه تقع مسئولية المحافظة على الأمن في البلاد ومطاردة المجرمين وأهل الفساد ، وكان يسمى عند العامة بصاحب الليل ، إذ كانت خطته تعني الطواف بالليل ، لأن من مهامه نشر العسس في الأزقة والشوارع للقبض على اللصوص والشطار [٢] ، ومساعدة الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام في البلاد . [٣]

---

١ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٣١١/١ ـ ٣١٢ .

٢ ـ الشطار : هم الذين تركوا أهلهم ومؤدبيهم خبثاً وابتعدوا عن الاستواء . للاستزاده انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٤٠٨/٤ .

٣ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ٢٧٢/٢ ؛ عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول ، ٢٧٩ .

إذاً لقد بدأت تنشط حركة اللصوصية أعقاب الفتنة بين الأمين والمأمون ، فظهر جماعة الشطار الذين يقومون بحركات السلب والنهب ، وقطع الطريق على الناس مما أدى إلى تأذي الناس وإلحاق الضرر بهم ، وكان في تلك الفترة إلى ٢٠٤هـ/٨٢٠م صاحب الشرطة العباس ابن المسيب بن زهير ، ولكن المأمون في أوائل ٢٠٥هـ/٨٢١م رأى ضرورة عزله وتوليتها لطاهر بن الحسين وكان العباس قد أشار عليه تعيين ابنه على الشرطة لكبر سنه ، وثقل عليه حمل الحربة [١] . ولكنه رفض ذلك وولاها طاهر بن الحسين . [٢]

وهكذا يبدو مدى تأثير الفضل بن سهل على المأمون خاصة وعلى الدولة العباسية عامة . فقد جعل المأمون ومن جاء بعده من الخلفاء الشرطة في أيدٍ خراسانية ، بينما كانت في أيدٍ عربية ، مما يظهر مدى تأثير الفضل بن سهل على المأمون حتى بعد مقتله .

---

١ ـ ابن طيفور : كتاب بغداد ، ٢٠ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٧٧/٨ ، ٥٩٢ ؛ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٣١٤/١ .

المبحث الثاني
أثرهما في المجتمع

أثرهما في المجتمع :

كان المجتمع العباسي يتكون من عناصر ثلاثة هم العرب والفرس والترك . (١)

فالعرب : كانوا يمثلون أساس الدولة في العصر الأموي ، وعليهم تقوم مناصب الدولة ووظائفها .

أما الفرس : فقد بدأ دورهم ونشاطهم يظهر بظهور الخلافة العباسية ، فلم يكن لهم جهود في عصر الخلافة الأموية وعلى أكتافهم وأكتاف العرب تأسست الخلافة العباسية .

أما العنصر الثالث في المجتمع العباسي فهو الترك : الذين ظهروا في عهد المأمون ، ولكن ليس بصورة كبيرة وواضحة ، كما ظهروا بعد ذلك في عصر المعتصم (٢) . وأصبحوا العنصر السائد والمسيطر في الدولة ؛ فلم يكن لهم دور في الفتنة ، وإنما كان الصراع قائماً بين العنصرين العربي ويتزعمه الفضل بن الربيع ، والفارسي ويتزعمه الفضل بن سهل : مما أثر في المجتمع نفسه فدفعه إلى التطاحن والتنازع بينهما للوصول إلى المناصب .

---

١ ـ الأتراك جماعة كانوا يجلبون من أسواق الرقيق في بلاد ما وراء النهر وشمالي الصين اتخذ المعتصم من حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم وتمرسهم على ركوب الخيل وأعمال الغزو والفروسية والأسلحة وتمسكهم بأهداب الإسلام سبباً لتوليهم أعلى المناصب في الدولة وقد ألبسهم الديباج والمناطق والحلي المذهبة وأظهرهم بزي خاص وخلع عليهم الهبات والعطايا . وهم جماعة بعيدة عن الحضارة والعلم . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ٥٣/٤ .

٢ ـ يذكر المؤرخون أن الأتراك بدأ ظهورهم منذ عهد المعتصم ، ولكن المصادر ذكرت من خلال الأحداث أسماء بعض القادة الأتراك الذين برزت أسماءهم في عهد المأمون أمثال الأفشين وأشناس ، وإن لم يظهروا بصورة واضحة كما حدث في عهد المعتصم . المصدر السابق ، ٥٣/٤ .

وعلى إثر ذلك قامت ثورات وفتن ، فقد وثب السري بن الحكم [١] ١٩٥هـ/٨١١م ومعه جماعة من المصريين ؛ ليدعوا الناس إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فأجابه إلى ذلك جماعة منهم ، فلما علم بذلك جابر بن الأشعث [٢] ، قاتله حتى هزم وطرد من مصر . [٣]

كما قامت ثورة أخرى في بلاد الشأم يتزعمها نصر بن شبث العقيلي ١٩٨هـ/٨١٤م ، وكانت هذه الثورات تهدف لفت نظر الخلفاء العباسيين إلى العرب [٤] ؛ وذلك بسبب عدم اهتمام المأمون بالعرب وقادتهم العظماء ؛ لتأثره بالفرس ؛ مما جعله يولي طاهر بن الحسين على خراسان وجعل له دولة مستقله داخل الخلافة . [٥]

وكان أيضاً يعين قادة جيوشه من الفرس والموالي ، كما فعل ذلك حينما ولى عبدالله بن طاهر قيادة الجيوش ضد نصر بن شبث ، كما ولاه قيادتها في القضاء على الفتنة المشتعلة بمصر والإسكندرية . [٦]

---

١ ـ السري بن الحكم بن يوسف أمير من الولاة أصله من خراسان كان مقداماً فاتكاً فيه دهاء شجاعاً ، تولى ولاية مصر ٢٠٠هـ/٨١٦م ثم خلع بعد ستة أشهر ٢٠١هـ/٨١٧م ثم أعاده المأمون ، ناصر المأمون لما خلع الأمين ، انتقم من الأهالي بعد عودته بإغراقهم جميعاً ومعه أخوه وأقام على ولايته إلى أن توفي . للاستزاده انظر الكندي : الولاة والقضاة ، ١٦١ ؛ أحمد بن علي المقريزي : المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والأمصار ، ١٠/١٧٨ ـ ١٧٩ ، بيروت ، دار صادر ؛ الزركلي : الأعلام ، ٣/٨٢ .

٢ ـ جابر بن الأشعث بن يحيى بن التقي الطائي . انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢/١٤٨ .

٣ ـ الكندي : المصدر السابق ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ٢/١٥٠ .

٤ ـ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣٤ .

٥ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٥٧٧ ـ ٥٨٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٩٦ ـ ١٩٧ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٩٨ ـ ٦٠١ ، ٦١٠ ـ ٦١٣ ؛ الأزدي : المصدر السابق ، ٣٦٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٣١٥ ـ ٣١٦ .

لم يكتف المأمون بتولية المناصب العليا للفرس بل أنه أدخل عنصراً جديداً في جسم الخلافة وهو العنصر التركي الذي بدأ ظهوره بصورة واضحة بعد قدومه بغداد . [١]

ففي عصره دخل كثير من زعماء الأتراك في خدمة الخليفة وأصبح بلاطه يغص بزعمائهم . كما اشترك عدد من فرسان الأتراك في الحرس الخلافي في ٢٠٤هـ/٨٢٠م وجه المأمون قائداً تركياً يدعى أشناس على رأس جيش إلى حصن سندس ليأتيه برأس رئيس الحصن [٢] ، كما أمر قائداً آخر تركياً وهو الأفشين أن يتجه إلى مصر ٢١٦هـ/٨٣١م ليقيم بها [٣] . واستطاع الأفشين أن يظفر بالفرما [٤] ٢١٧هـ/٨٣٣م ؛ فقدم إليها المأمون في نفس العام [٥] ، وجعل له القيادة في محاربة عرب مصر وأقباطها فقتل الأفشين عدداً كبيراً منهم وسباهم بأمر المأمون . [٦]

هكذا كانت نتائج سلطة وسياسة الفضل بن سهل على المأمون جعلته يبعد العرب أحياناً عن مناصب القيادة وجعلها في الفرس أو الترك ؛ مما أدى إلى نشوب الفتن وظهور الشعوبية في الدولة ، وهو مالا تعرفه الدولة الإسلامية من قبل ، فأصبح الشعب في داخل الخلافة منقسماً إلى ثلاث فئات : عربٍ وفرسٍ وتركٍ ؛ فظهرت بينهم أحن وفتن .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٢/٨ ، ٤٦١ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٦٢٣/٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٢٠/٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٦٢٥/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٢٠/٥ .

٤ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٦٦/٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٦٢٧/٨ . ذكر أنها البيما ، ولعلها الفرما لأن البيما فتحت في عهد المعتضد وقيل قبيل ذلك . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٣٤/١ .

٥ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣١٩/٣ . ذكر أنه قدم ٢١٦هـ/٨٣١م ؛ عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول ، ٨٧ . ذكر أنه قدم ٢١٣هـ/٨٢٨م .

٦ ـ اليعقوبي : المصدر السابق ، ٤٦٦/٢ ؛ الكندي : الولاة والقضاة ، ١٩٢ .

المبحث الثالث

أثرهما في الوضع الداخلي

أ ـ الحالة الأمنية :

١ ـ ثورة الحسن الهرش ١٩٨هـ/٨١٤م

٢ ـ ثورة نصر بن شبث ١٩٨هـ/٨١٤م .

٣ ـ ثورة ابن طباطبا ١٩٩هـ/٨١٥م .

٤ ـ ثورة إبراهيم بن موسى ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٥ ـ ثورة الحسين بن الأفطس ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٦ ـ ثورة أهل الحربية ٢٠٠هـ/٨١٦م .

٧ ـ ولاية منصور بن المهدي ٢٠١هـ/٨١٦م .

٨ ـ بيعة إبراهيم بن المهدي ٢٠٢هـ/٨١٧م .

ب ـ الحالة الاقتصادية :

١ ـ أثر الفتنة على موارد الدولة ونفقاتها .

٢ ـ الزراعة .

٣ ـ الصناعة .

٤ ـ التجارة .

الحالة الأمنية

١ ـ ثورة الحسن الهرش [١] ١٩٨هـ/٨١٤م :

لقد كان من نتائج مقتل الأمين أن اضطرب حبل الأمن في الدولة العباسية ، وظهر الكثير من الثورات التي قادها عدد من الأدعياء ومن ذلك ثورة الحسن الهرش في ذي الحجة ١٩٨هـ/٨١٤م . يدعوا إلى الرضا من آل محمد ، فانضم إليه عدد من البسطاء والأعراب ، فسار حتى أتى النيل ، فجبى الأموال ، وأغار على التجار ، وانتهب القرى ، واستاق المواشي ، وعاث في الأرض فساداً [٢] ؛ فبعث إليه المأمون جيشاً بقيادة أزهر بن زهير بن المسيب ، فقضى عليه . [٣]

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه بالرغم من قصر عمر هذه الثورة إلا أنه كان لها أثر كبير « **إذ كانت مجالاً للاختفاء تحت أسماءٍ غامضةٍ والانطلاق من ورائها ، كما كانت مجالاً لادعاء نسب كاذب كي ينقاد له الناس وغالباً ما يكون نسباً لآل البيت** » . [٤]

---

١ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٣/٥ . ذكر أن اسمه « الهرشي » .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢٧/٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٠٢/٣ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٨/٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٤/١٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٣/٢ .

٤ ـ محمود شاكر : التاريخ الإسلامي « الدولة العباسية » ، ٢٠١/٥ ـ ٢٠٢ ، ط٢ ، بيروت ، دمشق ، المكتب الإسلامي : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢ ـ ثورة نصر بن شبث ١٩٨هـ/٨١٤م :

في ١٩٨هـ/٨١٤م ثار نصر بن شبث العقيلي وشق عصا الطاعة على المأمون تعصباً للأمين ؛ لأنه كان يمثل العنصر العربي ⟨١⟩ ؛ فتغلب على البلدان المجاورة ثم انتقل إلى الجانب الشرقي من الفرات ⟨٢⟩ ، واجتمع إليه نفر من الأعراب في الجزيرة ، فتوجه نحو حران ؛ فبعث إليه المأمون طاهر بن الحسين وجعل له ولاية الموصل والجزيرة والشام والمغرب ⟨٣⟩ . وقد دارت حروب بين طاهر ونصر انتهت بهزيمته وانتصار نصر ، فقويت شوكته . ⟨٤⟩

وفي ٢٠٥هـ/٨٢٠م قدم عبدالله بن طاهر من الرقة بعد أن استخلفه عليها أبوه وأمره بقتال نصر ، ثم توجه إليها مرة أخرى لمحاربته ٢٠٦هـ/٨٢٢هـ . بأمر من المأمون ⟨٥⟩ . واستمرت الحرب بينهما فترة طويلة دارت فيها مفاوضات بين المأمون ونصر حول الخلاف ، هزم عبدالله بن طاهر جيوش نصر وانتصر عليه ، وحاصره حتى ضيق عليه الحصار فطلب الأمان فكتب عبدالله للمأمون يعلمه بذلك ؛ فأجابه على ذلك . فاستسلم ٢٠٩هـ/٨٢٤م وبذلك انتهت ثورته . ⟨٦⟩

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢٧/٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩٠/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٢/٣ .

٢ ـ فازيليف : العرب والروم ، ٨٧ ، ترجمة : محمد عبدالهادي شعيرة ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي : ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م . ذكر أن نصر لم يكن وحده بل كان معه ثائر آخر اسمه عمرو وكان في سميط ونصر في كيسوم وسروج وأنما كانا يثيران الإرهاب على ضفتي الفرات ، وأن ثورة نصر وعمرو استمرت ١٤ عاماً ، بينما أوردت المصادر أنها بدأت ١٩٨هـ/٨١٤م وانتهت ٢٠٩هـ/٨٢٤م وبذلك تكون مدتها ١٢ عاماً .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٧/٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٦/٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣٠٢/٣ .

٤ ـ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٩١/٢٢ .

٥ ـ ابن طيفور : كتاب بغداد ، ٢٥ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٥٨٠/٨ .

٦ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ٧٧ ـ ٧٨ ؛ الطبرى : المصدر السابق ، ٥٩٨/٨ ـ ٦٠٠ ، ٦٠٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٢٠٧/٥ ـ ٢٠٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٦٣/١٠ .

٣ ـ ثورة ابن طباطبا [١] ١٩٩هـ/٨١٥م :

خرج محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا بالكوفة ١٩٩هـ/٨١٥م [٢] يدعو إلى الرضا من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في الحرب وتدبيرها وقيادة الجيوش ، أبا السرايا .

قيل إن سبب خروجه هو ما قيل عن هيمنة الفضل بن سهل على الخلافة وتصريف الأمور على هواه واستبداده بالرأي دون الخليفة . وإبعاد طاهر بن الحسين عن مسرح الأحداث ؛ فكان ذلك سبباً في أن هاجت الفتن في الأمصار ؛ فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا . [٣]

فلما بلغ الحسن بن سهل أمر الكوفة ، وما حدث فيها عنف عامله عليها وضعفه ، ووجه زهير بن المسيب [٤] في عشرة آلاف فارس وراجل ، فما أن بلغ ابن طباطبا خروجه حتى خرج فبلغ القنطرة وتقاتل مع زهير في صنعبا [٥] ؛ فهزموه واستباحوا عسكره ، وأخذوا ما كان معه من مالٍ وسلاحٍ ودوابٍ وغير ذلك ، ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة فأقام به . [٦]

---

١ ـ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان خطيباً وشاعراً . للاستزادة انظر الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٥١٨ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٣٣٧/١ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤٥/٢ . ذكر أنه خرج ١٩٨هـ/٨١٤م ؛ الصفدي : المصدر السابق ، ٣٣٧/١ . ذكر أنه خرج في ١٩٧هـ/٨١٣م .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢٨/٨ ـ ٥٢٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٣/٣ .

٤ ـ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ٣٨٧ . ذكر أن الذي وجه زهير بن المسيب هو طاهر بن الحسين ، والمصادر أجمعت على أن الحسن بن سهل هو الذي بعثه لأن طاهر بن الحسين ، كان قد خرج بأمر الحسن بن سهل بالتوجه لقتال نصر بن شبث .

٥ ـ صنعبا : صنعبي قرية بالسواد . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٠٨/٣ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٢٩/٨ ـ ٥٣٠ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٠/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٤/٥ ـ ١٧٥ .

فلما مات ابن طباطبا ١٩٩هـ/٨١٥م أقام أبو السرايا مكانه غلاماً صغيراً من العلويين هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ الأمور ، ويولي من رأى ، ويعزل من أحب ، وإليه الأمور كلها . ⟨١⟩

فلما وصل خبر هزيمة زهير بن المسيب وأصحابه إلى الحسن بن سهل تأثر من ذلك ، وعين عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروروذي مكانه وبعثه بجيش لمحاربة أبي السرايا ، فأصابهم ما أصاب زهيراً من الهزيمة في صفوفهم ، وانتشر الطالبيون في البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ونقش عليها : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ ⟨٢⟩ . ثم سار إلى قصر ابن هبيرة حيث تحصن زهير بن المسيب فنزله ، ثم سيطر على واسط والبصرة بعد أن قتل وأسر من أتباع الحسن بن سهل ⟨٣⟩ . عندئذ استعان الحسن بن سهل بهرثمة الذي امتنع عن ذلك وقال : « **نوطىء نحن الخلافة ، ونمهد لهم أكنافها ، ثم يستبدون بالأمور ، ويستأثرون بالتدبير علينا ، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور ، أرادوا أن يصلحوه بنا ، لا والله ، ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم . وقبيح أفعالهم** » ⟨٤⟩ . ثم ما لبث أن استجاب لطلبه بعد إلحاح ، وخرج معه علي بن أبي سعيد ، فلما بلغ أبا السرايا خبر خروجهما ، وجه جيشاً إلى

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٢٩/٨ ـ ٥٣٠ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٠/٦ ـ ٤٢١ ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٤٤ . ذكر أن الأمر كان بيد الغلام .

٢ ـ القرآن الكريم : الصف ، ٤/٦١ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٤٧/٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٠/٨ ؛ البلخي : البدء والتاريخ ، ١٠٩/٦ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٢١/٦ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٠/٨ ـ ٥٣١ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٢٥ ، ٣٣٥ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٢١/٦ ـ ٤٢٢ ؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٥٠٧/٢ .

٤ ـ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٥٣٥ .

المدائن ؛ فدخلوها ، ونزل نهر صرصر في شهر رمضان ؛ ثم عاد علي بن أبي سعيد واستعاد المدائن وواسط ، فلما علم بأمرها عاد إلى قصر ابن هبيرة فدارت بينهما معركة قتل فيها عدد كبير من أصحاب أبـي السرايا ، فلجأ أبو السرايا إلى الكوفة ؛ فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبيين على دور بني العباس ودور مواليهم واتباعهم ، فانتهبوها وخربوها وأخرجوهم منها ، واستخرجوا الودائع التى كانت لهم عند الناس فأخذوها [١] . ثم ولى على المدن التي يدخلها من العلويين ؛ فوجه إلى مكة والمدينة الحسين بن الحسن الأفطس [٢] ليأخذهما ، ويقيم الحج للناس ، ولكن مبعوثه رفض دخول مكة مترهباً منها ، فحج الناس ١٩٩هـ/٨١٥م دون إمام ؛ لفرار والي مكة ومندوب الخلافة تحرجاً من القتال في الأشهر الحرم ، ثم دخلها مبعوث أبي السرايا وطاف وسعى ووقف بعرفة حتى مضى موسم ١٩٩هـ/٨١٥م وانصرف الحاج إلى بلادهم ولم يستطع هرثمة أداء فريضة الحج . [٣]

وفي ١٦ محرم ٢٠٠هـ/٨١٥م هرب أبو السرايا ومن معه من الكوفة إلى واسط فدخل هرثمة الكوفة وأمن أهلها ، أما أبوالسرايا فأخذ يسير في المدن محاولاً الاستيلاء عليها إلى أن وصل السوس [٤] فأقام فيها إلى أن

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٣١/٨ ـ ٥٣٣ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٢/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٥/٥ ـ ١٧٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩٤/٢٢ ـ ١٩٥ .

٢ ـ الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال الطبري : المصدر السابق ، ٥٣١/٨ . هو الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٧ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣١/٨ ـ ٥٣٣ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٣٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٧٥/٥ ـ ١٧٦ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٩٤/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٥/٣ .

٤ ـ السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام . للاستزادة انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٨٠/٣ .

قدم عليه الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني فأخلى سبيلهم ورفض قتالهم ، ولكن أبا السرايا رفض أمر الباذغيسي فدارت بينهما معارك ، هزم فيها أبو السرايا وأتباعه وجرح جراحات شديدة ، وتفرق عنه أصحابه ولم يبق معه إلا القلة ، فهربوا إلى أن وصلوا جلولاء [١] ؛ فعثر عليهم أحد اتباع المأمون وسلمهم للحسن بن سهل فقتل أبا السرايا وعفا عن محمد بن محمد العلوي [٢] ٢٠٠هـ/٨١٥م .

---

١ ـ جلولاء : طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان . للاستزادة انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٥٦/٢ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٣٤/٨ ـ ٥٣٥ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٣/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٧/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٥/١٠ ؛ العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ١٠٢ . ذكر أنها انتهت الفتنة ٢٠١هـ/٨١٧م .

٤ ـ ثورة إبراهيم بن موسى [١] ٢٠٠هـ/٨١٦م :

استغل إبراهيم بن موسى ثورة أبي السرايا فخرج يريد الاستيلاء على اليمن ٢٠٠هـ/٨١٦م ، ولم يستطع واليها من قبل المأمون إسحاق بن موسى [٢] أن يقاومهم فلجأ إلى مكة ، ونزل بالمشاش [٣] ، ولم يتمكن من دخولها فتوجه إلى خراسان ؛ ولما حان موسم حج ٢٠٠هـ/٨١٦م وجه إبراهيم بن موسى أحد أبناء عقيل بن أبي طالب الذي يلقب بالعقيلي في جندٍ كثيفٍ إلى مكة ؛ إلا أنه عسكر خارجها في بستان ابن عامر [٤] عندما علم أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد قد تولى إمرة موسم ذلك العام ، وأن معه من الجند والقواد مالا لأحد قبل به ، فما كان من العقيلي إلا أن هاجم قافلة من الحجاج والتجار ونهب ما معهم من كسوة الكعبة وأموالهم ، فلما علم أبو إسحاق بأمره صير إليهم الجلودي [٥] . في مائة من خيرة أصحابه ؛ فأنزل بهم هزيمة ساحقة ؛ فهرب بعضهم وأسر أغلبهم واسترد ما أخذ من التجار ، ورجع من استطاع منهم الفرار إلى اليمن حتى هلك أغلبهم جوعاً وعرياً في الطريق . [٦]

---

١ ـ إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، يلقب بالجزار لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال . انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٣٥/٨ ـ ٥٣٦ .

٢ ـ إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . انظر المصدر السابق ، ٥٣٦/٨ .

٣ ـ المشاش : يتصل بجبال عرفات وجبال الطائف . وهو يجري بعرفات ويتصل بمكة . للاستزادة انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣١/٥ .

٤ ـ بستان ابن عامر هو ابن معمر : مجتمع النخلتين اليمانية والشامية ، وهما واديان ، ويذكر أن العامة أخطأت في التسمية ، ويقال أن ابن عامر غير ابن معمر ، فابن معمر ببطن النخلة ، أما ابن عامر فهو موضع آخر قريب من الجحفة نسبة إلى عبدالله بن عامر بن كريز . للاستزادة انظر : المصدر السابق ، ٤١٤/١ .

٥ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٥/٣ « الخلودي » .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٦/٨ ، ٥٤١ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٤/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٩/٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩٦/٢٢ ـ ١٩٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٦/١٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣٠٥/٣ .

٥ ـ ثورة الحسين بن الأفطس ٢٠٠هـ/٨١٦م :

لما دخل الحسين بن الحسن الأفطس [١] مبعوث أبي السرايا بمكة لأداء فريضة حج ١٩٩هـ/٨١٥م ، مكث فيها حتى غرة محرم ٢٠٠هـ/٨١٥م لتنفيذ ما خطط لهذه المهمة ؛ ومن ذلك أنه أمر بأن تجرد الكعبة من الثياب التي عليها فكساها بالكسوة التي وجهه بها أبو السرايا وهي ثوبان من قز [٢] رقيق [٣] ، مكتوب عليها : « **أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد ، لكسوة بيت الله الحرام ، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ، لتطهر من كسوتهم ، وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة** » . [٤]

بعد ذلك أمر الحسين أتباعه بسرقة خزائن الكعبة وتتبع ودائع بني العباس ؛ فعاثوا في مكة يهاجمون البيوت ويأخذون ما بها بحجة الودائع . كما تعرضوا للناس بالضرب والحبس والتعذيب ؛ مما أشاع الرعب في نفوسهم ؛ فهرب أكثر الناس فراراً بأنفسهم . كما عمدوا على اقتلاع الحديد الذي على شبابيك زمزم ، وأخذ الشبابيك الخشب وبيعها بثمن بخس كما عملوا على سرقة الذهب الموجود على رؤوس أساطين المسجد ، وتقسيم الكسوة بينهم وبيع الخشب والحديد . [٥]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٣١/٨ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٥/٥ ؛ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ٥٠٧/٢ . ذكر أن اسمه محمد بن علي بن حسين بن حسين بن علي بن علي بن أبي طالب .

٢ ـ قز : الثياب من الإبريسم ، معرب ويعمل منه الإبريسم . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣٩٥/٥ .

٣ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٦/٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩٧/٢٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٦/٣ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٦/٨ ؛ ابن مسكوية : تجارب الأمم ، ٤٢٥/٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٧/٢ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٦/٨ ـ ٥٣٧ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٢٥/٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٧٧/٥ .

وسرعان ما وصله خبر مقتل أبي السرايا وإخراج الطالبيين من الكوفة والبصرة وكور العراق المختلفة ، وسيطرة العباسيون عليها . كما شعر في الوقت نفسه بتغير الناس عليه وعلى أصحابه لسوء سيرتهم ؛ فما كان منه إلا أن التف هو وأصحابه حول محمد بن جعفر بن محمد الطالبي [١] ، وطلبوا منه أن يخرج للناس ليبايعوه بالخلافة ؛ لحسن سيرته فيهم ، وعلو مكانته ، فما زالوا يلحون عليه بالطلب حتى قبل طلبهم . في يوم الجمعة ٦ ربيع الآخر ٢٠٠هـ/٨١٥م ، فأقام على ذلك أشهراً ليس له من الأمر إلا اسمه ، بينما كان يتصرف ابنه علي والحسين الأفطس بالأمر ؛ فأساء السيرة وقاما بأعمال قبيحة [٢] .

وفي هذه الأثناء صادف قدوم والي اليمن من قبل المأمون إسحاق بن موسى العباسي إلى مكة فنزل قريباً منها ؛ فلما علم محمد بن جعفر بذلك دارت الحرب بينهما ؛ مما أدى إلى هزيمة الطالبي ، ومقتل عدد كبير وجرح آخرين من اتباعه فطلبوا الأمان ، وأجيبوا إلى طلبهم ، وأجلوا ثلاثة أيام حتى يخرجوا عن مكة ، وتم خروجهم في اليوم الثالث . ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة خالعاً نفسه وخطب في الناس يخبرهم بأمر بيعته للمأمون وخلعه لنفسه [٣] . فلما انتهى أخذ إلى العراق وسلم للحسن بن سهل ، فبعثه للمأمون ٢٠١هـ/٨١٧م وتوفي بخراسان . أما الحسين بن الحسن الأفطس فقد ذكر أنه هرب في ١٦ محرم ٢٠٠هـ/٨١٥م . [٤]

---

١ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب . كان شيخاً وادعاً محبباً في الناس ، مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، كان يروي العلم عن أبيه جعفر بن محمد ، وكان الناس يكتبون عنه ، وكان زاهداً سمتاً . للاستزادة انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٣٧/٨ ؛ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ٥٣٧ .

٢ ـ للاستزادة عن أعمالهما انظر الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٧/٨ ـ ٥٣٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٦/٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٩٨/٢٢ .

٣ ـ انظر نص الخطبة الطبري : المصدر السابق ، ٥٤٠/٨ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٣٧/٨ ـ ٥٤٠ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ٥٤١ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٢٥/٦ ـ ٤٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٨/٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ١٩٧/٢٢ ـ ١٩٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٥/١٠ .

٦ ـ ثورة أهل الحربية ٢٠٠هـ/٨١٦م :

لما وصلت أنباء مقتل هرثمة بخراسان ، وما آل إليه أمره ، بعث الحسن ابن سهل إلى واليه على بغداد علي بن هشام ، يأمره بأن يماطل الجند من الحربية والبغداديين في أرزاقهم التي وعدهم من قبل بأن يعطيهم إياها ، كما أمره أن يمنيهم ولا يعطيهم ⟨١⟩ . وقد كان هؤلاء لا يقرون نيابة الحسن على بغداد ؛ مما دفعهم إلى طرد عماله ، وأعلنوا إسحاق بن موسى بن المهدي نائباً للخليفة في بغداد ؛ فدس الحسن إليهم ، وكاتب قوادهم حتى وثبوا من جانب عسكر المهدي ، فجعل الحسن يعطي الجند أرزاقهم لستة أشهر ؛ فأخذ أهل الحربية إسحاق إليهم ، وأنزلوه دجيل . ⟨٢⟩

فلما علم الحسن بذلك ، بعث بقائديه : زهير بن المسيب وعلي بن هشام ، كلاً منهما على رأس قوة مستقلة ؛ فلما علم أهل الحربية أن أهل الكرخ ⟨٣⟩ سوف يدخلون جيوش الحسن . أحرقوا تلك الناحية . ⟨٤⟩

وفي صبيحة الحريق ، دخل علي بن هشام بغداد ، فقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة العتيقة والجديدة ⟨٥⟩ ، والأرحاء ⟨٦⟩ ، ووعدهم أن يعطيهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة ، وصرف لهم خمسين درهماً ؛

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٣/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٢٩/٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٠/٢٢ .

٢ ـ دُجيل : اسم نهر في موضعين أحدهما مخرجه أعلى بغداد ، والآخر من عكبرا والحظيرة وصريفين . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٤٣/٢ .

٣ ـ الكرخ : كانت تقع في وسط بغداد ، والآن مفردة وحدها . للاستزادة : المصدر السابق ، ٤٤٨/٤ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٤٣/٨ ـ ٥٤٤ ؛ النويري : المصدر السابق ، ٢٠٠/٢٢ .

٥ ـ قنطرة الصراة العتيقة والجديدة : قنطرتين يمر بهما نهر الصراة ضمن مجموعة من القناطر يمر بها ، ولم يبق من تلك القناطر سوى هاتين القنطرتين . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣٩٩/٣ .

٦ ـ الأرحاء : قرية قرب واسط العراق . للاستزادة انظر المصدر السابق ، ١٤٤/١ .

حتى ينفقوها . وفي أثناء ذلك خرج في ناحية الأنبار زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب الملقب (بزيد النار) [١] ومعه أخو أبي السرايا في ذي القعدة ٢٠٠هـ/٨١٥م فبعث إليه أهل الحربية ، فأخذوه وأتى به إلى علي بن هشام ، ولكنه هرب لعدم وفائه بوعوده . كما وقع خلاف بين زهير ومحمد بن أبي خالد أدى إلى انضمام محمد إلى الحربية ومحاربته له . [٢]

---

١ ـ هو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب . يقال له زيد النار وسمي بذلك لكثرة ما حرق من البصرة من دور بني العباس واتباعهم . أخذ أسيراً ، وقيل آمنه علي ابن أبي سعيد بطلب منه . للاستزادة انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٣٥/٨ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٥٤٤/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٠/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٧٩/٥ ـ ١٨٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٧/٣ .

٧ـ ولاية منصور بن المهدي [١] ٢٠١هـ/٨١٦م :

قدم عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة على أبيه ٢٠١هـ/٨١٦م ؛ فاجتمع رأيه مع رأي أبيه على قتال الحسن بن سهل ، وتقدم حتى وصل إلى قرية أبي قريش [٢] ، فواجها مقاومة وهما في طريقهما إليها من قبل أنصار الحسن بن سهل ؛ فتمكنا من القضاء عليها ، وأسر زهير بن المسيب أحد عمال الحسن وأخذ أمواله ، ثم بعثه إلى بغداد ليحبس [٣] . فلما علم الحسن رحل إلى واسط ثم انتقل إلى أطرافها ، فسار إليه محمد بن أبي خالد وابنه هارون وعسكر على مقربة من واسط فدارت بينهما حروب شديدة هزم فيها أصحاب محمد بن أبي خالد ، وثبت محمد بن أبي خالد حتى أصيب بجراح شديدة في جسده ، ثم سار حتى بلغ فم الصلح [٤] ، فخرج عليهم أصحاب الحسن بن سهل ، فاقتتلوا ، ثم ارتحل مع أصحابه حتى نزلوا المبارك [٥] ، فأقاموا بها ، فلما أصبحوا ، قدم عليهم أصحاب الحسن بن سهل فقاتلوهم ، حتى جنى الليل فارتحلوا حتى أتوا جبل [٦] ، فأقاموا بها . ثم وجه أبناءه إلى

---

١ ـ منصور بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور : أمير عباسي ، أخو الرشيد وعم الأمين والمأمون ، كان فاضلاً في أخلاقه وسيرته توفي ٢٣٦هـ/٨٥٠م . انظر الزركلي : الأعلام ، ٣٠٣/٧ .

٢ ـ أبو قريش : قرية مشهورة قرب واسط في طريق المصعد . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٣٧/٤ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٧/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨١/٥ .

٤ ـ فم الصلح : نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٢٧٦/٤ .

٥ ـ المبارك : اسم نهر بالبصرة ، وقيل : نهر وقرية فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ . للاستزادة انظر : المصدر السابق ، ٥٠/٥ .

٦ ـ جبل : بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي . للاستزادة انظر المصدر السابق ، ١٠٣/٢ .

النيل [١] وعرنايا ، وأقام هو بجر جرايا [٢] ، فلما اشتدت به الجراح خلف قواده في عسكره ، وسار به ابنه أبوزنبيل إلى بغداد ، فدخلوها ليلة الاثنين ٦ ربيع الآخر ٢٠١هـ/٨١٦م ، ومات في ليلة دخوله بغداد ، ودفن من ليلته في داره سراً . [٣]

ثم أتى ابنه أبو زنبيل خزيمة بن خازم يوم الاثنين ٨ ربيع الآخر ٢٠١هـ/٨١٦م [٤] فأعلمه بأمر أبيه ، فبعث خزيمة إلى بني هاشم والقواد وأعلمهم بنبأ وفاة محمد بن أبي خالد ، وقرأ عليهم كتاب ابنه عيسى ؛ ليخبرهم فيه بما يبذله في حربه ، ليقوم مكان أبيه ، فأخذ بنو هاشم والقواد يتشاورون في أمر خلع المأمون ، واختيار خليفة منهم ليبايعوه . ثم أخذ أبو زنبيل زهير ابن المسيب من حبسه وضرب عنقه وبعث به إلى أخيه عيسى فطيف به في المعسكر ثم رمي في دجلة في نفس اليوم ، ثم وجهه أخوه إلى فم الصراة [٥] ليقيم بها . [٦]

---

١ ـ النيل : بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد . وقيل هو نهر من أنهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نيل الرقة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/٣٣٤ .

٢ ـ جرجرايا : بلد من أعمال النهر وان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي . للاستزادة انظر : المصدر السابق ، ٢/١٢٣ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٥٤٧ ـ ٥٤٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٦/٤٣١ ـ ٤٣٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/٢٠١ ـ ٢٠٢ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٤٨ . ذكر أن أبا زنبيل أتى خزيمة يوم الاثنين ٨ ربيع الآخر ٢٠١هـ/٨١٦م بينما ذكر سابقاً أن محمد بن أبي خالد قدم ليلة الاثنين ٦ ربيع الآخر ، فكيف يكون يوم الاثنين ٨ ربيع الآخر ، وكانت وفاته ليلة الاثنين ٦ ربيع الآخر ! ، يجب أن يكون قدوم أبوزنبيل على خزيمة يوم الاثنين ٧ ربيع الآخر وليس ٨ ربيع الآخر ، وربما أخطأ في ذكر التاريخ . لأنه عاد وذكر أن يوم الأثنين يوافق ٧ ربيع الآخر .

٥ ـ فم الصراة : تقع أسفل نهر الصراة . للاستزادة ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ٣/٣٩٩ .

٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٤٨ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٦/٤٣١ ـ ٤٣٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ٢٢/٢٠٢ .

فلما بلغ الحسن بن سهل وفاة محمد بن أبي خالد خرج من واسط إلى المبارك فأقام بها ثم وجه جيشاً التقى بأبي زنبيل بفم الصراة فهزموه ، فانحاز إلى أخيه هارون بالنيل فلحقوه ، ودارت معركة بالنيل هزم فيها هارون وأصحابه ، ثم هربوا فدخلتها جيوش الحسن فنهبوها ونهبوا القرى التي حولها .[١]

ما أن بلغ بني العباس والقواد أمر هزيمة هارون وأبي زنبيل ، جدوا في أمر البيعة ، فاختاروا عيسى بن محمد بن أبي خالد لأن عيسى بن محمد اجتمع إليه أهل بغداد ، وساعدوه على حرب الحسن بن سهل .

رأى الحسن أنه لا طاقة له بعيسى ، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب ، ليبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد ، وولاية أي النواحي أحب هو . فطلب عيسى كتاباً من المأمون بخطه بهذا الاتفاق ، فرد عليه الحسن بالإجابة مع وهب بن سعيد ، ولكن وهب غرق بين المبارك وجبل ، فكتب عيسى إلى أهل بغداد بانشغاله بالحرب عن جباية الخراج ، فولوا رجلاً من بني هاشم ؛ فاختاروا منصور بن المهدي ، وكان معسكراً بكلواذي[٢] ، فأبى منصور الخلافة نيابة عن المأمون ، حتى وافق بعد إلحاح أن يكون نائباً عن المأمون ببغداد والعراق[٣] حتى يقدم بنفسه

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٨/٨ ـ ٥٤٦ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٢/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨٢/٥ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٠/٢ . ذكر أن أهل الحربية بايعوا إبراهيم بن المهدي ٢٠٢هـ/٨١٧م بعد مقتل عيسى بن محمد . ذكر أن إبراهيم بن المهدي كان معسكراً بكلواذي بعد البيعة ، والمصادر الأخرى ذكرت أن المعسكر بكلواذي هو منصور بن المهدي .

٣ ـ اليافعي : مرآة الجنان ، ١١/٢ . ذكر أن سبب بيعة منصور بن المهدي هو بيعة المأمون لعلي الرضا ولاية العهد من بعده وأنهم بايعوا منصور بن المهدي بالخلافة ولقبوه المرتضى وخلعوا المأمون ؛ فلما ضعف أمره ، قال : إنما هو خليفة للمأمون فتركوه وعدلوا عنه إلى أخيه إبراهيم بن المهدي ، والراجح أن منصور لم يرض بالبيعة إلا أن يكون نائباً عن المأمون بالعراق ، ولم يبايع كخليفة ، وهو ما اتفقت عليه المصادر .

أو يولـي من أحب ، وقام بالأمر خزيمة بن خازم ، فوافق عليه القواد والناس ، وأصروا على طرد الحسن إلى خراسان ، ودارت معارك بين جيوش الحسن بن سهل وجيوش منصور هزم فيها أصحاب المنصور وسلبوا ونهبوا وقتل عدد كبير منهم . ‹١›

ثم أحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد ما كان في عسكره ، فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل ، فأعطى الفارس أربعين درهماً ، والراجل عشرين درهماً . ‹٢›

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٤٩/٨ ـ ٥٥٠ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٢/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨٢/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣٠٨/٣ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٥٠/٨ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٣٣/٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٨٢/٥ .

٨ ـ بيعة إبراهيم بن المهدي ٢٠٢هـ/٨١٧م :

لما وصل كتاب المأمون إلى بغداد ليخبرهم بأمر البيعة لعلي الرضا ؛ انقسم أهل بغداد إلي قسمين : قسم وافق على البيعة وخلع السواد ولبس الخضرة ، والقسم الآخر ، رفض البيعة وخلع السواد وارتداء الخضرة وإخراج الخلافة من ولد العباس ، واعتبروا ذلك دسيساً من الفضل بن سهل ، كما غضب بنو العباس فاجتمعوا وتشاوروا في أمر خلع المأمون ، وتولية أحدهم الخلافة ، وتزعم الأمر إبراهيم ومنصور ابنا المهدي [١] . وتم مبايعة إبراهيم بن المهدي وبعده إسحاق بن موسى المهدي وخلع المأمون في أول محرم ٢٠٢هـ/٨١٧م ولقبوه بالمبارك وقيل بالمرضي . [٢]

ولما فرغ إبراهيم من البيعة وعد الجند أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر فدافعهم بها ، فلما رأوا ذلك شغبوا عليه ، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل وكتب لبعضهم إلى السواد [٣] بقيمة ما لهم حنطة وشعيراً ، فخرجوا لقبضها ؛ فكانوا لا يمرون بقرية إلا انتهبوها [٤] . ثم ثار عليه بعض القادة

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٥٥٤ ـ ٥٥٥ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٤٢ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٦/٤٣٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٣١٠ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢/٤٥٠ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٥٥ ، ٥٥٧ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٣١٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤/٢٨ . ذكر أنه بويع في ٢٥ محرم ٢٠٣هـ/٨١٩م ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٦/٤٣٧ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ٦/١٤٢ ؛ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ٩٨ ؛ أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢/٢٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٢/٢٠٣ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢/٢١٢ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ٢/٢١٢ . ذكر أنه بويع ٥ محرم ٢٠٣هـ/٨١٨م والراجح أنه بويع ٢٠٢هـ/٨١٧م لأن المأمون خرج يريد بغداد ٢٠٢هـ/٨١٧م بعد أن علم بأمر الفتنة .

٣ ـ السواد : رستاق العراق وضياعها . سمي بذلك لسواده بالزروع والأشجار والنخيل . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣/٢٧٢م .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٥٥٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، ٢٢/٢٠٤ .

أمثال مهدي بن علوان الحروري ‹١› وأسد الحربي ، استطاع أن يهزمهما ويقضي على ثوراتهما . ‹٢›

كما دارت حروب بين إبراهيم بن المهدي وأنصاره وبين جيوش الحسن ابن سهل ، انتهت بهزيمة أنصار إبراهيم بن المهدي ‹٣› . ثم بدأ يوجه أنظاره مرة أخرى نحو سهل بن سلامة المطوعي ‹٤› ، كان سهل مقيماً ببغداد يدعوا إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد . واستطاعت جيوش إبراهيم بقيادة عيسى بن محمد بن أبي خالد من الوصول إليه بتوزيع الأموال على أهل الدروب حتى يسمحوا لهم بالمرور للقبض على سهل وتمكنت من ذلك ، وعرض على إسحاق وإبراهيم وطلب منه أن يخبر الناس ببطلان دعوته ، فلما رفض ضرب وحبس وأشيع في العامة أن عيسى قد قتله حتى لا تبحث العامة عنه وتعلم بمكانه ، فظل في حبسه اثنا عشر شهراً . ‹٥›

---

١ ـ مهدى بن علوان الحروري ، ثار ببزر جسابور ٢٠٢هـ/٨١٧م وقيل ٢٠٣هـ/٨١٨م ، وجه إليه إبراهيم ابن المهدي أبا إسحاق بن الرشيد وجماعة من القواد ، هزم فيها مهدي إلى حولايا . للاستزادة انظر الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٥٨/٨ .

٢ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥١/٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٥٥٨/٨ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٥٥٨/٨ ـ ٥٦٢ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٨/٦ ـ ٤٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨٩/٥ ـ ١٩١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٤/٢٢ ـ ٢٠٦

٤ ـ سهل بن سلامة الأنصاري يكنى بأبي حاتم من أهل خراسان ، ثار ٢٠١هـ/٨١٦م مع خالد الدريوش يتزعما المطوعة للنكير على الفساق ببغداد ، لما حدث ببغداد على أيدي فساق الحربية والشطار من إيذاء للناس ، فدعا إلى العمل بالكتاب والسنة النبوية الشريفة ، فاجتمع حوله عامة أهل بغداد ، فأوكل إبراهيم القادة للقبض عليه ، وتمكنوا من القبض عليه وتسليمه لإبراهيم بن المهدي وحبسه لديه، ونشروا خبر مقتله في العامة ، تخوفاً من إثارة العامة عليهم . وكانت مدة ثورته اثنا عشر شهراً . للاستزادة انظر الطبري : المصدر السابق ، ٥٥١/٨ ـ ٥٥٤ ، ٥٦٢ ـ ٥٦٤ .

٥ ـ المصدر السابق ، ٥٦٢/٨ ـ ٥٦٣ ؛ ابن مسكويه : المصدر السابق ، ٤٤٠/٦ ـ ٤٤١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ١٩١/٥ .

كما خرج على إبراهيم وهو المطلب بن عبدالله بن مالك بن عبدالله (١)، وانضم إليه منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم فخلعوه ودعوا للمأمون سراً ، فلما علم بأمرهم إبراهيم بعث ٢٠٣هـ/٨١٨م من يقاتلهم ويأتي بهم ولكنه لم يتمكن من القبض على مالك وقبض على منصور وخزيمة ، ثم ندم إبراهيم على فعله . (٢)

وفي ٢٠٣هـ/٨١٨م بلغ إبراهيم أمر تواطؤ عيسى بن محمد بن أبي خالد مع حميد والحسن بن سهل ، فلما تحقق له ذلك تمكن من مواجهته ، فأخذ يعاتبه وعيسى يعتذر إليه ، إلى أن أقر ؛ عندئذٍ أمر إبراهيم بحبسه وضربه وحبس قواده وأهله وأطفاله ، كما طلب خليفته العباس ولكنه اختفى . فلما علم بذلك أهله والناس ، اجتمعوا وطردوا عمال إبراهيم على الجسر والكرخ وغيرها وقعدوا على المسالح مما أدى إلى ظهور الفساق والشطار ؛ فكتب العباس إلى حميد يسأله القدوم ليسلموا له بغداد على أن يعطي الجند فوافق ، فلما علم إبراهيم بالأمر أطلق سراح عيسى وأهله ليكفيه شرهم فرفض ، ثم انضم إلى جند حميد بحيلة أنه أسير ، كما قبض إبراهيم على المطلب ثم أخلى سبيله ، وأخلى سراح سهل عندما علم بأمر دخول حميد بغداد ، ثم ما لبث أن اختفى .

وما أن علم إبراهيم بأمر انضمام أصحابه لحميد حتى أخرج جيشاً للقتال ، فدارت بينهما معركة انتهت بهزيمة إبراهيم ، عندئذٍ اختفى الفضل بن

---

١ ـ المطلب بن عبدالله بن مالك بن عبدالله الخزاعي ، والي مصر في عهد المأمون ١٩٨هـ/٨١٣م ، كانت فترة ولايته فترة انقسام سياسي ، حزب للأمين وحزب للمأمون ، ثم عزل بعد سبعة أشهر ونصف ، أعيد مرة أخرى بعد ولاية العباس بن موسى ١٩٩هـ/٨١٤م . أقره المأمون ٢٠٠هـ/٨١٥م لحسن سياسته ، ثم هرب إلى مكة لعدم نجاحه في القضاء على الفتنة . انظر الكندي : الولاة والقضاة ، ١٥٢ ـ ١٦١ ؛ المقريزي : خطط المقريزي ، ١٧٢/١ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢٥٢/٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٦/٨ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ٢١٢/٢ .

الربيع وانضم إلى حميد ، فلما رأى إبراهيم انضمام القواد وبني هاشم إلى عسكر حميد وتآمر القواد عليه بالسيطرة على المدينة وبأخذه وتسليمه لعلي ابن هشام ، أخذ يداريهم حتى جاء الليل فاختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ٢٠٣هـ/٨١٩م وظل مختفياً إلى أن قدم المأمون بغداد .[١]

فلما قدم المأمون بعث إلى شكلة أم إبراهيم بن المهدي يسألها عنه ، ويهددها ويتوعدها إن لم تخبره عن مكانه ، فبعثت إليه قائلةً له : « **يا أمير المؤمنين ؛ أنا أم من أمهاتك فإن كان ابني عصى الله جل وعز فيك ، فلا تعص الله في** »[٢] ؛ فرق لها ، وأمسك عنها فلم يطالبها بعد ذلك إلى أن ظهر في ٢١٠هـ/٨٢٥م ، فقبض عليه الحارس بعد أن شك فيه مع إمرأتين متنقباً في زي إمرأة[٣] ، فلما عرف أمره سلم للمأمون وحبس إلى أن شفع فيه الحسن ابن سهل وقيل بوران بنت الحسن وقيل إنه « **لما استقرت للمأمون الخلافة دعا إبراهيم فقال له : يا إبراهيم أنت المتوثب علينا تدعي الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين أنت ولي الثأر ، والمحكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي ـ وهو جدك ـ وأتي برجل وكان جرمه أعظم من جرمي فأمر بقتله ، وعنده المبارك بن فضالة فقال المبارك : إن رأى أمير**

---

١ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٤/٢ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٦٩/٨ ـ ٥٧٢ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٣ . ذكر أنه اختفى ١١ ذي الحجة عام ٢٠٣هـ/٨١٩م ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٤٥/٦ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٤٣/٦ ؛ علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ابن عساكر) : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٢٧٤/٢ ـ ٢٧٥ ؛ تهذيب : عبدالقادر بدران ، ط٢ ، بيروت ، دار المسيرة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٤/٥ ـ ١٩٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢٠٦/٢٢ ـ ٢٠٨ ؛ غريغورس : تاريخ مختصر الدول ، ٢٣٣ .

٢ ـ ابن طيفور : كتاب بغداد ، ١٠١ .

٣ ـ المصدر السابق ، ١٠١ ؛ الشامي : الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، ١٤٩ . ذكر أن إبراهيم كان متنكراً مع ابن عائشة بهدف قتل المأمون ، ولكن المأمون قبض عليهما ، فقتل ابن عائشة وعفا عن إبراهيم بعد استعطافه بكلام طويل جعله يرق له .

المؤمنين أن يتأنى في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن . قال : إيه يا مبارك . فقال : حدثنا الحسن بن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : ألا ليقوم العافون من الخلفاء ، إلى أكرم الجزاء ، فلا يقوم إلا من عفا . فقال الخليفة : أيها يا مبارك قد قبلت الحديث بقبوله ، وعفوت عنك ، ها هنا يا عم ، ها هنا ياعم » [١] . فعفا عنه المأمون .

وقيل إنه لما واجهه قال له : أنه استشار خاصته في أمره فأشاروا عليه بقتله ، وأنه أبى إلا العفو عنه ، فأجابه إبراهيم بأنهم لم يشيروا إلا بما يروا فيه صالح الدولة وأنه إن قتل كان كأمثاله ، وإن عفا انفرد بالأمر عن غيره ، وكان عليه حق عظيم لعظم جرمه فيه ، فأخبره المأمون بحبه للعفو وخوفه من أن لا يؤجر عليه ، وأنه لو علم الناس بالأمر لأكثروا الذنوب ، وأنه سوف يعفو عنه لصلة القرابة ولحسن صلته وحسن كلامه ثم أمر برد ضياعه وأمواله إليه ، فقال فيه إبراهيم قصيدةٌ طويلةٌ [٢] قيل إن المأمون لما سمعها خلع عليه وأمر له بخمسة آلاف دينار . [٣]

أما سهل بن سلامة فقد اختفى مرة ثم ظهر فرده حميد إلى أهله وقربه وأدناه ، وما زال على ذلك حتى قدم المأمون فأجازه ووصله ، وأمره أن يجلس في منزله .

وبذلك كانت أيام إبراهيم بن المهدي سنة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً منذ ظهوره إلى اختفائه . [٤]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٦٠٤/٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ١٥٥/٤ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٤٥/٦ ؛ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ، ٢٦٦/٢ .

٢ ـ ابن طيفور : كتاب بغداد ، ١٠٢ ـ ١٠٤ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٦٠٤/٨ ـ ٦٠٦ .

٣ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ١٠٤ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤٥٨/٢ ـ ٤٥٩ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ٦٠٦/٨ ؛ القيرواني : زهر الآداب ، ٦٠٨/٢ ـ ٦٠٩ ؛ ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ١٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٢١٧/٢٢ ـ ٢١٩ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٧٣/٨ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ٣٠٣ ؛ التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ، ٧٤ ؛ ابن عساكر : المصدر السابق ، ٢٧٥/٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٥/٥ .

الحالة الاقتصادية

١ ـ أثر الفتنة على موارد الدولة ونفقاتها :

كانت الدولة العباسية في بداية عصرها الأول في أوج عزها وقوتها وعنفوانها ، وكان دخلها يتزايد عهداً بعد عهداً . فلقد ذكر أن قيمة ما خلفه أبوجعفر المنصور بعد وفاته بلغ ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار [١] . وبلغ قدر ما خلفه الرشيد بعد وفاته تسعمائة ألف ألف ونيف . [٢]

فلما جاء عهد الأمين وحدثت الفتنة التي اشتعلت نيرانها في جميع نواحي الدولة ، وكانت لها جوانبها السلبية عليها ، فكان لها أثرها الاقتصادي على الدولة . فقل خراجها بسبب الانشغال بالفتن والثورات وترك الفلاحين مزارعهم [٣] . وفي الوقت نفسه بدأت الدولة تصرف أموالها على الجند وعلى الحرب الأهلية التي نشبت بين الأخوين ، فبعد أن تولى الأمين الخلافة ١٩٣هـ/٨٠٨م أمر للجند بمدينة السلام أن يصرف لهم رزق أربعة وعشرين شهراً ولخواص من كانت له خاصة بهذه الشهور . [٤]

---

١ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٣١٨/٣ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٦٤/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٠/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٢/١٠ . ذكر أنه خلف مائة ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألف دينار ، وفي بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيف سوى الجواهر والأثاث والأمتعة والضياع والدور ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٧٥ . ذكر أنه خلف مائة مليون دينار ، ومن الأثاث والجواهر والدواب والورق ما قيمته مائة ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار .

٣ ـ محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ٤٢٧ ، ط٤ ، القاهرة ، دار الأنصار : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٣٦٥/٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ٢٢٣/١٠ .

كما أمر المأمون ـ بعد علمه بخبر وفاة الرشيد ـ أن يصرف للناس مال ، وأعطى الجند رزق اثنى عشر شهراً ، وأمر في السنة نفسها بإشارة الفضل بن سهل أن يخفض خراج خراسان بمقدار الربع . [١]

وفي نفس السنة أحضر الأمين جميع خزائن وأموال الرشيد بالرقة [٢]، وفي ١٩٥هـ/٨١٠م عندما عقد الأمين لعلي بن عيسى قيادة الجيوش في حربه ضد المأمون أمر له بمائتي ألف دينار ، ولولده بخمسين ألف دينار ، وأعطى الجند مالاً عظيماً ، وأمر له من السيوف المحلاة بألفي سيف وستة آلاف ثوب للخلع ، ودفع إليه دفاتر الجند ، وأن يدفع من أراد إلى الثمانين . [٣]

كما صرف الفضل بن الربيع على أهل خراسان ثلاثة آلاف ألف درهم عند خروج علي بن عيسى ، وقال لهم أنه هدية من الأمير موسى من صلب ماله دفعه لهم . ثم وجه مع عبدالرحمن بن جبلة ـ حينما أمره بالانضمام إلى جيش علي بن عيسى ـ مبلغاً وقدره ألفا ألف درهم حملت إليه قبل أن يعقد له على الدينور كما وجد سبعمائة كيس مع جيش علي بن عيسى ، في كل كيس ألف درهم [٤] . وسلم المأمون الضريبة لملك إبرازبنده عملاً بمشورة الفضل بن سهل [٥] . وأمر الأمين قائده علي بن عيسى أن يخفض عن أهل خراسان ربع الخراج . وأنفق علي بن عيسى أموالاً لملوك الديلم وجبال طبرستان وما والاها من الملوك ، ويعدهم الصلات والجوائز ، وأهدى إليهم التيجان والأسورة والسيوف المحلاة بالذهب ، حتى يقطعوا المدد عن طاهر بن الحسين

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٧٠ ـ ٢٧٢ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٨/٢٧٣ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٨/٣٩٠ ، ٤٠٥ .

٤ ـ المصدر السابق ، ٨/٣٩٠ ـ ٣٩٤ ؛ الريس : الخراج والنظم المالية ، ٤٣٨ . ذكر أن المال هدية باسم الأمين .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٤٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٠ .

من طريق خراسان . فلما انتهت المعركة بين طاهر بن الحسين وعلي ابن عيسى بمقتل علي ، طالب الجند بالأرزاق والجوائز وثاروا على الأمين ، فصرف لهم رزق أربعة أشهر ، ودفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين ، وأمر للقواد والخواص ، بالصلات والجوائز . ⟨١⟩

كما كان لهذه الوقعة دورها على جيوش المأمون ، فقد كافأ المأمون جيوشه برفع من كان معه دون الثمانين إلى الثمانين ، وكافأ الفضل بن سهل بجعل عمالته ثلاثة ألف ألف درهم ، وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج . ⟨٢⟩

وفي ١٩٥هـ/٨١٠م وجه الأمين جيشاً بقيادة عبدالرحمن بن جبلة ، في عشرين ألف رجل من الأبناء ، وحمل معه الأموال ، وقواه بالسلاح والخيل وأجازه بجوائز . ⟨٣⟩

كما كتب المأمون في ١٩٦هـ/٨١١م لداود بن عيسى وابنه سليمان عهداً على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والجباية ، وولاية عك ⟨٤⟩ ، وكتب له إلى الري بمعونة خمسمائة ألف درهم . ⟨٥⟩

وفرق الأمين فيمن صار إليه من أصحاب طاهر مالاً عظيماً ، وقود رجالاً وأثبت أسماءهم في الثمانين ، وغلف لحاهم بالغالية فسموا بالغالية ، بلغ عددهم خمسة آلاف رجل من أهل خراسان ومن التف إليهم . ولما هزم جيش الأمين وفر الجند ، انتهب أصحاب طاهر ما كان في عسكر الأمين من

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٠٦/٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٤١٥/٨ ، ٤٢٤ .

٣ ـ المصدر السابق ، ٤١٢/٨ .

٤ ـ عك :اسم قبيلة ، وعكة : اسم بلد على ساحل بحر الشأم من عمل الأردن . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١٤٣/٤ .

٥ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٠/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٥/٥ .

سلاح ومال . فلما بلغ الأمين أمر بالعطاء فوضع ، وأخرج خزائنه وذخائره ، وفرق الصلات وجمع أهل الأرباض ، وخلع على كل من يراه وسيماً وقوده وغلف لحى كل القواد بالغالية ، وفرق في قواده المحدثين لكل رجل منهم خمسمائة درهم وقارورة غالية . وكان في مقابل ذلك في جيش طاهر ، فقد بدأ يبذل الأموال للجند وألحقهم جميعاً بالثمانين في الأرزاق ، وأضعف للقواد وأبناء القواد الخواص ، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال . [١]

وما كادت تأتي ١٩٧هـ/٨١٢م حتى فرغت خزائن الدولة إلى أقصى حدٍ ، فقد بلغ بالأمين أنه فرق كل ما في يده من الأموال ، فضاق ذرعاً ، « **فأمر ببيع كل ما فى الخزائن من الأمتعة ، وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم ، وحملها إليه لأصحابه وفي نفقاته** » [٢] . كما أمر للرسول الذي حمل رأس الأمين للمأمون بألف ألف درهم . [٣]

ولقد بلغت الفاقة بمحمد الأمين أن أفرغ ما في الخزائن من ذهب وأموال وجواهر ومتاع . بعد أن كانا ينفقان ببذخٍ واسرافٍ على الحرب الأهلية وعلى أنفسهما وعلى نفقاتهما الخاصة . فقد روى أن الأمين لما ملك ، طلب الخصيان وابتاعهم ، وغالى بهم وصيرهم لخلوته ، كما وجه إلى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم إليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، وابتاع أفره الدواب ، وأخذ الوحوش والسباع والطير ، وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية ، وبستان موسى وقصر عبدويه ، وقصر المعلى ، ورقة كلواذي ، وباب الأنبار وبناوري

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٤٢/٨ ـ ٤٤٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤٠٩/٣ .
٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٦/٨ .
٣ ـ المصدر السابق ، ٤٨٨/٨ .

والهوب ، وأمر بعمل خمس حراقات [١] في دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، أنفق في عملها أموالاً عظيمة ، كما ابتنى سفينة بلغ قيمة ما أنفقه عليها ثلاثة آلاف ألف درهم ، وابتنى سفينة أخرى على هيئة الدلفين . [٢]

أما المأمون فقد ذكر أنه بلغت نفقاته في اليوم الواحد ستة آلاف دينار ، أي بما يعادل (٢,١٦٠,٠٠٠) دينار في السنة ، وهو يعادل خراج بعض المقاطعات ينفقه الخليفة في سنة واحدة [٣] . وكتب التاريخ مليئة بالقصص والروايات التي تخبر عن إسراف وبذخ المأمون [٤] ، وما أنفقه على زواجه ببوران بنت الحسن بن سهل من أموال طائلة . [٥]

ليس فقط المأمون الذي كان مسرفاً في المال بل كان أيضاً وزيره الفضل بن سهل لا يقل عنه ، فقد وصفه بعض المؤرخين فقال : « كان سخياً كريماً يجاري البرامكة في جوده » . [٦]

هذا فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي في الدولة في عهد الأمين ، وعندما حل عهد المأمون ، كان بداية عهده استمراراً لعهد أخيه ، لأنه كان عليه أن ينفق الأموال في سبيل توطيد الحكم في البلاد واستمالة أعيان المجتمع ومن

---

١ ـ حراقة : جمعها حراقات ، وهي ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر . محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي : مختار الصحاح ، ١٣٢ ، بيروت ، دار القلم : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٢ ـ الطبري: تاريخ الطبري ، ٨/٥٠٨ ـ ٥٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٧٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٠/٢٤٢ .

٣ ـ الريس : الخراج والنظم المالية ، ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

٤ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٨/٦٥١ ـ ٦٦٦ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ١٠/٢٦١ .

٥ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٤/٣٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ٥/٢١١ .

٦ ـ ابن الطقطقي : الفخري ، ٢٢١ .

على شاكلتهم ممن لهم تأثير في السياسة ، وكذلك ما أنفقه في سبيل قمع الثورات التي ظهرت في أنحاء الدولة ومنها ثورة إبراهيم بن المهدي . <١>

ولكن المأمون عندما علم بأمر الفتن والثورات في الدولة وأسبابها رأى ضرورة العمل على التخلص منها بالقضاء على السبب الرئيسي لإخماد هذه الفتن ، فكانت أوامره بالخروج إلى بغداد للإقامة فيها والقضاء على الفضل ابن سهل ، بعد أن علم بأمره ٢٠٢هـ/٨١٧م ، فدخل بغداد في ٢٠٤هـ/٨١٩م ووطد حكمه ، وأمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين ، وكانوا يتقاسمون النصف رغبة منه في تقريب القلوب والنفوس منه ، حتى يحببهم فيه ويقضي على الفتن . <٢>

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٥٧/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٨/٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٤٨/١٠ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٥٧٦/٨ ؛ الأزدي : تاريخ الموصل ، ٣٥٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٩٥/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣١٣/٣ .

٢ ـ الزراعــة :

لقد اتجه المأمون إلى الاهتمام بالزراعة بعد قدومه بغداد فكان من نتائج اهتمامه بها « **أن زادت مزية** [١] **أثمار فارس وأزهار مازندجران** ، وانتشر نبيذ شيراز [٢] **ويد وأصبهان** [٣] **في جميع آسية** » [٤] كما زاد دخل الدولة في عهده عما كان عليه في عهد أخيه . [٥]

وقد أوردت بعض المصادر قيمة الخراج في عصر المأمون أنها قد بلغت أربعمائة مليون درهم تقريباً [٦] ، أي انخفض خراج الدولة في عهده بحوالي مائة مليون درهم . [٧]

هذا كله كان نتيجة حتمية للصراع الذي استنزف أموال الدولة وخزائنها ، وشغل الخلافة والرؤساء عن أمورها وتنميتها ، كما كانت للفتنة أثرها على قوائم الخراج التي كانت تدون في ديوان الخراج ، فقد أدت كثرة الحروب والفتن إلى ضياع القوائم ، مما أدى إلى كتابة قوائم جديدة في عهد المأمون ٢٠٤هـ/٨١٩م [٨] من أشهر هذه القوائم :

---

١ ـ مزية : هي الأفضلية والمنزلة الخاصة . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٨٠/١٥ .

٢ ـ شيراز : بلد عظيم ، وهي قصبة بلاد فارس . للاستزادة انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٨٠/٣ .

٣ ـ أصبهان : اسم إقليم بأكمله . وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها . للاستزادة انظر المصدر السابق ، ٢٠٦/١ .

٤ ـ ل . أ . سيديو : تاريخ العرب العام ، ٢٢١ ، تعريب : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٥ ـ فازيليف : العرب والروم ، ٩١ .

٦ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٢٢٦/١ ـ ٢٢٧ .

٧ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٢٦/١ ـ ٢٢٧ .

٨ ـ الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ، ١٥٩ .

أ ـ قائمة الجهشياري توضح حالة الخراج في عهد الرشيد ومقدار الخراج في عهده ، فقد بلغ ما يزيد على خمسمائة مليون درهم . [١]

ب ـ قائمة قدامة بن جعفر [٢] التي تبين حالة الخراج في عهد المأمون والمعتصم ، فهي توضح الحالة الاقتصادية من ٢٠٤هـ/٨١٩م وهي السنة التي يوجد حسابها في الدواوين ، لأن الدواوين أحرقت في الفتنة التي كانت في أيام الأمين ١٩٧هـ/٨١٢م ، وقيل إن الأمين لم يبال بإحراقها [٣] ، فقد بلغت قرابة أربعمائة مليون درهم .

جـ ـ قائمة ابن خلدون [٤] توضح الخراج في عهد المأمون من جميع أقاليم الخلافة العباسية ، وقد بلغت قرابة أربعمائة مليون درهم تقريباً . [٥]

بينما ذكر أن غلات السواد نقداً وعيناً بلغت حوالي (١٣٠,٢٠٠,٠٠٠) درهم ، ومن خراسان بلغت (٢٧,٠٠٠,٠٠٠) درهم ، ومن مصر والإسكندرية (٣٧,٥٠٠,٠٠٠) مليون درهم ، ومن سورية وفلسطين وحمص (١٥,٨٦٠,٠٠٠) درهم ، ومن جميع أنحاء الدولة (٣٨٨,٢٩١,٣٥٠) درهم . [٦]

---

١ ـ للإطلاع على القوائم انظر قسم الملاحق ملحق ٢٢ ، ص ٣٠٣ ؛ الوزراء والكتاب ، ٢٨١ ـ ٢٨٨ .

٢ ـ للإطلاع على القوائم انظر قسم الملاحق ملحق ٢٣ ، ص ٣٠٧ .

٣ ـ قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، ١٦٢ ـ ١٨٤ ، تعليق : محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الرشيد للنشر : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ؛ الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ؛ ضيف الله الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية ، ١٣٢ ـ ٢١٨هـ/٧٤٩ ـ ٨٣٣م ، ٢٥٧ ، ط١ ، مكة ، المكتبة الفيصلية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٤ ـ للإطلاع على القوائم انظر قسم الملاحق الملحق رقم ٢٤ ، ص ٣١١ .

٥ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ١/٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

٦ ـ حتي : تاريخ العرب مطول ، ٣٩٧ .

كما ورد أن خراج مصر بلغ في أيام المأمون أربعة آلاف ألف دينار، ومئتي ألف وسبعمائه وخمسين ألف دينار عن كل فدان ديناران. [١]

أما خراج قم [٢] فقد بلغ ألفي ألف درهم [٣]، فتشاوروا أهلها على أن يمنعوا الخراج رغبة وطمعاً في تخفيضه، كما فعل مع أهل الرى عندما خفف عنهم؛ فأرسل إليهم المأمون جيوشاً لمحاربتهم، بعد امتناعهم عن دفعه؛ فحاربوهم وانتصرت جيوش المأمون عليهم، وجبوا منهم سبعة آلاف ألف درهم، بعد أن كانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم. [٤]

وبلغ خراج السند [٥] على عهده أثناء ولاية بشر بن داود [٦] ٢٠٥هـ/٨٢٠م ألف ألف درهم سنوياً حسب الاتفاق، ولكن بشر خالف المأمون وعصاه ورفض أن يدفع له الخراج [٧]؛ فعين المأمون على السند غسان بن عباد [٨] بدلاً منه لمخالفته عن دفع الخراج ٢١٣هـ/٨٢٨م. [٩]

---

١ ـ المقريزي: خطط المقريزي، ٨١/١، ٩٩.

٢ ـ قم: كلمة فارسية. وهي مدينة تذكر مع قاشان وهي قرب أصبهان. للاستزادة انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣٩٧/٤.

٣ ـ الطبري: تاريخ الطبري، ٦١٤/٨؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٣١٩/٣. ذكر أنها ألف ألف درهم.

٤ ـ الطبري: المصدر السابق، ٦١٤/٨؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ٣١٩/٣.

٥ ـ السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان. للاستزادة انظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ٢٦٧/٣.

٦ ـ بشر بن داود والي المأمون على السند ٢٠٥هـ/٨٢٠م بعد وفاة واليها داود بن يزيد، واتفق مع المأمون بأن يجبي له ألف ألف درهم، فخالف بشر الاتفاق، فلم يحمل الخراج للمأمون فعزله ٢١٣هـ/٨٢٨م. للاستزادة انظر الطبري: المصدر السابق، ٥٨٠/٨، ٦٢٠ ـ ٦٢١.

٧ ـ البلاذري: فتوح البلدان، ٤٣١ ـ ٤٣٢؛ الطبري: المصدر السابق، ٥٨٠/٣.

٨ ـ غسان بن عباد بن أبي الفرج، ابن عم الفضل بن سهل، ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل، وولي السند من قبل المأمون، ٢١٣هـ/٨٢٨م لمخالفة بشر عن جباية الخراج، كانت ولايته فترة إصلاح ثم عاد منها ٢١٦هـ/٨٣١م بعد أن ولي عليها عمران بن موسى البرمكي. للاستزادة: المصدر السابق، ٥٧٩/٨، ٦٢٠ ـ ٦٢١، ٦٢٦؛ الزركلي: الأعلام، ١١٩/٥.

٩ ـ الطبري: المصدر السابق، ٦٢٠/٨.

يرى بعض المؤرخين أن ما ذكر في قائمة ابن خلدون من قيمة خراج السند في عهد المأمون أنه ليس لعصره ، لأن ما ورد في القائمة يبلغ (١١,٥٠٠,٠٠٠) درهم . أما في الطبري فقد ذكر أنهما اتفقا على ألف ألف درهم ، وبذلك فهو يرى أن القائمة الموجودة في ابن خلدون ليست لعصر المأمون . [١]

أما بلاد الشأم فقد روي أنه حمل إليه أخوه المعتصم ذات يوم من خراج الشأم ومصر ثلاثون ألف ألف درهم لينفق منها المأمون . [٢]

من العرض السابق يتضح مدى تأثير الفضل بن الربيع والفضل بن سهل على اقتصاد الدولة عامة ، وعلى الزراعة وجبايتها خاصة ، فقد لوحظ مدى أثر الفتنة على اختلاف قوائم الخراج ، ومدى انخفاض الخراج في عهد المأمون عن عهد الرشيد ، وكان ذلك كله بسبب الأحداث التي تسببا في نشوبها الفضل بن الربيع والفضل بن سهل .

---

١ ـ الريس : الخراج والنظم المالية ، ٤٤٩ .
٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٦٥٢/٨ .

٣ ـ الصناعة :

كان للصناعة نصيب لدى الخلفاء العباسيين ، فاهتموا بها وطوروها حتى أصبح عصر الخلافة العباسية عصر الحضارة . فقد ظهرت عدة صناعات منها صناعة الغزل والنسيج والطرز وصناعة الزجاج والصابون والورق ، والخزف والقاشاني ، والبسط وصناعة الجواهر والصياغة والمعادن والأدوية والعقاقير . وصناعة الملح والكبريت والمراكب والسفن والأسلحة والجلود والرخام وسك النقود ، وصناعات أخرى مثل النجارة والحدادة والبناء ... الخ مما لم يكن قد بلغته أوروبا في ذلك الوقت . [١]

ولكن حدث في أثناء هذا التطور والاهتمام بالصناعة ، وجميع نواحي الحضارة ما شغل الخلافة عن ذلك كله ، ألا وهي الفتنة التي اشتعلت في عهد الأمين ، فقد شغلت الدولة عن بعض الصناعات ونشطت بعض الصناعات الأخرى .

ففي بداية عهد الأمين كانت الصناعات تسير في تطور حتى أنه استطاع الأمين أن ينشىء خمس حراقات في دجلة على خلقه الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس . كما ابتنى الأمين سفينة عظيمة بلغ قيمة ما أنفقه عليها ثلاثة آلاف ألف درهم ، كما ابتنى سفينة أخرى على هيئة الدلفين ، ونشطت في عهده صناعة النجارة ، فقد أمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصوره جميعها . [٢]

كما نشطت في عهده صناعة البناء ؛ لأنه أمر ببناء عدة قصور للهو في عدة أماكن ، وأمر ببناء ميدان للصوالجة واللعب حول قصر المنصور [٣] . مما جعل الرياضة تنشط في عهده . وعندما نشبت الفتنة بينه وبين أخيه

١ ـ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ٣٠٨/٢ ـ ٣١١ ؛ سيديو : تاريخ العرب العام ، ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٠٩/٨ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٧/٥ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ٢٨٠ .

١٩٤هـ/٨٠٩م نشطت صناعة الطرز ، لأن الأمين حرص أن تصنع طرزه في مقر خلافته ، وكذلك المأمون حرص على صنع طرزه في مقر ولايته خاصة في ١٩٥هـ/٨١٠م عندما خلع المأمون الأمين ، فاضطر الأمين إلى خلع المأمون ، فأصبح لكل واحد منهما مقر لصناعة الطرز ، وكذلك صناعة ضرب السكة لأن كلٌ منهما كان يضرب سكة لا يكتب عليها اسم الآخر ، فقد منع كلٌ منهما التداول بنقود الطرف الآخر . (١)

وفي أثناء الفتنة ، وبعد أن استنزفت الحروب أموال الأمين وأموال دولته ، اضطر إلى ضرب الأواني والحلي والجواهر وتحويلها إلى دراهم ودنانير . (٢)

كما نشطت في أثناءها صناعة الأسلحة والذخائر لاحتياج الجنود لها في حروبهم بين الأمين والمأمون .

وبعد انتهائها ومقتل الأمين ١٩٨هـ/٨١٣م ومبايعة المأمون بالخلافة ، لم تذكر كتب التاريخ أي تفاصيل عن الصناعة في عهد المأمون ، إلا أنه في سياق الأحداث تبين أن هناك صناعات مختلفة اهتم بها .

فقد أمر ٢١٧هـ/٨٣٢م بعد قدومه مصر لتوطيد الأمن فيها ببناء مقياس لمياه النيل في الدلتا ، فكان من أوائل المقاييس التي بنيت منذ عرفت مصر الإسلام ، كما أمر بإقامة جسر آخر على النيل ، وأمر بتحسين العملة الفضية ، فاشتهرت الدراهم الرباعية . (٣)

وهكذا تأثرت الصناعة بالفتنة التي نشبت بين الأخوين شأنها في ذلك شأن باقي النواحي الاقتصادية الأخرى في الخلافة العباسية .

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٩/٨ ـ ٥٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٢/٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢٦/١٠ .

٢ ـ الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٦/٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ٤١٢/٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٩/٣ .

٣ ـ الكندي : الولاة والقضاة ، ١٩٢ .

٤ ـ التجــارة :

عرف ابن خلدون التجارة بقوله : « **محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء . أيما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش . وذلك القدر النامي يسمى ربحاً** » . (١)

ويصف ابن خلدون التاجر وكيفية بيعه للسلعة ، بأنه إما أن يختزن السلعة ويتحين وقت الغلاء ، أو انعدام السلعة فيبيعها بالغلاء فيعظم ربحه ، وإما بنقلها من بلد لآخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه أيضاً . (٢)

ولا شك أن الحركة التجارية ونشاطها قد تأثرت بالأوضاع العامة التي خلفتها الفتنة ، ومن مظاهر هذا التأثر ما حدث أثناء حصار طاهر بن الحسين لبغداد ، إذ كان زهير بن المسيب يعشر أموال التجار حتى شكوه إلى طاهر (٤) . ومن مظاهرها أيضاً ، الحرب الاقتصادية التي لجأ إليها طاهر ابن الحسين من منعه التجار أن يبيعوا الأمين وأصحابه شيئاً من الدقيق ، مما أدى إلى غلاء الأسعار في بغداد ، حتى غلا الخبز لدى جماعة الأمين وصار كل رطل بدرهم ، بينما كان أصحاب المأمون يبتاعون كل عشرين رطلاً من الخبز بدرهم . (٤)

وهكذا تأثرت التجارة بالأحداث التي كان سببها الفضلان ، فقد كسدت ، وقلت أثناء الفتنة بسبب عدم وجود الأمان بين طرفي الدولة ؛

---

١ ـ مقدمة ابن خلدون ، ٤٩٤/١ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٤٩٤/١ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٤٥/٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٧/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٩٩/٣ .

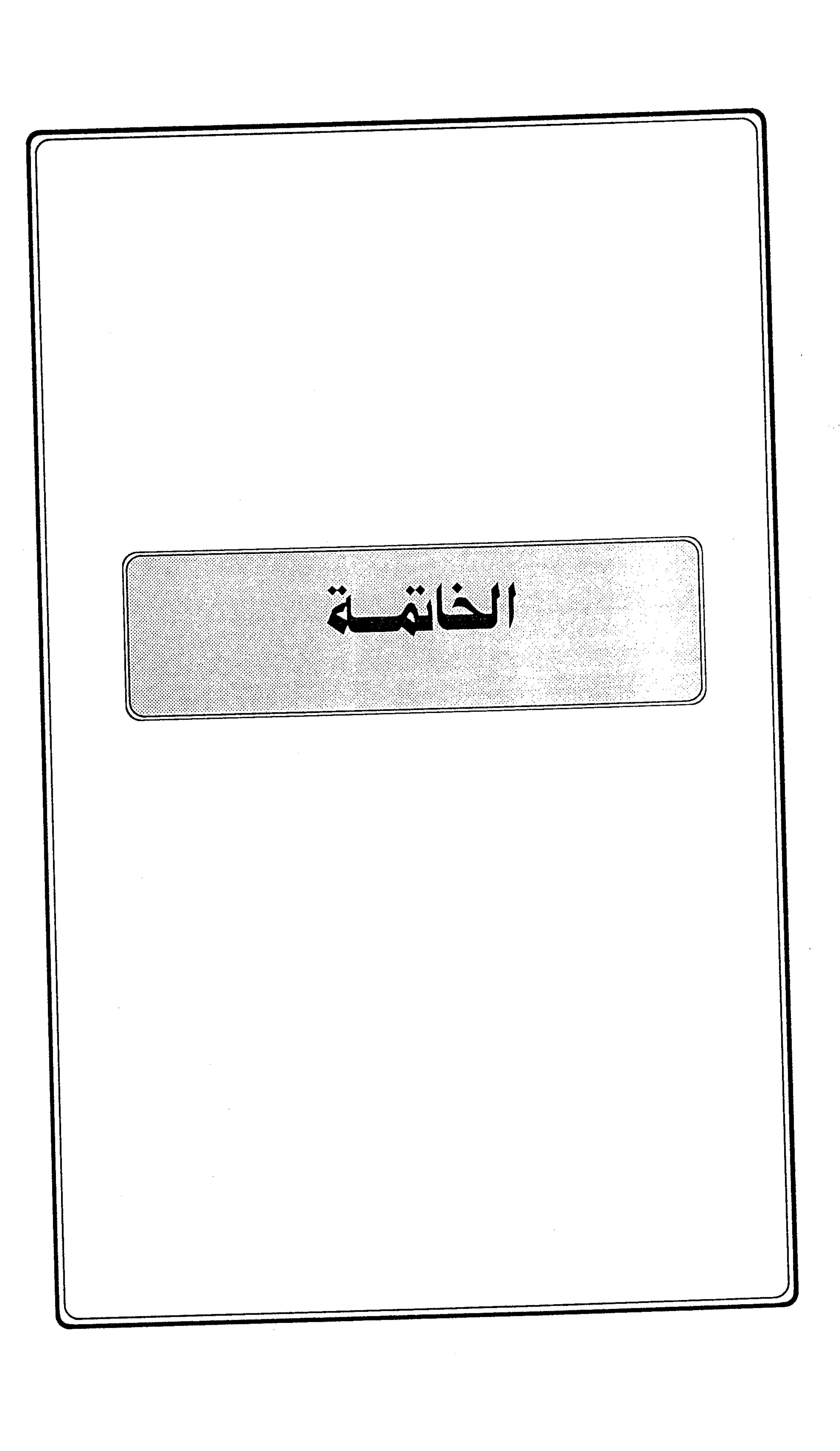
٤ ـ المسعودي : مروج الذهب ، ٤١٥/٣

ولقيام الثورات والفتن واضطراب الأمور فيها [١] ؛ فكانت هناك ثورات في مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب والجزيرة وبغداد وخراسان ، فكيف يكون هناك تجارة مع وجود الفتن والحروب .

ويلاحظ أن كتب التاريخ لا تذكر أي شيء عن التجارة في عهدي الأمين والمأمون ، لعدم نشاطها ، ولكثرة الفتن والثورات التي جعلت حركتها راكدة في تلك الفترة .

---

١ ـ الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ١٦٦ .



الخاتمة

الخاتمة

تم بحمد الله وعونه الفراغ من بحث « الفضل بن الربيع والفضل بن سهل وأثرهما على الدولة العباسية من ١٨٧هـ/٨٠٢م ـ ٢٠٢هـ/٨١٧م » وكان من الضروري أن أختم البحث بخاتمة تتضمن بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، وأرجو من الله عز وجل أن يتقبل مني صالح الأعمال ، وأن ينفع به ، وأن يغفر لي ما أغفل علي وما قصرت فيه . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث هي :

امتداد نفوذ الوزراء عند الخلفاء العباسيين بصورة واسعة من عهد الرشيد ؛ وذلك منذ أن تولى يحيى البرمكي الوزارة مما كان له أكبر الأثر في تاريخ الوزارة بعد ذلك ، وفي توسع سلطاتهم على مدى تاريخ الدولة العباسية . كما أصبح الوزراء يملكون أرصدة مالية كبيرة بسبب ارتفاع مستحقاتهم وحرية سلطاتهم في جمع الخراج .

اختلاف المؤرخين بين تاريخ إسلام الفضل بن سهل والأسرة التي أسلم على يديها . وذلك لأن المصادر ذكرت أنه أسلم في ١٩٠هـ/٨٠٦م وعلى يد البرامكة ولازمهم طيلة حياته إلى أن نكبوا ، بينما المعروف أن البرامكة نكبوا في اوائل ١٨٧هـ/٨٠٢م .

الدور الكبير الذي لعبه الفضل بن سهل في إشعال نار الفتنة بين الأمين والمأمون ، وليس كما يميل بعض المؤرخين إلى أن السبب الأكبر في الفتنة يقع على الأمين والفضل بن الربيع ، لعل في جهود الفضل بن سهل من أجل الوصول بالمأمون إلى الخلافة ما يبرر ذلك .

محاولة المؤرخين التشويه من صورة الأمين ووصفه بالصفات القبيحة لجعله ليس أهلاً للخلافة ، وفي نفس الوقت محاولة تمجيد وتعظيم شخصية المأمون وكأنها الشخصية المثالية المؤهلة للخلافة منذ الصغر بالرغم من أن كليهما طفل عندما بويع بولاية العهد .

كتابـة الرشيد أمر ولاية العهد في كتب أودعها في الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، ولكن هذه الكتب يتضح فيها مدى إجحافه بالأمين وظلمه له ؛ لتحجيم سلطته على منطقة محدودة ؛ بينما تركت تلك السلطة كاملة للمأمون . كما أن الكتابين يعتبران عهداً للمأمون على الأمين بأن يوفي له جميع ما اشترط عليه في الأول ، وفي الثاني توكيداً على الأول . وقد أدى هذا النهج إلى وقوع الخلاف في الدولة الإسلامية .

ثقة الأمين بالفضل بن الربيع منذ توليه الخلافة ويتضح ذلك من كتابه إلى أخيه صالح ومن جميع الثقات والمهمات التي أوكلها له .

عناية الأمين بأمور دولته ورعيته منذ توليه الخلافة ، وليس كما وصفه بعض المؤرخين بالعبث واللهو وعدم الاهتمام بدولته ؛ مما أضاع الدولة من يديه . والشواهد على ذلك جاءت مبسوطة في هذا البحث ، ومنها على سبيل المثال كتابه إلى المأمون بعد وفاة الرشيد وتفقد جيوشه عندما خرجت لقتال المأمون .

مبادرة المأمون إلى خلع أخيه بالتخطيط المسبق لذلك واستلحاق أهله وولده وماله من بغداد ، ثم بدأ بعدم الإذعان في تنفيذ أوامره فبدأ بقطع البريد وإسقاط اسم الخليفة من السكة والطرز ، وأعلن خلعه ولقب نفسه بالإمام ؛ خلافاً لما ذكره المؤرخون .

الأخذ على الأمين سوء اختياره لقائد جيوشه بالرغم من سوء سيرته لدى أهل المنطقة ، وكثرة إغداقه على الجند والأموال ؛ مما جعلهم يغتادون على الرفاهية . كما يؤخذ عليه السرعة أحياناً في تحقيق الأهداف ، وعدم استماعه إلى جميع الآراء وتنفيذ أرجحها خاصةً إذا مال إليها الأغلبية ؛ مما جعل النهاية تخالف ما كان يصبو إليه .

من أسباب فشل جيوش الأمين ، غرور علي بن عيسى ، وعدم أخذه بأسباب الدفاع وعدم استماعه لأصحاب الرأي أو المشورة ؛ واساءته لأهل خراسان حتى أثناء المعركة ، كما فعل ذلك مع وفد طاهر بن الحسين عندما تعرف عليهم أهانهم واستخف بهم وضربهم بالسوط ؛ مما أدى إلى هزيمته وقتله .

تصوير المؤرخين جيوش طاهر بالشجاعة وأحسن الصور ، بينما يصورون جيوش الأمين بالضعف والجبن وأسوأ الصور ، والواقع يثبت عكس ذلك فوقعة الشماسية ودرب الحجارة تثبت مدى شجاعة وبسالة وصمود أهل بغداد وأصحاب الأمين والدفاع عنه حتى آخر لحظة ؛ وهذا ينفي ما يصفهم به المؤرخون .

استسلام أهل بغداد لطاهر واتباعه لا لعدم إيمانهم بقضية الأمين أو لضعف منهم أو لسوء معاملة الأمين لهم ، بل لما عانوه من اضطهاد وتعذيب وحصار مادي وفقر وجوع من قبله . بينما يحاول المؤرخون تصوير جيوش طاهر بحسن المعاملة وعدم ارتكابها لهذه الأعمال ويعزون كل ذلك إلى جيوش الأمين .

سيطرة الفضل بن سهل على المأمون سيطرة كاملة حتى استطاع أن يحجبه عن رعيته وما يعانونه من قسوة العمال والولاة مما آثار الناس عليه .

أخذ المأمون العبرة والعظة من درس تعدد ولاة العهد ؛ بجعله ولاية العهد لأخيه المعتصم ، ولم يجعلها في أبنائه ، كما لم يعقدها لأكثر من واحد في وقت واحد .

تأثير الفضل بن سهل على المأمون بجعله يعتمد على الفرس في منصب الوزارة .

حرص المأمون على الاستفادة وأخذ العبرة والعظة من أفعاله السابقة ، من أمثلة ذلك عدم ترك زمام الأمور للوزراء دون مراقبتهم والإشراف على الأعمال بنفسه حتى يتمكن من ضبط الأمور .

اختفاء منصب الوزير طوال عهد المأمون من ٢٠٢هـ/٨١٨م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م ، ولم تعد وظيفة رسمية في الدولة يقوم بها أحد الكتاب دون أن يتسمى بها لذلك اختلف المؤرخون في تسميتهم .

حرص الكتاب الذين تولوا الوزارة بعد الفضل على عدم التسمي بها خوفاً على أنفسهم من عاقبة هذه التسمية .

إنكار المؤرخين للدور العربي في قيام الدولة العباسية والدفاع عنها ونسب ذلك إلى الفرس .

اعتراف أعداء المسلمين للعرب بحسن القيادة العسكرية ونجاحهم في ذلك ، وقد فصل ذلك في الفصل الخامس من البحث .

ظهور العنصر التركي منذ عهد المأمون بينما أجمعت المصادر على أنه لم يبدأ ظهوره وتدخله في السياسة إلا في عهد المعتصم .

نشوب كثير من الثورات بعد انتهاء الفتنة بين الأخوين نتيجة للعصبيات المتعددة في الدولة ، أو لضعف الحكم في تلك المناطق ولبعدها عن مقر الخلافة أو لرفض سياسة معينة طبقت في تلك الفترة .

اختفاء الفضل بن الربيع كلما أحس بتأزم الأوضاع في المنطقة خوفاً على نفسه من العقاب .

تدهور اقتصاد الدولة العباسية وانخفاض خراجها بعد عهد الرشيد لانشغالها بالحروب والفتن ، وتدهور بعض الصناعات في فترة الفتنة ، ونشاط بعضها خاصة ما يتعلق منها بالحروب . كما تدهورت التجارة في تلك الفترة وكسدت لعدم وجود الأمان ، وإسدال المصادر التاريخية الستار على هذه النواحي لعدم وجود أي تقدم أو تطور فيها .

وختاماً أسأل الله عز وجل أن يكون قد وفقني في إبراز أهم النتائج التي توصل إليها البحث لتحقيق الهدف منه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وأزواجه أجمعين .

تم بحمد الله وتوفيقه ....

الباحثة



الملاحق

ملحق رقم (١)

نسخة الكتاب الذي كتبه محمد الأمين بخط يده بالتعهد باحترام ما عقده أبوه من ولاية العهد له ولأخويه من بعده جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبدالله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين ، في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعاً غير مكره إن أمير المؤمنين ولاني العهد من بعده ، وصير البيعة لى في رقاب المسلمين جميعاً ، وولى عبدالله بن هارون العهد والخلافة . وجميع أمور المسلمين بعدي ، برضاً منى وتسليم ، طائعاً غير مكره ، وولاه خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرزها وبريدها ، وبيوت أموالها ، وصدقاتها وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها ، في حياته وبعده . وشرطت لعبدالله هارون أمير المؤمنين برضاً مني وطيب نفسي ، أن لأخي عبدالله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدي ، وتسليم ذلك له ؛ وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة ، أو جعل له من عقدة [١] أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقد ، وما أعطاه في حياته وصحته من مال أو حلى أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزل أو دواب ، أو قليل أو كثير ؛ فهو لعبدالله بن هارون أمير المؤمنين ، موفراً مسلماً إليه . وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً .

فإن حدث بأمير المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين في تولية عبدالله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين ؛ وأن يمضي عبدالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان والرى والكور التي

---

١ ـ العقدة : هو كل ما يعتقده الإنسان من العقار فهو عقدة له . واعتقد ضيعته ومالاً أي اقتناهما . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٩٩/٣ .

سماها أمير المؤمنين حيث كان عبدالله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحب ، من لدن الرى إلى أقصى عمل خراسان . فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إلى أمير المؤمنين ، ولا يحول عبدالله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاه إياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، ما بين عمل الرى مما يلي همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها ؛ وما هو منسوب إليها ، ولا يشخصه إليه ، ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ، ولا يولي عليه أحداً ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بنداراً [١] ، ولا محاسباً ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً ، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره ، ولا يعرض لأحد ممن ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده ؛ بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم ، ولا أحد بسبيل منهم ، ولا في دمائهم ولا في أموالهم ولا في ضياعهم ودورهم ورباعهم [٢] وأمتعتهم ورقيقهم ودوابهم شيئاً من ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيص له في ذلك وإدهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منه بغير حكم عبدالله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأي قضاته .

وإن نزع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبدالله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ،

---

١ ـ البندار : جمعها البنادرة وهم التجار الذين يلزمون المعادن ، وهو الرجل الكثير المال . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٨١/٤ .

٢ ـ رباعهم : الرباع المنزل والدار بعينها . والوطن في أي مكان وأي وقت وجمعه رباع ومفرده ربع . انظر : المصدر السابق ، ١٠٢/٨ .

ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبدالله ابن أمير المؤمنين عاصياً له أو مخالفاً عليه ؛ فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبدالله ابن أمير المؤمنين بصغر [١] له وقماء [٢] حتى ينفذ فيه رأيه وأمره .

فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبدالله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبدالله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها ، والذي من حد عملها مما يلي همذان والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين إليه ممن قدم قرماسين ، أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ؛ صغرت أو كبرت ؛ فلعبدالله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبدالله ابن أمير المؤمنين ، والقيام معه ، والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر له والذب عنه ؛ ما كانت الحياة في أبدانهم . وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا ، أو حيث كانوا ، أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبدالله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب . وعبدالله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله ، وأنتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبدالله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة .

---

١ ـ الصغر : ضد الكبر . وخلاف العظم . وهي يقصد بها الصغارة في القدر . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٤/٤٥٨ .

٢ ـ القماء : الذل . انظر المصدر السابق ، ١٥/٢٠١ .

وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبدالله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البرية ؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبدالله ابن أمير المؤمنين ، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم ذلك بما أحب ورأى .

فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم السمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبدالله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ، ووكدها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لتفن لعبدالله أمير المؤمنين بما سمى ، ولمحمد وعبدالله والقاسم بني أمير المؤمنين بما سمى وكتب في كتابه هذا ، واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم ؛ فإن أنتم بدلتم من ذلك شيئاً ، أو غيرتم ، أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد ﷺ وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة ، نذراً واجباً لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكل مملوك لأحد منكم ـ أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة ـ حر ، وكل إمرأة له فهي طالق ثلاثاً ألبتة طلاق الحرج ، لا مثنوية [١] فيها . والله عليكم بذلك كفيل وراع ، وكفى بالله حسيباً » . [٢]

---

١ ـ لا مثنوية : حلف يمين لا استثناء فيه . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١٢٤/١٤ .

٢ ـ أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي : أخبار مكة ، ١٤١/١ ، تحقيق : رشدي الصالح ملحسن ، ط٢ ، بيروت ، دار الأندلس : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤١٦/٢ ـ ٤١٩ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٧٨/٨ ـ ٢٨١ .

ملحق رقم (٢)

نسخة الشرط الذي كتبه عبدالله ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة جاء فيه :

« هذا كتاب لعبدالله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبدالله بن هارون أمير المؤمنين ، في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، وصدق نية فيما كتب في كتابه هذا ، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين . إن أمير المؤمنين هارون ولاني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سطانه بعد أخي محمد بن هارون ، وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين ، أو اتباع لى من الضياع والعقد والرباع أو ابتعت منه من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لأحد من عمالي وكتابي بسبب محاسبة ، ولا يتبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أبداً ، ولا يدخل علىَ ولا عليهم ولا على من كان معى ومن استعنت به من جميع الناس مكروهاً ؛ في نفس ولادم ولا شعر ولابشر ولا مال ، ولا صغير من الأمور ولا كبير . فأجابه إلى ذلك ، وأقر به وكتب له كتاباً ، أكد فيه على نفسه ورضى به أمير المؤمنين هارون وقبله ، وعرف صدق نيته فيه . فشرطت لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشه ، وأوف بيعته وولايته ، ولا أغدر ، ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره [١] ، وأحسن موازرته وجهاد عدوه في ناحيتي ، ما وفى لي بما شرط لأمير المؤمنين في أمرى ، وسمى في الكتاب الذي كتبه لأمير المؤمنين ، ورضي به أمير

---

١ ـ يذكر المأمون في كتابه أنه سينفذ جميع أوامر الأمين . فماذا سينفذ إذا كان قد صرح له الرشيد بمخالفة الأمين وإعلان الحرب عليه إذا خالفه ! كما أنه لم يجعل للأمين سلطة عليه فماذا ينفذ ؟ إذا كان له مطلق الحرية والسلطة في اتباع أوامر الأمين أو رفضها .

المؤمنين ، ولم يتبعني بشيء من ذلك ، ولم ينقض أمراً من الأمور التي شرطها أمير المؤمنين لى عليه .

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إلى يأمرني بإشخاصه إليه ، أو إلى ناحية من النواحي ، أو إلى عدو من أعدائه ؛ خالفه أو أراد نقص شيء من سلطانه أو سلطاني الذي أسنده أمير المؤمنين إلينا وولانا إياه ؛ فعلى أن أنفذ أمره ولا أخالفه ، ولا أقصر في شيء كتب به إلى . وإن أراد محمد أن يولي رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدى ؛ فذلك له ما وفى لى بما جعله أمير المؤمنين إلي واشترطه لي عليه ، وشرط على نفسه في أمري ، وعلى إنفاذ ذلك والوفاء له به ؛ ولا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ، ولا أقدم قبله أحداً من ولدي ، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين ؛ إلا أن يولى أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدي ؛ فيلزمني ومحمداً الوفاء له .

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت في كتابي هذا ، ما وفى لى محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسي ، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتاب الذي كتبه لي ، وعلى عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتى وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ؛ فإن أنا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي هذا أو غيرت أو بدلت ، أو نكثت أو غدرت ، فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله ﷺ ، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً ؛ وكل إمرأة هى لى اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً ألبتة طلاق الحرج ؛ وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلى المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة ، نذراً واجباً على في عنقي حافياً راجلاً ؛ لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ، وكل مال لي

أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة ؛ وكل ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لا أضمر غيره ، ولا أنوي غيره .

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان . وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة » . (١)

١ ـ الأزرقي : أخبار مكة ، ٢٣٩/١ ـ ٢٤١ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٤١٩/٢ ـ ٤٢١ ؛ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٨١/٨ ـ ٢٨٣ .

ملحق رقم (٣)

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه ، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره ، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها ، والكالىء والحافظ والكافي من جميع خلقه ؛ وهو المحمود على جميع آلائه ، المسئول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين ، وعادته الجميلة عنده ، وإلهام ما يرضى به ، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله . وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبدالله ابني أمير المؤمنين ، من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ، ومدت إليه أعناقها ، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون إليهما والثقة بهما ، لعماد دينهم ، وقوام أمورهم ؛ وجمع ألفتهم ، وصلاح دهمائهم ، ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم ؛ حتى ألقوا إليهما أزمتهم ، وأعطوهما بيعتهم وصفقات أيمانهم ، بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم . أراد الله فلم يكن له مرد ، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صرف له عن محبته ومشيئته ، وما سبق في عمله منه . وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة ؛ لا عاقب لأمر الله ولاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبدالله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة ، واللم للشعث ، والدفع للشتات والفرقة ، والحسم لكيد أعداء النعم ؛ من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق ، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما . ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ،

ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة ، والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كيد أعداء النعم ، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما .

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله ، وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره ، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود ، وأغلظ الأيمان والتوكيد ، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما ، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه ﷺ ، والجهاد لعدو المسلمين ؛ من كانوا وحيث كانوا ، وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ، ومسر لها ، وكل منافق ومارق ، وأهل الأهواء الضالة المضلة من تكيد بكيد توقعه بينهما ، وبدحس يدحس به لهما [١] ، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة ، والسعي بالفساد في الأرض ، والدعاء إلى البدع والضلالة ؛ نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد ﷺ ومناصحة لله ولجميع المسلمين ، وذباً عن سلطان الله الذي قدره ، وتوحد فيه للذي حمله إياه والاجتهاد في كل ما فيه قربة إلى الله ، وما ينال به رضوانه ، والوسيلة عنده .

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبدالله رأيه في ذلك ، وما نظر فيه لهما ، فقبلا كل ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله ، وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما ، بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة ، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة .

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة ، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما ، وحضروا كتابهما ، أن يعلموا جميع

---

١ - بدحس يدحس به : أي أفسد بينهم . ابن منظور : لسان العرب ، ٧٦/٦ .

من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما ، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعوه ، ويعرفوه ويحفظوه ، ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ، ففعلوا ذلك ، وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام ، فانصرفوا . وقد اشتهر ذلك عندهم ، وأثبتوا الشهادة عليه ، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم ، ولم شعثهم وإطفاء جمرة أعداء الله ؛ أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم ، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك .

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذنيك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبدالله في بطن الكعبة في أسفل كتابه ؛ هذا فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبدالله ولي عهد المسلمين حمداً كثيراً ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليى عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد ﷺ كثيراً .

واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين ، وأفهمهم إياه وقم به بينهم ، وأثبته في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك ، إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول .

وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٨٣ ـ ٢٨٦ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٦٥ . ذكر أنه كتب الرشيد الكتاب وبعثه للعمال في يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم ١٨٨هـ/٨٠٤م ؛ العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ٧٥ ، ذكر أنه بعث الكتاب في ليلة السبت لسبع بقين من المحرم ١٨٧هـ/٨٠٣م ، والطبري ذكر أنه بعثه في شهر محرم ١٨٦هـ/٨٠٢م كما ذكر أن كتابي العهد كتبا قبل وذلك في حج ١٨٦هـ/٨٠٢م فكيف تم بعث الكتاب ويتضمن ما حدث في الحج ثم يبعث في أول شهر من السنة نفسها ؛ فالراجح ما ذكره يوسف العش بأنه بعثه في محرم ١٨٧هـ/٨٠٣م أي بعد انقضاء الموسم في طريق عودته إلى بغداد .

ملحق رقم (٤)

نسخة كتاب الأمين إلي أخيه المأمون :

« إذا ورد عليك كتاب أخيك ـ أعاذه الله من فقدك ـ عند حلول مالا مرد له ولا مدفع مما قد أخلف وتناسخ في الأمم الخالية والقرون الماضية فعز نفسك بما عزاك الله به . واعلم أن جل ثناؤه قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين ، وأجزل الحظين فقبضه الله طاهراً زاكياً ، قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه إن شاء الله . فقم في أمرك قيام ذي الحزم والعزم ، والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين . وإياك أن يغلب عليك الجزع ، فإنه يحبط الأجر ، ويعقب الوزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! وخذ البيعة عمن قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ثم لنفسك ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين من نسخها له وإثباتها ، فإنك مقلد من ذاك ما قلدك الله وخليفته . وأعلم من قبلك رأيي في صلاحهم وسد خلتهم والتوسعة عليهم ؛ فمن أنكرته عند بيعته أو اتهمته على طاعته ، فابعث إلى برأسه مع خبره . وإياك وإقالته ؛ فإن النار أولى به . واكتب إلى عمال ثغورك وأمراء أجنادك بما طرقك من المصيبة بأمير المؤمنين ، وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثواباً حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته ، مغبوطاً محموداً قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله . ومرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وخواصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك وأوعز إليهم في ضبط ثغورهم ، والقوة على عدوهم وأعلمهم أني متفقد حالاتهم ولام شعثهم ، وموسع عليهم ، ولاتنى في تقوية أجنادي وأنصاري ، ولتكن كتبك إليهم كتباً عامة ، لتقرأ عليهم ؛ فإن في ذلك ما يسكنهم ويبسط أملهم . واعمل بما تأمر به لمن حضرك ، أو نأى عنك من أجنادك ؛ على حسب ما ترى وتشاهد ؛ فإن أخاك يعرف حسن اختيارك ، وصحة رأيك [١] » .

---

١ ـ في النص السابق دليل وبرهان واضح على قدرة الأمين على الأمور السياسية وليس كما يدعى بعض المؤرخين بعدم صلاحيته لأنه غير كفء في الأمور السياسية ، لأنه لم يكن مدرباً سياسياً ، منهم =

وبعد نظرك ؛ وهو يستحفظ الله لك ، ويسأله أن يشد بك عضده ، ويجمع بك أمره ؛ إنه لطيف لما يشاء .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدى وإملائى في شوال سنة اثنتين وتسعين ومائة » . (١)

= شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ، ٤٠٨/١ ، ط١ ، الكويت ، وكالة المطبوعات : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٢٦٧/٨ ـ ٢٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٤/٥ ـ ١٣٥ ؛ محمد حمادة : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول ، ٢٨٠ ـ ٢٨١ . ذكر في نص الكتاب أنه كتبه في ١٩٢هـ/٨٠٨م والرشيد توفي ١٩٣هـ/٨٠٩م .

ملحق رقم (٥)

نسخة كتاب الأمين إلى أخيه صالح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إذا ورد عليك كتابي هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله ونفذ من قضائه في خلفائه وأوليائه ، وجرت به سنته في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، فقل : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾ [١] ، فاحمدوا الله ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه ، صلوات الله عليهم ، وإنا إليه راجعون وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد ﷺ ، وقد كان لهم عصمةً وكهفاً ، وبهم رءوفاً رحيماً ؛ فشمر في أمرك ، وإياك أن تلقي بيديك ؛ فإن أخاك قد اختارك لما استنهضك له ، وهو متفقد مواقع فقدانك ، فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق . وخذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبدالله ابن أمير المؤمنين ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التي جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسخها على القاسم أو إثباتها ، فإن السعادة واليمن في الأخذ بعهده ، والمضي على مناهجه . وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأيي في استصلاحهم ، ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم ؛ فإن شغب شاغب ، أو نعر ناعر [٢] ، فاسط به سطوة تجعله نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين . واضمم إلى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ؛ ومره بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورابطته [٣] ، وصير إلى عبدالله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ؛ فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول

---

١ ـ القرآن الكريم : القصص ، ٢٨/٨٨ .

٢ ـ نعر : هو صوت الصياح في الخيشوم . الناعر : المصوت . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٥/٢٢٠.

٣ ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٣/٢٨٩ . ذكر أن الفضل بن الربيع هو الذي أشار على الأمين أن يطلب الجيش والأموال ويجعل عليه الفضل بن الربيع . والراجح أن ذلك لم يتم برأي الفضل بن الربيع لأن الفضل كان مع الرشيد بطوس والأمين ببغداد .

عند العامة ، واضمم إليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جنده ، ومره بالجد والتيقظ وتقديم الحزم في أمره كله ، ليله ونهاره ؛ فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة . وأقر حاتم بن هرثمة [١] على ما هو عليه ، ومره بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ؛ فإنه ممن لا يعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها بمعاقد من الله مما قدم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء . ومر الخدم بإحضار روابطهم ممن يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك ؛ فإنهم حد من حدودك ، وصير مقدمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد وساقتك إلى يحيى بن معاذ ؛ فيمن معه من الجنود ، ومرهما بمناوبتك في كل ليلة ، والزم الطريق الأعظم ، ولا تعدون المراحل ؛ فإن ذلك أرفق بك . ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلاً من أهل بيته أو قواده ، فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ؛ فإن لم يحضرك في عسكرك بعض من سميت ، فاختر لمواضعهم من تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام ؛ فإن ذلك لن يعوزك من قوادك وأنصارك إن شاء الله . وإياك أن تنفذ رأياً أو تبرم أمراً إلا برأي شيخك وبقية آبائك الفضل بن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ؛ ولا تخرجن أحداً منهم من ضمن ما يلي إلى أن تقدم علي .

وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سيبلغكه ، وأعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى ، وإن أمرت لأهل العسكر بعطاءٍ أو رزقٍ ؛ فليكن الفضل بن الربيع المتولي لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه ؛ بمحضر من أصحاب الدواوين ؛ فإن الفضل ابن الربيع لم يزل يتقلد مثل ذلك لمهمات الأمور . وأنفذ إلى عند وصول كتابي

---

١ ــ حاتم بن هرثمة بن أعين : والٍ من القادة في الدولة العباسية ، ولي شرطة ١٧٨هـ/٧٩٤م ثم صرف عنها ، وأعاده الأمين أميراً عليها ١٩٤هـ/٨١٠م وعزله عنها ١٩٥هـ/٨١١م . للاستزادة انظر الكندي : الولاة وكتاب القضاة ، ١٤٧ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٥٢/٢ .

هذا إليك إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد [١] ، ولا يكون لك عرجة ولا مهلة بموضعك الذي أنت فيه حتى توجه إلى بعسكرك بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك ، ويسأله لك حسن التأييد برحمته .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدى وإملائي في شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة » . [٢]

---

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٧٦ . ذكر أن الأمين وجه كلامه هذا للمأمون في كتابه إليه . وهو أورد عكس ما ذكره الطبري وابن الأثير أنه بعثه إلى صالح ، والراجح أنه موجه إلى أخيه صالح ، لأن المأمون كان بمرو ولم يكن الجيش معه ولا الفضل بن الربيع .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٦٨/٨ ـ ٣٧٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٥/٥ ـ ١٣٦ ؛ محمد حمادة : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول ، ٢٨١ ـ ٢٨٣ . ذكر في نص الكتاب أنه كتب في ١٩٢هـ/٨٠٨م والرشيد توفي ١٩٣هـ/٨٠٩م فكيف تم ذلك !

ملحق رقم (٦)

نص كتاب الأمين إلى المأمون يطلب منه التنازل عن بعض كور خراسان :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين الرشيد وإن كان أفردك بالطرف ، وضم ما ضم إليك من كور الجبل ؛ تأييداً لأمرك ، وتحصيناً لطرفك ؛ فإن ذلك لا يوجب لك فضلة المال عن كفايتك . وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من رده ؛ وقد ضم لك إلى الطرف كوراً من أمهات كور الأموال لا حاجة لك فيها ، فالحق فيها أن تكون مردودة في أهلها ، ومواضع حقها . فكتبت إليك أسألك رد تلك الكور إلى ما كانت عليه من حالها ؛ لتكون فضول ردها مصروفة إلى مواضعها ؛ وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدى إلينا علم ما نعنى به من خبر طرفك ؛ فكتبت تلط [1] دون ذلك بما إن تم أمرك عليه صيرنا الحق إلى مطالبتك ؛ فاثن عن همك اثن عن مطالبتك إن شاء الله » . [2]

---

١ ـ تلط : تجحد . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٣٨٩/٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٠/٨ .

ملحق رقم (٧)

نـص كتاب المأمـون إلـى أخيه رداً على كتابه فـي البيعة لابنه موسى مما جاء فيه :

« أما بعد فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين منكراً لإبائى منزلة تهضمني بها ، وأرادني على خلاف ما يعلم من الحق فيها ، ولعمري أن لورد أمير المؤمنين الأمر إلى النصفة فلم يطالب إلا بها ، ولم يوجب نكرة على تركها ، لا نبسطت بالحجة مطالع مقالته ؛ ولكنت محجوجاً بمفارقة ما يجب من طاعته ؛ فأما وأنا مذعن بها وهو على ترك إعمالها ، فأولى به أن يدير الحق في أمره ، ثم يأخذ به ، ويعطي من نفسه ؛ فإن صرت إلى الحق فرغت عن قلبه ؛ وإن أبيت الحق قام الحق بمعذرته . وأما ما وعد من بر طاعته ، وأوعد من الوطأة بمخالفته ، فهل أحد فارق الحق في فعله فأبقى للمستبين موضع ثقة بقوله ! والسلام » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٩٧/٨ .

ملحق رقم (٨)

خطاب المأمون إلى أخيه يطلب ماله وأهله وولده :

« أما بعد ؛ فإن نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر عنه على إعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببره وصلته ؛ وإذا كان ذلك رأيه في عامته ؛ فأحر بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه ؛ فقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حللت بين لهواتها ، وأجناد لا تزال موقنة بنشر غيها وبنكث آرائها ، وقلة الخرج قبلي ، والأهل والولد قبل أمير المؤمنين وما للأهل – وإن كانوا في كفاية من بر أمير المؤمنين فكان لهم والداً – بد من الإشراف والنزوع إلى كنفي ، ومالي بالمال من القوة والظهير على لم الشعث بحضرتي ، وقد وجهت لحمل العيال وحمل ذلك المال ؛ فرأى أمير المؤمنين في إجازة فلان إلى الرقة في حمل ذلك المال ، والأمر بمعونته عليه ، غير محرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حامل له على رأي يكون على غير موافقة . والسلام » . (١)

---

١ – الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٨١ – ٢٨٢ .

ملحق رقم (٩)

خطاب الأمين إلى أخيه رداً على خطابه :

« أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك بما ذكرت مما عليه رأي أمير المؤمنين في عامته فضلاً عما يجب من حق لذي حرمته وخليط نفسه ، ومحلك بين لهوات ثغور ، وحاجتك لمحلك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك ؛ والمال الذي سمي لك من مال الله ، وتوجيهك من وجهت في حمله وحمل أهلك من قبل أمير المؤمنين . ولعمري ما ينكر أمير المؤمنين رأياً هو عليه مما ذكرت لعامته ، يوجب عليه من حقوق أقربيه وعامته . وبه إلى ذلك المال الذي ذكرت حاجة في تحصين أمور المسلمين ؛ فكان أولى به إجراؤه منه على فرائضه ، ورده على مواضع حقه ؛ وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيتك . وأما ما ذكرت من حمل أهلك ؛ فإن رأى أمير المؤمنين تولي أمرهم ؛ وإن كنت بالمكان الذي أنت به من حق القرابة . ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذي رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت ؛ وإن أر ذلك من قبلي أوجههم إليك مع الثقة من رسلي إن شاء الله . والسلام » . [١]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٢/٨ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٩٠ .

ملحق رقم (١٠)

نص كتاب الأمين إلى المأمون يطلب منه القدوم عليه جاء فيه :

« من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبدالله بن هارون أمير المؤمنين : أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين روى في أمـرك ، والموضع الذي أنت فيه من ثغره ، وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمله الله وقلده من أمور عباده وبلاده ، وفكر فيما كان أمير المؤمنين الرشيد أوجب لك من الولاية وأمر به من إفرادك على ما يصير إليك منها ، فرجا أمير المؤمنين ألا يدخل عليه وكف [١] في دينه ، ولا نكث في يمينه ، إذ كان إشخاصه إياك فيما يعود على المسلمين نفعه ، ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله ، وعلم أمير المؤمنين أن مكانك بالقرب منه أسد للثغور ، وأصلح للجنود ، وآكد للفيء ، وأرد على العامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعاً عن أهل بيتك ، متغيباً عن أمير المؤمنين ، وما يجب الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك . وقد رأى أمير المؤمنين أن يولي موسى بن أمير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك . فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه ، بأبسط أمل وأفسح رجاء وأحمد عاقبة وأنفذ بصيرة ؛ فإنك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره ، واحتمل عنه النصب فيما فيه من صلاح أهل ملته وذمته . والسلام » . [٢]

---

١ ـ وكف : الوكف الميل والجور وبالتحريك الإثم ، وقيل العيب والنقص ، وكف الرجل في عقله ورأيه أي فساد رأيه . للاستزادة انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٩/٣٦٣ .

٢ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤٠٠ ـ ٤٠١ .

ملحق رقم (١١)

خطاب المأمون إلى الأمين يرد فيه على طلبه بالقدوم عليه جاء فيه :

« لعبدالله محمد أمير المؤمنين من عبدالله بن هارون ؛ أما بعد ؛ فقد وصل إلى كتاب أمير المؤمنين ؛ وإنما أنا عامل من عماله وعون من أعوانه ، أمرني الرشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثغر ، ومكايدة من كايد أهله من عدو أمير المؤمنين ؛ ولعمري إن مقامي به ، أرد على أمير المؤمنين وأعظم غناء عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنت مغتبطاً بقربه ، مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ؛ فإن رأى أن يقرني على عملي ، ويعفيني من الشخوص إليه ، فعل إن شاء الله . والسلام » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤٠٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥/١٤٠ ؛ في الخطاب ذكر المأمون أنه ما هو إلا عامل من عمال الأمين ، ثم يخالف أوامره فكيف يخالفه وما هو إلا عامل له !

ملحق رقم (١٢)

كتاب المأمون إلى عيونه ببغداد ليأتوه بأخبار خلعه حال صدور القرار :

« أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين كأعضاء البدن ، يحدث العلة في بعضها ؛ فيكون كره ذلك مؤلما لجميعها ؛ وكذلك الحدث في المسلمين ، يكون في بعضهم فيصل كره ذلك إلى سائرهم ؛ للذي يجمعهم من شريعة دينهم ، ويلزمهم من حرمة أخوتهم ، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أممهم ؛ وقد كان من الخبر مالا أحسبه إلا سيعرب عن محنته ، ويسفر عما استتر من وجهه ؛ وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله إلا كان أول معونة المسلمين وموالاتهم في ذات الله ؛ وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع ؛ وبحيث إن قلت أذن لقولك ؛ وإن لم تجد للقول مساغاً فأمسكت عن مخوف اقتدى فيه بك ؛ ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقك ، ولحظ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثل من الإشراف لأحد الحظين ، مع التعرض لعدمهما ، فاكتب إلى برأيك ، وأعلم ذلك لرسولي ليؤديه إلى عنك . إن شاء الله » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٣/٨ .

ملحق رقم (١٣)

جواب أحد عيون المأمون في بغداد على خطابه :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابك وللحق برهان يدل على نفسه تثبت به الحجة على كل من صار إلى مفارقته ؛ وكفى غبناً بإضاعة حظ من حظ العاقبة ؛ لمأمول من حظ عاجلة ، وأبين من الغبن إضاعة حظ عاقبة مع التعرض للنكبة والوقائع ؛ ولى من العلم بمواضع حظى ما أرجو أن يحسن معه النظر مني لنفسي ، ويضع عنى مؤنة استزادتي . إن شاء الله » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٣٨٤ .

ملحق رقم (١٤)

كتاب رسول المأمون والفضل بن سهل إليهما :

« أما بعد ، فإني وافيت البلدة ، وقد أعلن خليطك بتنكره ، وقدم علماً من اعتراضه ومفارقته وأمسك عما كان يجب ذكره وتوفيته بحضرته ؛ ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاة السريرة ونفاة العلانية ؛ ووجدت المشرفين بالرعية لا يحوطون إلا عنها ولا يبالون ما احتملوا فيها ؛ والمنازع مختلج الرأي ، لا يجد دافعاً منه عن همه ، ولا راغباً في عامه ، والمحلون بأنفسهم يحلون تمام الحدث ؛ ليسلموا من منهزم حدثهم ، والقوم على جد ، ولا تجعلوا للتواني في أمركم نصيباً . إن شاء الله والسلام » . (١)

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٣٨٤/٨ .

ملحق رقم (١٥)

كتاب المأمون إلى علي بن عيسى لما علم بأمر توليه قيادة جيوش الأمين :

« أما بعد ، فإنك في ظل دعوة لم تزل أنت وسلفك بمكان ذب عن حريمها ؛ وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقها ، توجبون ذلك لأئمتكم ، وتعتصمون بحبل جماعتكم ، وتعطون بالطاعة من أنفسكم ، وتكونون يداً على أهل مخالفتكم ، وحزباً وأعواناً لأهل موافقتكم ، تؤثرونهم على الآباء والأبناء ، وتتصرفون فيما تصرفوا فيه من منزلة شديدة ورجاء ، لا ترون شيئاً أبلغ في صلاحكم من الأمر الجامع لألفتكم ؛ ولا أحرى لبواركم مما دعا إلى شتات كلمتكم ، ترون من رغب عن ذلك جائراً عن القصد وعن أمه على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفاً من سيوف نقم الله ، فكم من أولئك قد صاروا وديعة مسبعة ، وجرزاً جامدة ؛ قد سفت الرياح في وجهه ، وتداعت السباع إلى مصرعه ، غر ممهد ولا موسد قد صار إلى أمة ، غير عاجل حظه ؛ ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك ؛ بحيث أنزلتم أنفسكم ، من الثقة بكم في أمورها ، والتقدمة في آثارها ، وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصتها ؛ حتى بلغ الله بك في نفسك أن كنت قريع أهل دعوتك ، والعلم القائم بمعظم أمر أئمتك ؛ إن قلت : ادنوا دنوا وإن أشرت : أقبلوا أقبلوا ، وإن أمسكت وقفوا وأقروا ، وثاماً لك واستنصاحاً ، وتزداد نعمة مع الزيادة في نفسك ، ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك ، حتى حللت المحل الذي قربت به من يومك ، وانقرض فيما دونه أكثر مدتك لا ينتظر بعدها إلا ما يكون ختام عملك من خير فيرضى ما تقدم من صالح فعلك ؛ أو خلاف فيضل له متقدم سعيك ؛ وقد ترى يا أبا يحيى حالاً عليها جلوت أهل نعمتك ، والولاة القائمة بحق إمامتك ؛ من طعن في عقدة كنت القائم بشدها ، وختر بعهود توليت معاقد أخذها ؛ يبدأ فيها بالأخصين ، حتى أفضى الأمر إلى العامة من المسلمين ، بالأيمان المحرجة والمواثيق المؤكدة . وما طلع مما يدعو إلى نشر كلمة ، وتفريق أمر أمة وشت أمر جماعة ، وتتعرض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلاف من الأئمة ؛ ومتى زالت

نعمة من ولاة أمركم وصل زوالها إليكم في خواص أنفسكم ؛ ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وليس الساعي في نشرها بساع فيها على نفسه دون السعي على حملتها ، القائمين بحرمتها ؛ قد عرضوهم أن يكونوا جرزاً لأعدائهم ، وطعمة قوم تتظفر مخالبهم في دمائهم . ومكانك المكان الذي إن قلت رجع إلى قولك ، وإن أشرت لم تتهم في نصيحتك ؛ ولك مع إيثار الحق الحظوة عند أهل الحق . ولا سواء من حظي بعاجل مع فراق الحق فأوبق نفسه في عاقبته ، ومن أعان الحق فأدرك به صلاح العاقبة ؛ مع وفور الحظ في عاجلته ، وليس لك ما تستدعى ولا عليه ما تستعطف ؛ ولكنه حق من حق أحسابك يجب ثوابه على ربك ، ثم على من قمت بالحق فيه من أهل إمامتك ؛ فإن أعجزك قول أو فعل فصر إلى الدار التي تأمن فيها على نفسك . وتحكم فيها برأيك ، وتنحاز إلى من يحسن تقبلاً لصالح فعلك ، ويكون مرجعك إلى عقدك وأموالك ؛ ولك بذلك الله ، وكفى بالله وكيلاً . وإن تعذر ذلك بقية على نفسك ، فإمساكاً بيدك ، وقولاً بحق ، ما لم تخف وقوعه بكرهك ؛ فلعل مقتدياً بك ، ومغتبطاً بنهيك . ثم أعلمني رأيك أعرفه إن شاء الله » . (١)

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

ملحق رقم (١٦)

نص خطبة داود بن عيسى بن موسى والي مكة والمدينة في عهد الأمين :

« الحمد لله مالك الملك ؛ يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

أما بعد يا أهل مكة ؛ فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم نفذ وفد الله ، وإلى قبلتكم يأتم المسلمون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هارون رحمة الله عليه وصلاته حين بايع لابنيه محمد وعبدالله بين أظهركم من العهد والميثاق لتنصرن المظلوم منهما على الظالم ، والمبغي عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حل لنا ولكم خلعه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغي عليه المغدور به . ألا وإني أشهدكم أني قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي – وخلع قلنسوته عن رأسه فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من برود حبرة مسلسة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها [١] – ثم قال : قد بايعت لعبدالله عبدالله أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتكم » . [٢]

---

١ – يستعجب من داود بن عيسى أنه كان والي عباسي ويرتدي قلنسوة حمراء ، بينما كان شعار العباسيين السواد ؛ فلما خلع الأمين وبايع للمأمون لبس قلنسوة سوداء . فلماذا ؟

٢ – الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٣٩/٨ – ٤٤٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٤/٥ – ١٥٥ .

ملحق رقم (١٧)

كتاب طاهر بن الحسين إلى المأمون يخبره بأمر الفتح :

« أما بعد ؛ فالحمد لله المتعالى ذي العزة والجلال ، والملك والسلطان الذي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، كان فيما قدر الله فأحكم ، ودبر فأبرم ، انتكاث المخلوع ببيعته وانتقاضه بعهده ، وارتكاسه في فتنته ، وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد ـ وقد كتبت إلى أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه في إحاطة جند الله بالمدينة والخلد ، وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها في دجلة نواحي أزقة مدينة السلام وانتظام المسالح حواليها وحدري السفن والزواريق بالعرادات والمقاتلة ، إلى ما واجه الخلد وباب خراسان ، تحفظاً بالمخلوع ، وتخوفاً من أن يروغ مراغاً ، ويسلك مسلكاً يجد به السبيل إلى إثارة فتنة ، وإحياء ثائرة أو يهايج قتالاً بعد أن حصره الله عز وجل وخذله ، ومتابعة الرسل بما يعرض عليه هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ، ويسألني من تخلية الطريق له في الخروج إليه واجتماعي وهرثمة بن أعين ، لنتناظر في ذلك ، وكراهتي ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاق الله إياه وقطعه رجاءه من كل حيلة ومتعلق ، وانقطاع المنافع عنه ، وحيل بينه وبين الماء ، فضلاً عن غيره ، حتى هم به خدمه وأشياعه من أهل المدينة ومن نجامعه إليها ، وتحزبوا على الوثوب به للدفع عن أنفسهم والنجاة بها وغير ذلك مما فسرت لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أتاه .

وإني أخبر أمير المؤمنين أني رويت فيما دبر هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في المخلوع ، وما عرض عليه وأجابه إليه ، فوجدت الفتنة في تخلصه من موضعه الذي قد أنزله الله فيه بالذلة والصغار وصيره فيه إلى الضيق والحصار تزداد ، ولا يزيد أهل التربص في الأطراف إلا طمعاً وانتشاراً ، وأعلمت ذلك هرثمة ابن أعين ، وكراهتي ما أطمعه فيه وأجابه إليه ؛ فذكر أنه لا يرى الرجوع

عما أعطاه ، فصادرته ـ بعد يأس من انصرافه ـ عن رأيه ، على أن يقدم المخلوع رداء رسول الله ﷺ وسيفه وقضيبه قبل خروجه ، ثم أخلى له طريق الخروج إليه ، كراهة أن يكون بيني وبينه اختلاف نصير منه إلى أمر يطمع الأعداء فينا ، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الإئتلاف والإتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشية السبت .

فتوجهت في خاصة ثقاتي الذين اعتمدت عليهم وأثق بهم ، بربط الجأش ، وصدق البأس ، وصحة المناصحة ؛ حتى طالعت جميع أمر كل من كنت وكلت بالمدينة والخلد براً وبحراً والتقدمة إليهم في التحفظ والتيقظ والحراسة والحذر ثم أنكفأت إلى باب خراسان ، وكنت أعددت حراقات وسفناً ، سوى العدة التي كانت لأركبها بنفسي لوقت ميعادي بيني وبين هرثمة ، فنزلتها في عدة ممن كان ركب معي من خاصة ثقاتي وشاكريتي [١] ، وصيرت عدة منهم فرساناً ورجالة بين باب خراسان والمشرعة وعلى الشط .

وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقرب باب خراسان معداً مستعداً ، وقد خاتلني بالرسالة إلى المخلوع إلى أن يخرج إليه إذا وافى المشرعة ، ليحمله قبل أن أعلم ، أو يبعث إلى بالرداء والسيف والقضيب ، على ما كان فارقني عليه من ذلك . فلما وافى خروج المخلوع على من وكلت بباب خراسان ، نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابع لأمري كان أتاهم ، وتقدمي إليهم ألا يدعو أحداً يجوزهم إلا بأمري . فبادرهم نحو المشرعة ، وقرب هرثمة إليه الحراقة فسبق الناكث أصحابي إليها ، وتأخر كوثر ، فظفر به قريش مولاي ، ومعه الرداء والقضيب والسيف ، فأخذه وما معه ، فنفر أصحاب المخلوع عندما رأوا من إرادة أصحابي منع مخلوعهم من الخروج ، فبادر بعضهم حراقة هرثمة فتكفأت بهم حتى

---

١ ـ شاكريتي : من الشكر وهو العرفان بالإحسان ونشره . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٤/٤٢٣ .

أغرقت في الماء ورسبت ، فانصرف بعضهم إلى المدينة ، ورمى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحراقة في دجلة متخلصاً إلى الشط نادماً على ما كان من خروجه ، ناقضاً للعهد ، داعياً بشعاره ، فابتدره عدة من أوليائي الذين كنت وكلتهم بما بين مشرعة باب خراسان وركن الصراة ، فأخذوه عنوة قهراً بلا عهد ولا عقد ؛ فدعا بشعاره ، وعاد في نكثه ، فعرض عليهم مائة حبة ، ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم ، فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله ، وصيانة لدينهم ، وإيثاراً للحق الواجب عليهم ، فتعلقوا به ، قد أسلمه الله [١] وأفرده ، كل يرغبه ويريد أن يفوز بالحظوة عندي دون صاحبه ، حتى اضطربوا فيما بينهم ، وتناولوه بأسيافهم منازعة فيه ، وتشاحاً [٢] عليه إلى أن أتيح له مغيظ لله ودينه ورسوله وخليفته ، فأتى عليه وأتاني الخبر بذلك ، فأمرت بحمل رأسه إلي ، فلما أتيت به تقدمت إلى من كنت وكلت بالمدينة والخلد وما حواليها وسائر من في المسالح ، في لزوم مواضعهم والاحتفاظ بما يليهم ، إلى أن يأتيهم أمري . ثم انصرفت . فأعظم الله لأمير المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام به وفيه .

فلما أصبحت هاج الناس واختلفوا في المخلوع ، فمصدق بقتله ومكذب وشاك وموقن ، فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره ، فمضيت برأسه ، لينظروا إليه فيصح بعينهم ، وينقطع بذلك بعل [٣] قلوبهم ، ودخل [٤] التيات المستشرفين [٥] للفساد والمستوفرين للفتنة ، وغدوت نحو المدينة فاستسلم من فيها ، وأعطى أهلها الطاعة ، واستقام لأمير المؤمنين شرقي ما يلي مدينة السلام

---

١ ـ أسلمه الله : وقاه إياه . للاستزادة انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٩١/١٢ .

٢ ـ تشاحاً عليه : تبادروا إليه حذر فوته ، ويتنازعا . المصدر السابق ، ٤٩٥/٢ .

٣ ـ بعل : عروق .

٤ ـ دخل : حذيقة أو مكر .

٥ ـ المستشرفين للفساد : المتطلعين إليها . انظر على التوالي المصدر السابق ، ٥٧/١١ ، ٢٤١/١١ ، ١٧٢/٩ .

وغربيه وأرباعه وأرباضه ونواحيه ، وقد وضعت الحرب أوزارها وتلافى بالسلام والإسلام أهله ؛ وبعد الله الدغل [١] عنهم ، وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسكون والدعة والاستقامة والاغتباط ؛ والصنع من الله جل وعز والخيرة ، والحمد لله على ذلك .

فكتبت إلى أمير المؤمنين حفظه الله ، وليس قبلي داع إلى فتنة ولا متحرك ولا ساع في فساد ، ولا أحد إلا سامع مطيع باخع [٢] حاضر ، قد أذاقه الله حلاوة أمير المؤمنين ودعة ولايته ؛ فهو يتقلب في ظلها ، يغدو في متجره ويروح في معايشه ؛ والله ولي ما صنع من ذلك ، والمتمم له ، والمان بالزيادة فيه برحمته .

وأنا أسأل الله أن تهنئ أمير المؤمنين نعمته ، ويتابع له فيها مزيده ويوزعه عليها شكره ، وأن يجعل منته لديه متوالية دائماً متواصلة حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة ، ولأوليائه وأنصار حقه ولجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويمن خلافته ، إنه ولي ذلك منهم وفيه إنه سميع لطيف لما يشاء .

وكتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة » . [٣]

---

١ ـ الدغل : الفساد . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ٢٤٤/١١ .

٢ ـ باخع : بخع له بحقه يبخع بخوعاً وبخاعة : أقربه وخضع له ، وبخعت له : تذللت وأطعت وأقررت . للاستزادة انظر : المصدر السابق ، ٥/٨ .

٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٤٨٩/٨ ـ ٤٩٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٥/٥ ـ ١٦٧ .

ملحق رقم (١٨)

خطبة طاهر بن الحسين في أهل بغداد بعد دخولها :

« الحمد لله مالك الملك يؤتيه من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، لا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدي كيد الخائنين ؛ إن ظهور غلبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا ، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عماداً لدينه ، وقواماً لعباده ، وضبط الأطراف وسد الثغور ، وإعداد العدة ، وجمع الفيء ، وإنفاذ الحكم ، ونشر العدل ، وإحياء السنة ؛ بعد إذ بال [١] البطالات والتلذذ بموبق الشهوات . والمخلد إلى الدنيا مستحسن لداعي غرورها ، محتلب درة نعمتها ألف لزهرة روضتها ، كلف برونق بهجتها . وقد رأيتم من وفاء موعود الله عز وجل لمن بغى عليه ، وما أحل به من بأسه ونقمته ، لما نكب عن عهده ، وارتكب معصيته ، وخالف أمره ، وغيره ناهيه ، وعظته مردية ؛ فتمسكوا بوثائق عصم الطاعة ، واسلكوا مناحي سبيل الجماعة ، واحذروا مصارع أهل الخلاف والمعصية ؛ الذين قدحوا زناد الفتنة ، وصدعوا شعب [٢] الألفة ، فأعقبهم الله خسار الدنيا والآخرة » . [٣]

---

١ ـ إذ بال : من ذبل الشيء أي ضمر . ابن منظور : لسان العرب ، ١١/٢٥ .
٢ ـ الشعب : الجمع أو الجماعة . المصدر السابق ، ١/٤٩٧ .
٣ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٨/٤٩٤ ـ ٤٩٥ .

ملحق رقم (١٩)

كتاب المأمون إلى الأمصار يخبرهم فيه بأمر البيعة لعلي الرضا جاء فيه :

« أنه قد جعل علي بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده ، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد ، أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه ، وأنه سماه الرضا من آل محمد ، وأمره بطرح لبس الثياب السود ، ولبس ثياب الخضرة ؛ وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له ، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك » .[١]

---

١ ـ الطبري : تاريخ الطبري ، ٥٥٤/٨ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٤٣٦/٦ .

ملحق رقم (٣٠)

كتاب المأمون لعلي الرضا بولاية العهد جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون بن الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده ، أما بعد :

فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله إلى محمد رسول الله على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة ، وحمل مشاقها وأخبر مرارة طعمها وذاقها مسهراً لعينيه مقاليد به مطيلاً لفكره فيما فيه عز الدين ، وقمع المشركين ، وصلاح الأمة ، وجمع الكلمة ، ونشر العدل ، وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ، ومهني العيش محبة الدين أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له في دينه وعباده ، ومختار الولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدم عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه مناجياً لله تعالى في الاستخارة في ذلك ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره ، ومعملاً فكره ونظره في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبدالله بن عباس ، وعلي بن أبي طالب مقتصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغاً في المسئلة ممن خفي عليه أمره وجهده وطاقته حتى اقتضى أمورهم معرفة ، وابتلى أخبارهم مشاهدة

واستبرى أحوالهم معاينة وكشف ما عندهم مسائلة ، وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى واجتهاد نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعاً ، علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الذايع ، وورعه الظاهر الشائع ، وزهده الخالص النافع ، وتخليه من الدنيا ، وتفرده عن الناس . وقد استبان له ما لم يزل الأخبار عليه منطبقة ، والألسنة عليه منتفعة ، والكلمة فيه جامعة ، والأخبار واسعة .

ولما لم نزل نعرف به من الفضل يافعاً وناشئاً ، وحدثاً وكهلاً ؛ فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله تعالى في الله . إذ علم الله ذلك أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للإسلام والمسلمين وطلباً للسلامة ، وثبات الحجة النجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصتة وقراه وخدمه فبايعوه والكل مطيعين مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على القوي في ولده ، وغيره ممن هو أشد رحماً وأقرب قرابة وسماه الرضا إذا كان رضا عند الله ، وعند الناس ، وقد آثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه والمسلمين والحمد لله رب العالمين .

وكتبه بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين » . [١]

---

١ ـ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، ج١/ق ٣١٦ .

ملحق رقم (٢١)

رد علي الرضا على كتاب المأمون له بولاية العهد كتب فيه بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الفعال لما يشاء ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وصلواته على محمد نبيه خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين .

أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر ؛ أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وأمر نفوساً فرعت سبل أحباباً بعد أن من الحياة قد آيست ، فأغناها بعد فقرها وعلفها بعد نكرها مبتغياً بذلك رضاء رب العالمين ، لا يريد خيراً في غيره [١] ، وسيجزى الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين ، وأنه جعل إلى عهده ، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها ، أو فصم عروة انساقها .

وقد أباح حريمه ، إذا كان بذلك زارياً علي إلا منتهكاً حرمة الإسلام ، وخوفاً من شتات الدين ، واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز ، ويافعة تبتدر ، وجعلت لله تعالى على نفسي عهداً إن استرعاني أمر المسلمين ، وقد زين خلافة [٢] العمل فيهم عامة ، وفي بني العباس خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله

---

١ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٩/٤١١ . ﴿ وأمن أنفساً فزعت ، بل أحياها وقد تلفت ، وأغناها إذ افتقرت ، متبعاً رضا رب العالمين ، لا يريد جزاءً من غيره وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

٢ ـ المصدر السابق ، ٩/٤١١ . « أو فصم عروة أحب الله إيثاقها ، فقد أباح حريمه وأحل محرمه ، إذ كان بذلك زارياً على الإمام ، منتهكاً حرمة الإسلام ، بذلك جرى السالف فصبر منهم على الفلتات ، ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً على شتات الدين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تنتهز ، وباقية تبتدر . وقد جعلت لله تعالى على نفسي إن استرعاني على المسلمين ، وقلدني خلافته » .

تعالى ، وطاعة رسول الله ﷺ ، ولا اسفك دماً حراماً ، ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده ، وأباحته فرائضه ، وأن اتخير الكفارة جهدي وطاقتي وجعلت بذلك على نفسي عهداً (إن استرعاني أمر المسلمين ، وقلدني خلافة العمل فيهم ، بطاعة الله عامة ، وفي بني العباس خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله ﷺ ، ولا أسفك دماً حراماً) [١] مؤكداً يسألني الله عنه ، فإنه عز وجل يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾ [٢] . وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقاً وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته ، والحول عني ومن معصيته بما فيه لي وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على خلاف ذلك [٣] ، وما أدري ما يفعل بي ولابكم ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ [٤] . لكن امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه [٥] ، والله تعالى يعصمني وإياه ، وأشهد الله على نفسي ، وكفى بالله شهيداً .

وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته ، وهم الفضل بن سهل ، وسهل بن فضل ، والقاضي يحيى بن أكثم ، وعبدالله بن طاهر ، وثمامة بن الأشرس ، وبشير بن المعمر ، وحماد بن نعمان ، وذلك في شهر رمضان لخمس منه سنة إحدى ومائتين » . [٦]

---

١ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤١١/٩ . « غير موجودة في النص » .
٢ ـ القرآن الكريم : الإسراء ، ٣٤/١٧ .
٣ ـ القلقشندي : المصدر السابق ، ٤١٢/٩ . « والحول بيني وبين معصيته ، في عامة المسلمين والخاصة والحضر يدلان على ضد ذلك » .
٤ ـ القرآن الكريم : الأنعام ، ٥٧/٦ .
٥ ـ القلقشندي : المصدر السابق ، ٤١٢/٩ . « امتثلت رضاه » .
٦ ـ الجنابي : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، ج١/ق ٢١٦ ـ ٢١٧ .

ملحق رقم (٢٢)

قائمة الخراج في عهد الرشيد أوردها الجهشياري في كتابه <١>

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
أبواب المال بالسواد أثمان غلات السواد	١٤,٨٠٠,٠٠٠ درهم ٨٠,٧٨٠,٠٠٠ درهم	٢٠٠ حلة نجرانية ٢٤٠ رطلاً من الطين للختم <٢>
المجموع	٩٥,٥٨٠,٠٠٠ درهم	
كسكر كور دجلة حلوان الأهواز فارس كرمان	١١,٦٠٠,٠٠٠ درهم ٢٠,٨٠٠,٠٠٠ درهم ٤,٨٠٠,٠٠٠ درهم ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ درهم ٤,٢٠٠,٠٠٠ درهم	السكر ٣٠ ألف رطل ٢٠ ألف رطل ماء الزبيب الأسود ٢٥٠,٠٠٠ من الرمان والسفرجل ٣٠ ألف قارورة ماء ورد ١٥ ألف رطل من الأنبجات <٣> ٥٠ ألف رطل من الطين السيرافي ٣ أكرار هاشمية من الزبيب (كرهاشمي) ٥٠٠ ثوب يمني وخبيصي <٤> ٢٠ ألف رطل من التمر ١٠٠ رطل كمون

١ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨١ ـ ٢٨٨ .

٢ ـ طين الختم : هو الطين السيرافي يستخدم في ختم الرسائل وهو البديل عن الشمع الأحمر اليوم . انظر الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية ، ١٧٢ .

٣ ـ الإنبجات : ما يسمى اليوم بالمانجو ، وكانوا يتخذون منها المربى . انظر الجهشياري : المصدر السابق ، ٢٨٢ .

٤ ـ خبيص : بلدة بكرمان . انظر : المصدر السابق ، ٢٨٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٤٥/٢ .

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
مكران	٤٠٠,٠٠٠ درهم	
السند وما يليها	١١,٥٠٠,٠٠٠ درهم	مليون قفيز كيرخي (طعام) ثلاثة فيلة ألفا ثوب حشبشية ٤ آلاف فوطة ١٥٠ مناً عود هندي ١٥٠ مناً أصناف العود ألفا زوج نعال قرنفل والجوزبوا
سجستان	٤,٦٠٠,٠٠٠ درهم	٣٠٠ ثوب من الثياب المعينة ٢٠ ألف رطل من الفانيذ <١>
خراسان	٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم	ألفا نقرة <٢> فضة ٤ آلاف برذون ألف رأس رقيق ٢٧ ألف ثوب ٣٠٠ رطل من الإهليلج
جرجان	١٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم	ألف مناً من الإبريسم
قومس	١,٥٠٠,٠٠٠ درهم	ألف نقرة فضة ٧٠ كساء ٤٠ ألف رمانة
طبرستان والرويان ودنياوند	٦,٣٠٠,٠٠٠ درهم	٦٠٠ قطعة فرش طبري ٢٠٠ كسوة ٥٠٠ ثوب ٣٠٠ منديل ٦٠٠ جام

١ ـ الفانيذ : نوع من الحلوى معرب (بانيد) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ٢٨٣ .
٢ ـ نقر : القطعة المزابة من الفضة أو الذهب ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ٢٢٥/١ .

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
الري	١٢,٠٠٠ درهم	١٠٠ ألف ألف رمانة
		١٠٠٠ رطل خوخ
أصفهان	١١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل عسل
		٢٠ ألف رطل شمع
همذان ودستبي	١١,٨٠٠,٠٠٠ درهم	ألف من رب رمان
		٢٠ ألف رطل عسل أروندي
ماهى البصرة والكوفة	٢٠,٧٠٠,٠٠٠ درهم	
شهر زور وما يليها	٢٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
الموصل وما يليها	٢٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل عسل أبيض
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
أذربيجان	٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
موقان وكرخ	٣٠٠,٠٠٠ درهم	
جيلان		١٠٠ رأس رقيق
		١٢ زق عسل
		١٠ بزاة
		٢٠ كساء
أرمينية	١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ بساط محفور (١)
		٥٨٠ قطعة رقم (٢)
		١٠ آلاف رطل مالح المنبوذ ما هي
		١٠ آلاف رطل طريخ
		٢٠ بزاة
		٢٠٠ بغل

---

١ ـ البسط المحفورة : أي المعلمة وقد اشتهرت بها أرمينية ، فيما كثرت السجاجيد الإسلامية السلجوقية ثم التركية بعد ذلك . الزهراني : موارد بيت المال في الدولة العباسية ، ١٧٤ .

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
قنسرون والعواصم	٤٩٠,٠٠٠ دينار	
حمص	٣٢٠,٠٠٠ دينار	١٠٠٠ راحلة زبيب
دمشق	٤٢٠,٠٠٠ دينار	
الأردن	٩٦,٠٠٠ دينار	
فلسطين	٣٢٠,٠٠٠ دينار	٣٠٠ ألف رطل زبيب من جميع أجناد الشأم
مصر سوى (تنيس ودمياط والأشمونيين)	١,٩٢٠,٠٠٠ دينار	
برقة	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
إفريقية	١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم	١٢٠ بساط
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠,٠٠٠ دينار	
مكة والمدينة	٣٠٠,٠٠٠ دينار	

جملة العين = ٥,٠٠٠,٠٠٠ دينار .
الدينار كما ذكر الجهشياري يعادل ٢٢ درهم .
أي يعادل العين = ٥,٠٠٠,٠٠٠ × ٢٢ = ١٢٥,٥٣٢,٠٠٠ درهم .
مجموع الورق = ٤٠٤,٧٨٠,٠٠٠ درهم .
مجموع الورق والعين = ٥٣٠,٣١٢,٠٠٠ درهم .

ملحق رقم (٢٣)

قائمة الخراج في عهد المأمون كما ذكرها قدامة بن جعفر[١] عن السواد في الجانب الغربي :

اسم الناحية	الحنطة	الشعير	الـورق
الأنبار	١١,٨٠٠ كر [٢]	٦,٤٠٠ كر	٤٠٠,٠٠٠ درهم
طسوج مسكن	٣,٠٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
طسوج قطربل	٢,٠٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	٣٠٠,٠٠٠ درهم
طسوج بادوريا	٣,٥٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم
بهرسير	١,٧٠٠ كر	١,٧٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
الرومقان	٣,٣٠٠ كر	٣,٣٠٠ كر	٢٥٠,٠٠٠ درهم
كوثى	٣٠٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	٣٥٠,٠٠٠ درهم
نهر درقيط	٢,٠٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	٢٠٠,٠٠٠ درهم
نهر جوبر	١,٥٠٠ كر	٦,٠٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
باروسما ونهر الملك	٣,٥٠٠ كر	٤,٠٠٠ كر	١٢٢,٠٠٠ درهم
الزوابي الثلاثة	١,٤٠٠ كر	٧,٢٠٠ كر	٢٥٠,٠٠٠ درهم
بابل وخطرنية	٣,٠٠٠ كر	٥,٠٠٠ كر	٣٥٠,٠٠٠ درهم
الفلوجة العليا	٥٠٠ كر	٥٠٠ كر	٧٠,٠٠٠ درهم
الفلوجة السفلى	٢,٠٠٠ كر	٣,٠٠٠ كر	٢٨٠,٠٠٠ درهم
طسوج النهرين	٣٠٠ كر	٤٠٠ كر	٤٥,٠٠٠ درهم
طسوج عين التمر	٣٠٠ كر	٤٠٠ كر	٤٥,٠٠٠ درهم
طسوج الجبة والبداة	١,٥٠٠ كر	١,٦٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
سورا وبربيسما	١,٥٠٠ كر	٤,٥٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
فرات باذقلي	٢,٠٠٠ كر	٢,٥٠٠ كر	٦٢ درهم
طوج السيلحين	٢٠٠٠ كر	١,٥٠٠ كر	١٤٠,٠٠٠ درهم
روذمستان وهرمزجرد	٥٠٠ كر	٥٠٠ كر	٢٠,٠٠٠ درهم
تستر	٢,٢٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	٣٠٠,٠٠٠ درهم

---

١ ـ الخراج وصنعة الكتابة ، ١٦٢ ـ ١٨٤ .

٢ ـ الكر : عبارة عن ٦٠ قفيز عند أهل العراق ، والقفيز ٨ مكابيك والمكوك صاع ونصف ، ويعادل ٤٠ إردب انظر ابن منظور : لسان العرب ، ١٣٧/٥ .

اسم الناحية	الحنطة	الشعير	الـورق
إيغار يقطين	٢,٢٠٠ كر	٢,٠٠٠ كر	٢٠٤,٨٠٠ درهم
كوركسكر	٣٠,٠٠٠ كر	٢٠,٠٠٠ كر	٢٧٠,٠٠٠ درهم
البرس الأعلى والأسفل	٥٠٠ كر	٥,٥٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
قائمة خراج أعمال السواد في الجانب الشرقي مبتدأ من أعلى دجلة :			
طسوج بزرجسابور	٢,٥٠٠ كر	٢,٢٠٠ كر	٣٠٠,٠٠٠ درهم
طسوج الراذانين	٤,٨٠٠ كر	٤,٨٠٠ كر	١٢٠,٠٠٠ درهم
طسوج نهر بوق	٢٠٠ كر	١,٠٠٠ كر	١٠٠,٠٠٠ درهم
كلواذي ونهريين	١,٦٠٠ كر	١,٥٠٠ كر	٣٣٠,٠٠٠ درهم
جازرو المدينة العتيقة	١,٠٠٠ كر	١,٥٠٠ كر	٢٤٠,٠٠٠ درهم
روستقباذ	١,٠٠٠ كر	١,٤٠٠ كر	٢٤٦,٠٠٠ درهم
سلسل ومهروذ	٢,٠٠٠ كر	١,٥٠٠ كر	١٥٠,٠٠٠ درهم
جلولاء وجللتا	١,٠٠٠ كر	١,٠٠٠ كر	١٠٠,٠٠٠ درهم
الذيبين	١,٩٠٠ كر	١,٣٠٠ كر	٤٠,٠٠٠ درهم
الدسكرة	١,٨٠٠ كر	١,٤٠٠ كر	٦٠,٠٠٠ درهم
البندنيجين	٦٠٠ كر	٥٠٠ كر	٣٥,٠٠٠ درهم
طسوج براز الروز	٣,٠٠٠ كر	٥,١٠٠ كر	١٢٠,٠٠٠ درهم
النهروان الأعلى	١,٧٠٠ كر	١,٨٠٠ كر	٣٥٠,٠٠٠ درهم
النهروان الأوسط	١,٠٠٠ كر	٥٠٠ كر	١٠٠,٠٠٠ درهم
بادرايا وباكسايا	٤,٧٠٠ كر	٥,٠٠٠ كر	٣٣٠,٠٠٠ درهم
كورة دجلة	٩٠٠ كر	٤,٠٠٠ كر	٤٣٠,٠٠٠ درهم
نهر الصلة	١,٠٠٠ كر	٣,١٢١ كر	٥٩,٠٠٠ درهم
النهروان الأسفل	١,٧٠٠	١,٣٠٠ كر	٥٣,٠٠٠ درهم
المجموع العام	١٧٧,٢٠٠ كر	٩٩,٧٢١ كر	٨,٠٩٥,٨٠٠ درهم

ثمن الحنطة والشعير كل كرين ٦٠ دينار والدينار × ١٥ درهم كما ذكر يعادل ثمنها ١٠٠,٣٦١,٨٥٠ درهم .

مجموع الحنطة والشعير والورق من خراج السواد = ١٠٠,٣٦١,٨٥٠ + ٨,٠٩٥,٨٠٠ = ١٠٨,٤٥٧,٦٥٠ درهم .

مجموع صدقات البصرة ٦ ملايين درهم وخراج السواد = ١٠٠,٤٥٧,٦٥٠ درهم .

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالأموال	
السواد	١٠٠,٠٣٠,٠٠٠ دينار	
	٢٠٠,٠٠٠ درهم	
الأهواز	٢٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
كرمان	٦,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
فارس	٢٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
مكران	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
أصبهان	١٠,٥٠٠,٠٠٠ درهم	
سجستان	١٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
خراسان	٣٩,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
حلوان	٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
ماه الكوفة <١>	٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
ماه البصرة <٢>	٤,٨٠٠,٠٠٠ درهم	
ماسبذان	١,٢٠٠,٠٠٠ درهم	
همذان	١,٧٠٠,٠٠٠ درهم	
مر جارون	٣٠٠,٢٠٠,٠٠٠ درهم	
الإيغارين	٣,٨٠٠,٠٠٠ درهم	
قم وقاشان	٣٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
أذربيجان	٤,٥٠٠,٠٠٠ درهم	
الري وماوند	٢٠,٠٨٠,٠٠٠ درهم	
قزوين وزنجان وأبهر	١٨,٠٠٠ درهم + الف الف وثمانية الاف الف درهم	
قومس	١,٠٥٠,٠٠٠ درهم	
جرجان	٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
طبرستان	٤,٢٨٠,٧٠٠ درهم	

١ ـ ماه الكوفة : هي مدينة الدينور ، وهي في إيران ، ولكن خصص خراجها للإنفاق على جند الكوفة ؛ ولذا سميت بماه الكوفة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣١٣/٥ .

٢ ـ ماه البصرة : هي مدينة نهاوند الفارسية ، وتقع قبالة همذان وسميت بماه البصرة ، لأن خراجها كان مخصصاً للصرف على سكان البصرة وخاصة نفقات الجند وأعطياتهم . انظر المصدر السابق ، ٣١٣/٥ .

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية بالأموال	
تكريت والطيرهان	٩٠٠,٠٠٠ درهم	
والسن والبوازيج		
شهر زور والصامغان	٢,٧٥٠,٠٠٠ درهم	
كورة الموصل	٦,٣٠٠,٠٠٠ درهم	
قردي وبزبدي	٣,٢٠٠,٠٠٠ درهم	
رزن وميافارقين	٤,٢٠٠,٠٠٠ درهم	
ديار ربيعة	٩,٦٢٥,٠٠٠ درهم	
مقاطعة طرون	١٠٠,٠٠٠ درهم	
ديار مضر	٦,٠٠٠٠,٠٠٠ درهم	
أعمال طريق الفرات	٢,٧٠٠,٠٠٠ درهم	
قنسرين والعواصم	٣٦٠,٠٠٠ درهم	
جند حمص	٢١٨,٠٠٠ دينار	
جند دمشق	١,٥٠٠,٠٠٠ دينار	
جند الأردن	١٠٩,٠٠٠ دينار	
جند فلسطين	٢٥٩,٠٠٠ دينار	
مصر والإسكندرية	٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار	
الحرمين	١٠٠,٠٠٠ دينار	
اليمن	٦٠٠,٠٠٠ دينار	
اليمامة والبحرين	٥١٠,٠٠٠ دينار	
عمان	٣٠٠,٠٠٠ دينار	
جزية رؤوس أهل الذمة	٢٠٠,٠٠٠ درهم	
في بغداد		
المغرب	٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم	

المجموع الكلي للورق = ٣٣٢,٧٠١,٧٠٠ درهم

مجموع العين = ٥,١٠٢,٠٠٠ + ٢٠٠ الجزية = ٧٨,٥٣٠,٠٠٠ درهم .

قيمة الدينار = ١٥ درهم .

المجموع الكلي للورق والعين والجزية = ٤١١,٢٣١,٧٠٠ درهم .

ملحق رقم (٢٤)

قائمة الخراج في عهد المأمون كما أوردها ابن خلدون في مقدمته : (١)

أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
غلات السواد	٢٧,٨٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠٠ حلة نجرانية
		٢٤٠ رطلاً من الطين للختم
كسكر	١١,٦٠٠,٠٠٠ درهم	
كور دجلة	٢٠,٠٠٠,٠٠٨ درهم	
حلوان	٤,٨٠٠,٠٠٠ درهم	
الأهواز	٢٠,٠٠٠ درهم	٣٠ ألف رطل سكر
فارس	٢٧,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٣٠ ألف قارورة من ماء الورد
		٢٠ ألف رطل زيت أسود
كرمان	٤,٢٠٠,٠٠٠ درهم	٥٠٠ ثوب يماني
		٢٠ ألف رطل تمر
مكران	٤٠٠,٠٠٠ درهم	
السند ومايليه	١١,٥٠٠,٠٠٠ درهم	١٥٠ رطل عود هندي
سجستان	٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٣٠٠ ثوب من الثياب المعينة
		٢٠ رطل من الفا نيذ
خراسان	٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم	ألفا نقرفضة
		٤ آلاف برذون
		١٠٠٠ رأس رقيق
		٢٠ ألف ثوب من المتاع
		٣٠ ألف رطل من الإهليلج
جرجان	١٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم	ألف شقة من الإبريسم
قومس	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٥٠٠ نقر فضة
طبرستان والرويان ونهاوند	٦,٣٠٠,٠٠٠ درهم	٦٠٠ قطعة من الفرش الطبري
		٢٠٠ كساء
		٥٠٠ ثوب
		٣٠٠ منديل
		٣٠٠ جام

---

١ ـ مقدمة ابن خلدون ، ١/٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

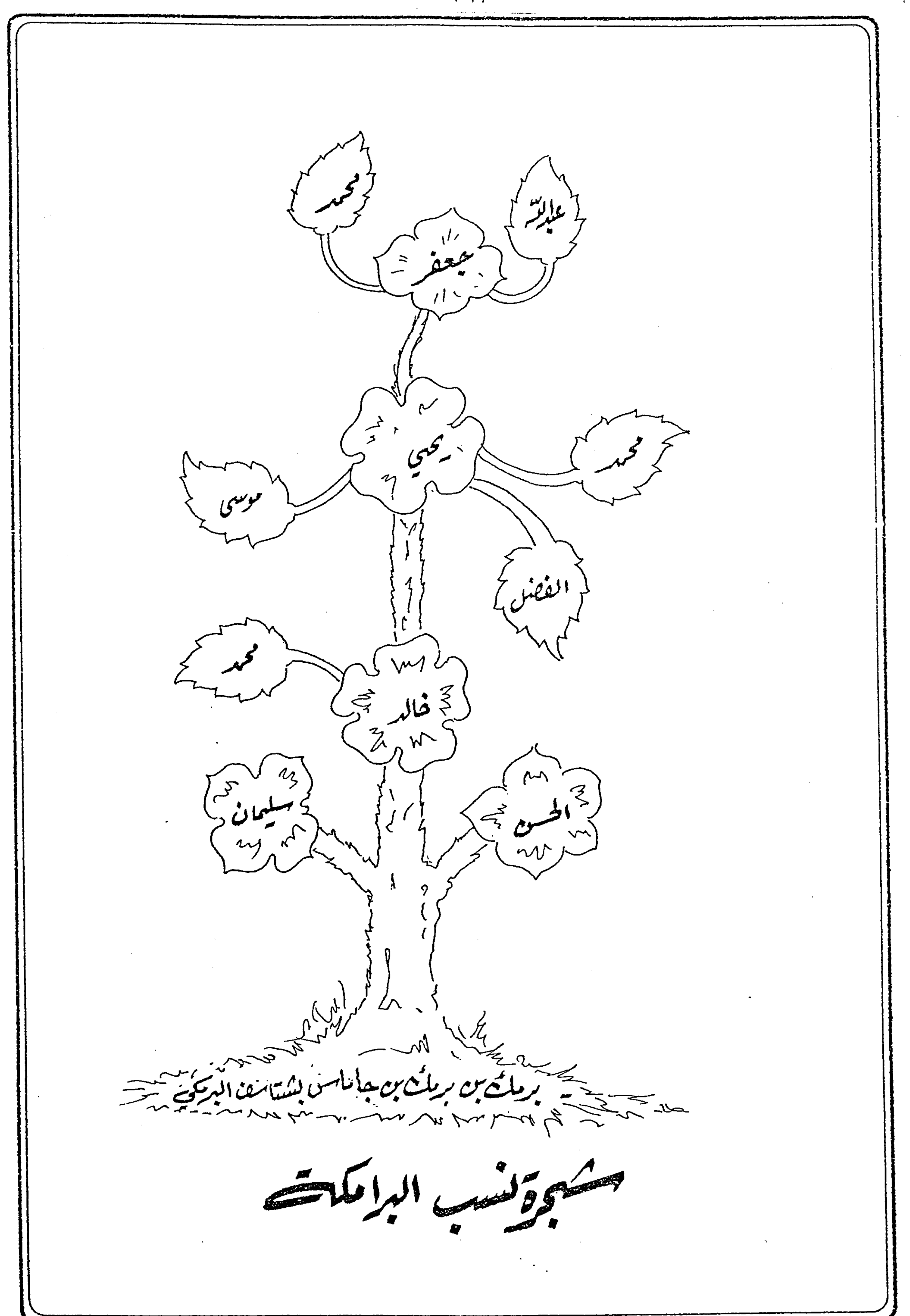
أسماء الأقاليم	مقدار الجباية من الأموال	الأمتعة والعروض
الرى	١٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ ألف رطل عسل
همذان	١١,٣٠٠,٠٠٠ درهم	١٠٠٠ رطل رب رمان
		١٢ ألف رطل عسل
مابين البصرة والكوفة	١٠,٧٠٠,٠٠٠ درهم	
ماسبذان والدينار (الدينور)	٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
شهر زور	٦,٧٠٠,٠٠٠ درهم	
الموصل وما يليها	٢٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ ألف ألف رطل عسل أبيض
أذربيجان	٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
الجزيرة وما يليها من أعمال	٣٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم	١٠٠٠ رأس رقيق
الفرات		١٢ ألف زق من العسل
		١٠ بزاة
		٢٠ كساء
أرمينية	١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم	٢٠ بساط محفور
		٥٣٠ رطل من الزقم
		١٠ آلاف رطل من المسايج
		السورماهي
		١٠ آلاف رطل من الصونج
		٢٠٠ بغلة
		٣٠ مهرة
قنسرين	٤٠٠,٠٠٠ دينار	١٠٠٠ حمل زيت
دمشق	٤٢٠,٠٠٠ دينار	
الأردن	٩٧,٠٠٠ دينار	
فلسطين	٣١٠,٠٠٠ دينار	٣٠٠ ألف رطل زيت
مصر	١,٩٢٠,٠٠٠ دينار	
برقة	١,٠٠٠,٠٠٠ درهم	
إفريقية	١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم	١٢٠ بساط
اليمن	٣٧٠,٠٠٠ دينار	سوى المتاع
الحجاز	٣٠٠,٠٠٠ دينار	

المجموع الكلي للورق = ٣٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم ـ المجموع الكلى للعين = ٣,٠٠٧,٠٠٠ دينار

تحويل الدنانير إلى دراهم = ٣,٠٠٧,٠٠٠ × ٢٢ = ٦٦,١٥٤,٠٠٠ درهم

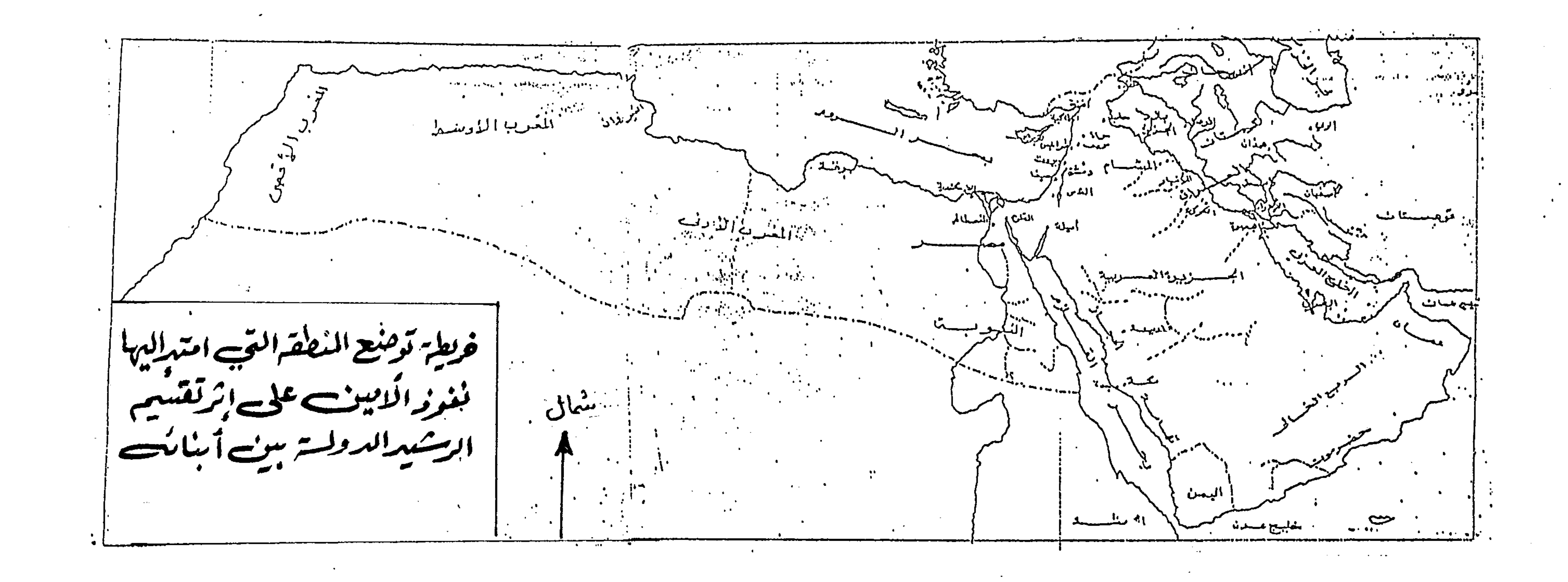
مجموع الورق والعين = ٣٢٨,١٠٠,٠٠٠ + ٦٦,١٥٤,٠٠٠ = ٣٩٤,٢٥٤,٠٠٠ درهم .

الدينار يعادل ٢٢ درهم .



شجرة نسب البرامكة

خريطة رقم (٢)



انظر مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ١٤٧

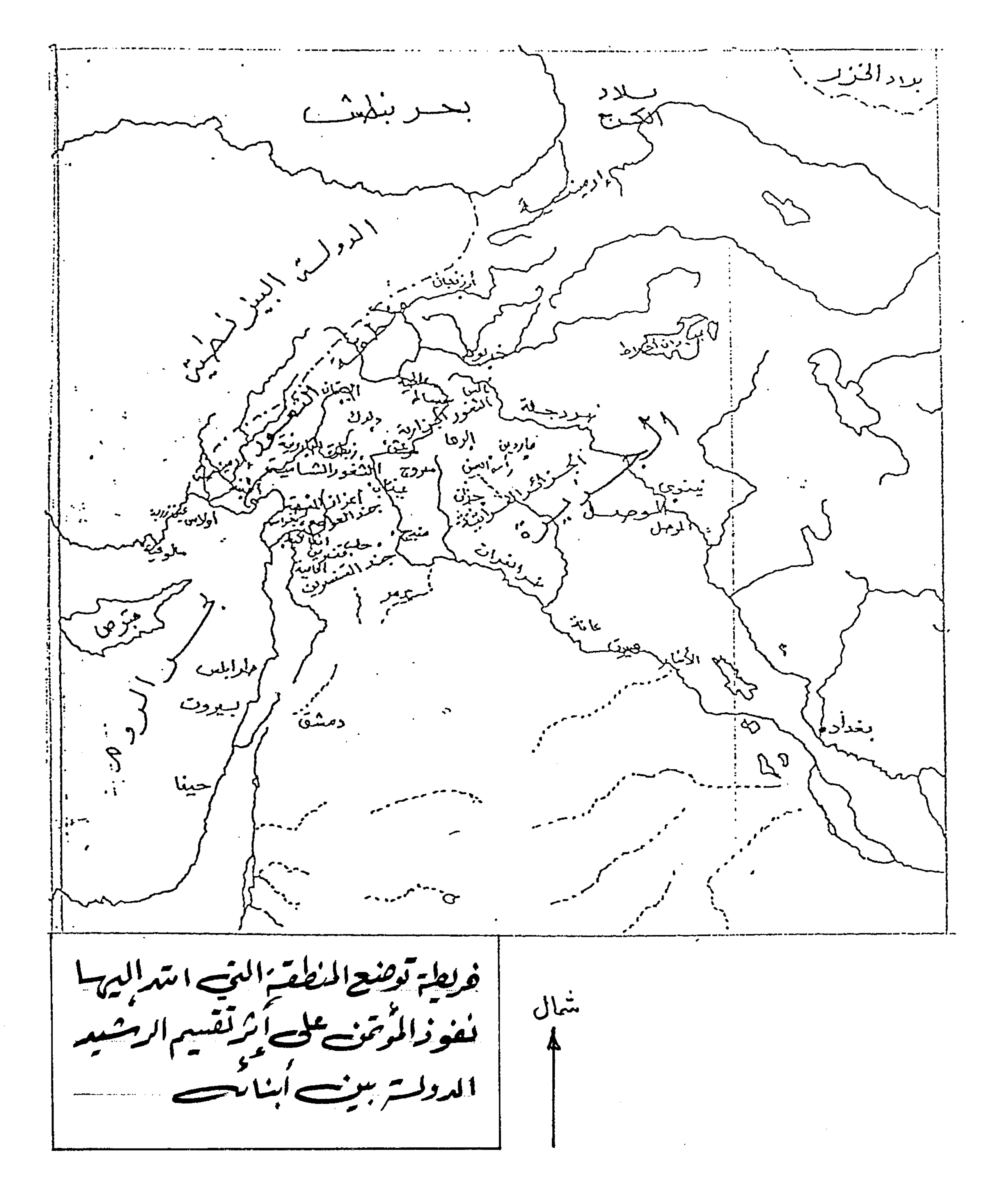
خريطة رقم (٣)



خريطة توضح المناطق التي امتد إليها نفوذ المأمون على إثر تقسيم الرشيد الدولة بين أبنائه

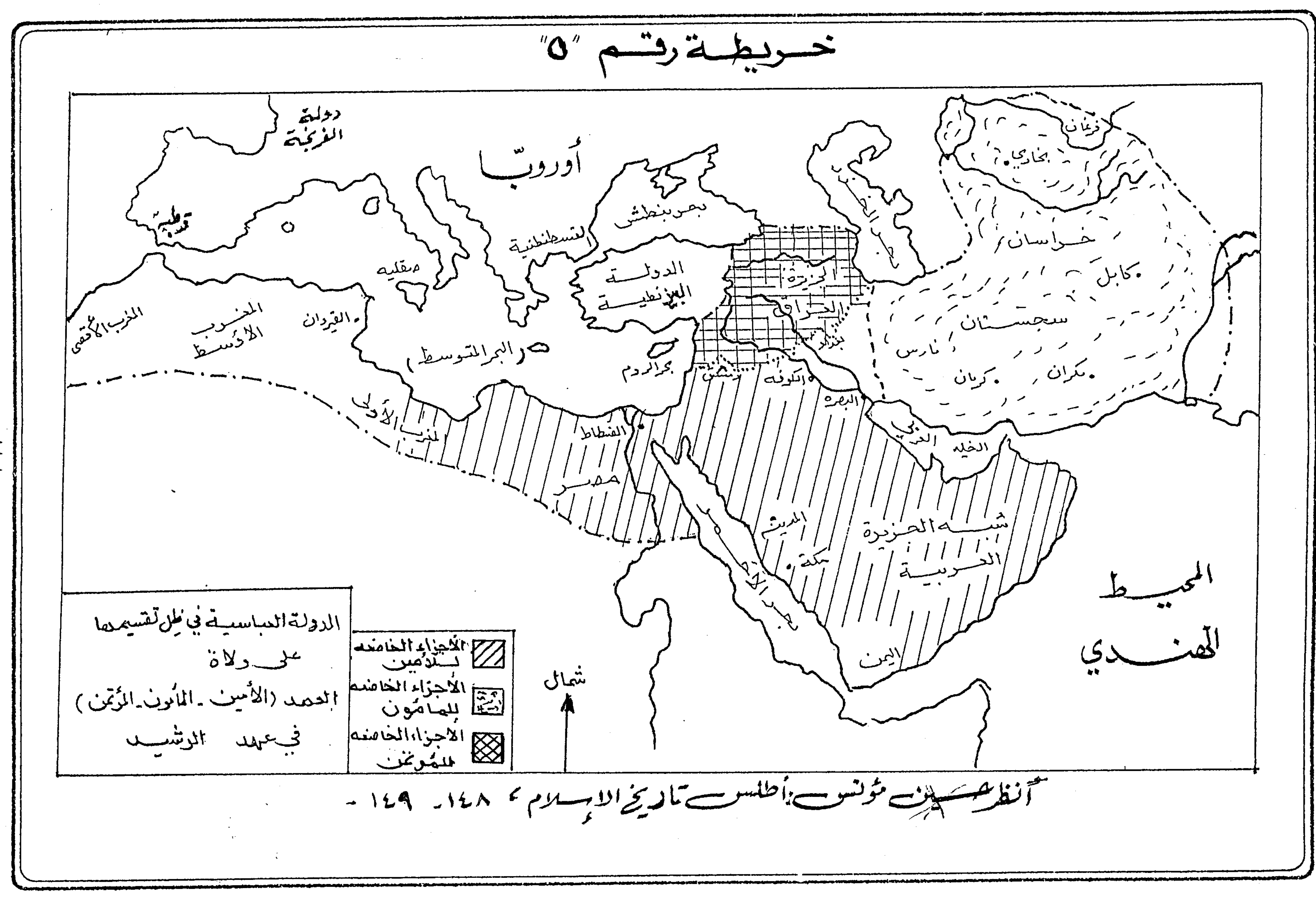
انظر مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ١٤٧

خريطة رقم (٤)



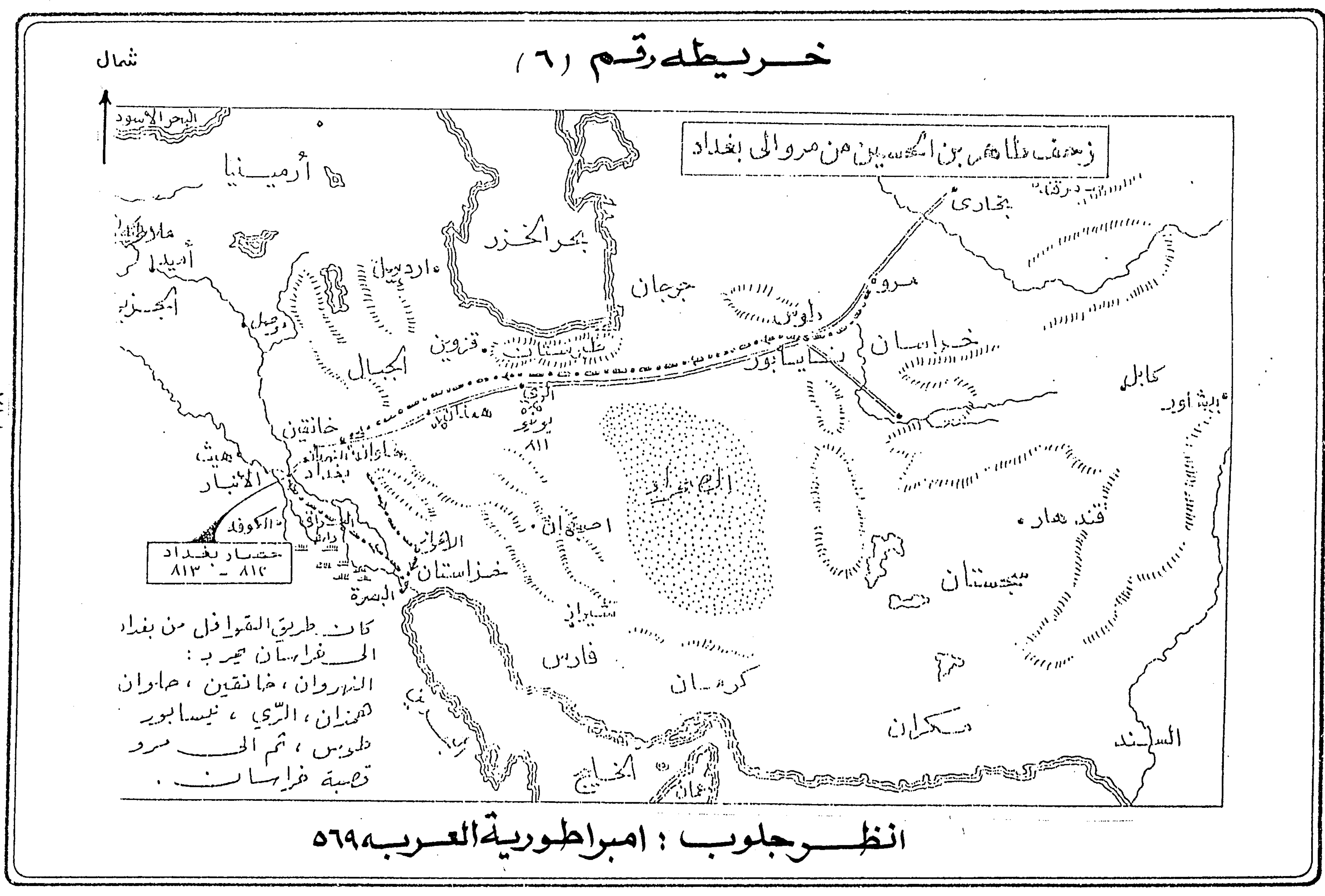
خريطة توضح المنطقة التي امتد اليها نفوذ المؤتمن على أثر تقسيم الرشيد الدولة بين أبنائه

الفرانولس: أطلس تاريخ الإسلام، ١٥٠



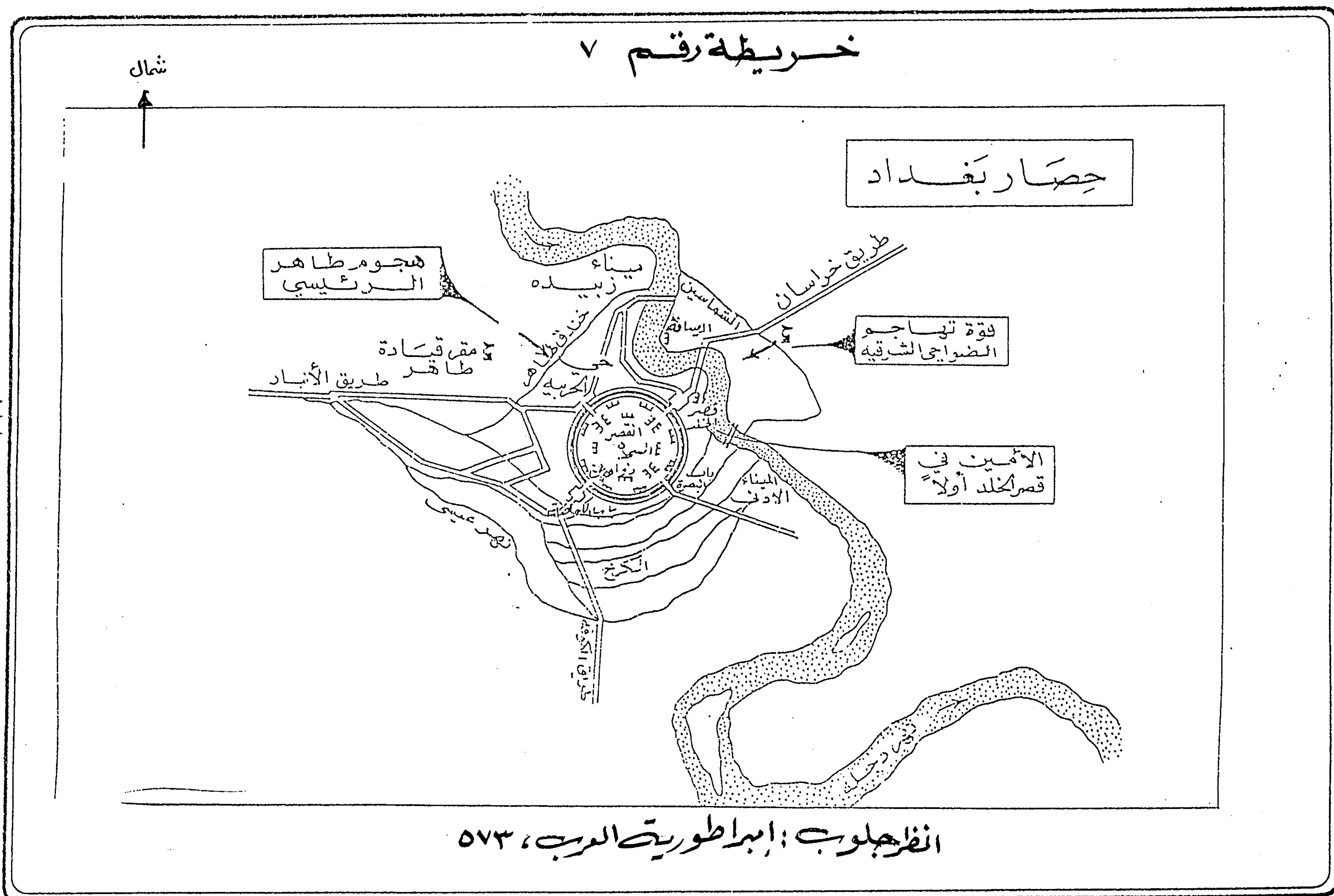
أنظر حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ

خريطة رقم (٦)



انظر جلوب : امبراطورية العرب ٥٦٩

خريطة رقم ٧



انظر جلوب: إمبراطورية العرب، ٥٧٣

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات :

* الجنابي : أبو محمد مصطفى بن السيد أحمد الهاشمي القرشي ت ٩٩٩هـ/١٥٩٠م .

١ ـ البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر . جزءان

مخطوط تاريخ . نسخ عادي . العام بدون

مكتبة الحرم الشريف . مكة المكرمة

رقم ٢٢١٧ . ميكروفيلم .

* الكتبي : صلاح الدين محمد بن أحمد بن شاكر

٦٨١ ـ ٧٦٤هـ / ١٢٨٢ ـ ١٣٦٣هـ

٢ ـ عيون التواريخ . ثلاثة أجزاء الموجودة

مخطوط تاريخ . نسخ عادى

مكتبة مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى

مكة المكرمة . رقم : ٩٨٥ ـ ٩٨٩ ـ ٩٩١ . ورق تصوير .

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

* ابن الآبار : أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي ٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ/١١٩٩ ـ ١٢٦٠م

١ ـ إعتاب الكتاب .

الطبعة الأولى . دمشق .

مجمع اللغة العربية : ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

* الأبشيهي : شهاب الدين محمد بن أحمد ٧٩٠ ـ ٨٥٠هـ/١٣٨٨ ـ ١٤٤٦م .

٢ ـ المستطرف في كل فن مستظرف . جزءان .

الطبعة بدون . بيروت .

دار مكتبة الحياة : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

* الأتابكي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ٨١٣ ـ ٨٧٤هـ/١٤١٠ ـ ١٤٦٩م .

٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ستة عشر جزءاً .

الطبعة بدون . القاهرة .

المؤسسة المصرية العامة : ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

* ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ/١١٦٠ ـ ١٢٣٢م .

٤ ـ الكامل في التاريخ . عشرة أجزاء .

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار الكتاب العربي : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب . ثلاثة أجزاء .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة القدسي : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

* الأربلي : عبدالرحمن بن قبنط بن قينتوت ٧١٧هـ/١٣١٧م .

٦ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك .

تصحيح : مكي السيد هاشم .

الطبعة الأولى . بغداد .

مكتبة المثنى : ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

* الأزدي : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٠٢ـ ـ ٢٧٥هـ/٨١٧ ـ ٨٨٨م .

٧ ـ سنن أبي داؤد . أربعة أجزاء .

تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .

الطبعة الثانية . مصر .

المكتبة التجارية الكبرى : ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

* الأزدي : جمال الدين أبي الحسن علي بن أبي منصور ظافر بن الحسين بن غازي الحلبي ٥٦٧ ـ ٦١٣هـ/١١٧١ ـ ١٢١٦م .

٨ ـ أخبار الدول المنقطعة « تاريخ الدولة العباسية » .

تحقيق ودراسة : محمد بن مسفر بن حسين الزهراني .

الطبعة بدون . المدينة المنورة .

مكتبة الدار : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م .

٩ ـ تاريخ الموصل .

تحقيق : علي حبيبة .

الطبعة بدون . القاهرة .

لجنة إحياء التراث الإسلامي : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ت ٢٤٤هـ/٨٥٨م .

١٠ـ أخبار مكة . جزءان .

الطبعة الثالثة . بيروت .

دار الأندلس : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* الأصفهاني : حمزة بن الحسن ٢٨٠ ـ ٣٦٠هـ/٨٩٣ ـ ٩٧٠م .

١١ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار مكتبة الحياة : تاريخ بدون .

* الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ/٨٩٧ ـ ٩٦٧م .

١٢ـ مقاتل الطالبيين .

تحقيق : السيد أحمد صقر .

الطبعة بدون . بيروت .

دار المعرفة : تاريخ بدون .

١٣ـ الأغانـــي . واحد وعشرون جزءاً .

الطبعة بدون . بيروت .

دار صعب : تاريخ بدون .

* ابن أبي أصيبعة : أبوالعباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ٥٩٦ ـ ٦٦٨هـ/١٢٠٠ ـ ١٢٧٠م .

١٤ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء . مجلد واحد .

تصحيح ونقل : إمرؤ القيس بن الصمان .

الطبعة الأولى . البلد بدون .

المطبعة الوهبية : ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م .

* الأندلسي : أبوعبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز البكري ٤٣٢ ـ ٤٨٧هـ/١٠٤٠ ـ ١٠٩٤م .

١٥ـ معجم ما أستعجم في أسماء البلاد والمواضع . أربعة أجزاء .

تحقيق : مصطفى السقا .

الطبعة الأولى . القاهرة .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

* البخاري : أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زبة البخاري الجعفي ١٩٤ ـ ٢٥٦هـ/٨٠٩ ـ ٨٧٠م .

١٦ـ صحيح البخاري . ثمانية أجزاء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* البغدادي : الحافظ أبي بكر أحمد بن على الخطيب ٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ/١٠٠٢ ـ ١٠٧١م .

١٧ـ تاريخ بغداد « مدينة السلام » . أربعة عشر جزءاً .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الكتاب العربي . تاريخ بدون .

* البغدادي : عبدالقادر بن عمر ١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ/١٦٢١ ـ ١٦٨٢م .

١٨ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . ثلاثة عشر جزءاً .

تحقيق : عبدالسلام محمد هارون .

الطبعة الثانية . القاهرة .

الهيئة المصرية العامة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* البلاذري : أبوالحسن ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م .

١٩ـ فتوح البلدان .

تعليق :رضوان محمد رضوان .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الكتب العلمية : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* البلخي : أبوزيد أحمد بن سهل ٢٣٥ ـ ٣٢٢هـ/٨٤٩ ـ ٩٣٤م .

٢٠ـ البدء والتاريخ . ستة أجزاء .

الطبعة بدون . بغداد .

مكتبة المثنى : ١٣٣٦هـ/١٩١٦م .

* البلوي : الحجاج يوسف بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن غالب ٥٢٩ ـ ٦٠٤هـ/١١٣٥ ـ ١٢٠٧م .

٢١ـ كتاب ألف باء . جزءان .

الطبعة الثانية . بيروت .

عالم الكتب : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الترمذي : أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩ ـ ٢٩٧هـ/٨٢٤ ـ ٩٠٩م .

٢٢ـ سنن الترمذي « الجامع الصحيح » . خمسة أجزاء .

تحقيق : إبراهيم عطوة .

الطبعة بدون . بيروت .

دار إحياء التراث العربي : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

* التنوخي : أبوعلي المحسن بن علي ٣٢٧ ـ ٣٨٤هـ/٩٣٩ ـ ٩٩٤م .

٢٣ـ المستجاد من فعلات الأجواد .

تحقيق : محمد كرد علي .

الطبعة بدون . دمشق .

المجمع العلمي العربي : ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .

٢٤ـ الفرج بعد الشدة . جزءان .

تحقيق : عبود الشالجي .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار صادر : ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

* التوحيدي : أبوحيان .

٢٥ـ البصائر والذخائر . أربعة أجزاء .

تحقيق وتعليق : إبراهيم الكيلاني .

الطبعة بدون . دمشق .

مكتبة أطلس : ١٩٦٤م / ١٣٨٤ هـ .

* الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل ٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ/٩٦١ ـ ١٠٣٧م .

٢٦ـ تحفة الوزراء .

تحقيق : علي الراوي . إبتسام مرهون الصفار .

الطبعة الأولى . بغداد .

مطبعة العاني : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

* الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر ١٥٠ ـ ٢٥٥هـ/٧٦٧ ـ ٨٦٩م .

٢٧ـ كتاب الحيوان . سبعة أجزاء .

تحقيق : عبدالسلام هارون .

الطبعة الثانية . بيروت .

دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

٢٨ـ البيان والتبيين . ثلاثة أجزاء .

تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون .

الطبعة بدون . القاهرة .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٢٩ـ رسائل الجاحظ . أربعة أجزاء .

تحقيق : عبدالسلام محمد هارون .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة الخانجي : ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

٣٠ـ كتاب البخلاء . جزءان .

ضبط وشرح : أحمد العوامري بك . علي الجارم بك .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الكتب العلمية : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣١ـ التاج في أخلاق الملوك .

تحقيق : فوزي عطوى .

الطبعة بدون . بيروت .

الشركة اللبنانية للكتاب : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٣٢ـ المحاسن والأضداد .

تقديم ومراجعة : عاصم عيتاني .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار إحياء العلوم : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* ابن جعفر : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م .

٣٣ـ الخراج وصناعة الكتابة . شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي .

الطبعة بدون . بغداد .

دار الحرية للطباعة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* ابن جلجل : سليمان بن حسان الأندلسي كان حياً حتى ٣٧٢هـ/٩٨٢م .

٣٤ـ طبقات الأطباء والحكماء .

تحقيق : فؤاد السيد .

الطبعة بدون . بغداد .

مكتبة المثنى : ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

* ابن جني : أبوالفتح عثمان ٣٣٠ ـ ٣٩٢هـ/٩٤٢ ـ ١٠٠١م .

٣٥ـ تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد .

تحقيق : محمد بهجت الأثري .

الطبعة بدون . دمشق .

المطبعة الهاشمية : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* الجهشياري : أبوعبدالله محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٨٤٥م .

٣٦ـ الوزراء والكتاب .

تحقيق : مصطفى السقا . إبراهيم الإبياري . عبدالحفيظ شلبي.

الطبعة الأولى . القاهرة .

مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

* ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ٣٨٤ـ ـ ٤٥٦هـ/٩٩٤ ـ ١٠٦٤م .

٣٧ـ جمهرة أنساب العرب .

تعليق ونشر وتحقيق : إليفي بروفنسال .

الطبعة بدون . مصر .

دار المعارف : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

* الحموي : شهاب الدين أبي عبيدالله ياقوت ٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ/١١٧٨ ـ ١٢٢٨م .

٣٨ـ معجم البلدان . خمسة أجزاء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار صادر : تاريخ بدون .

* ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ١٦٤ ـ ٢٤١هـ/٧٨٠ ـ ٨٥٥م .

٣٩ـ المســـند . سبعة عشر جزءاً .

تحقيق : عبدالقادر عطا . محمد عاشور .

الطبعة الثالثة . مصر .

دار المعارف : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* الحنبلي : ابن رجب . ابن القيم . أبوحامد الغزالي .

٤٠ـ تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف .

تحقيق : ماجد بن أبي الليل . جمع وترتيب : أحمد فريد .

الطبعة بدون . بيروت .

دار القلم : تاريخ بدون .

* ابن خلدون : عبدالرحمن ٧٣٢هـ ـ ٨٠٨هـ/١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م .

٤١ـ مقدمة ابن خلدون .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٢ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر « تاريخ ابن خلدون » . عشرة أجزاء .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨ ـ ٦٨١هـ/١٢١١ ـ ١٢٨٢م .

٤٣ـ وفيات الأعيان . ستة أجزاء .

تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .

الطبعة الأولى . القاهرة .

مكتبة النهضة المصرية : ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ .

* ابن خياط : خليفة ١٦٠ ـ ٢٣٠هـ / ٧٧٦ ـ ٨٤٤ م .

٤٤ـ تاريخ خليفة بن خياط . جزءان .

تحقيق وتقديم : أكرم ضياء العمري .

الطبعة الأولى . العراق .

مطبعة الآداب في النجف والإشراف : ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

* الدميري : محمد بن موسى ٧٤٣ ـ ٨٠٨هـ/١٣٤٢ ـ ١٤٠٥م .

٤٥ـ حياة الحيوان الكبرى . جزءان .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار إحياء التراث العربي : ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م .

* الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ وقيل ٢٩٠هـ/٨٩٥م و ٣٠٩م .

٤٦ـ الأخبار الطوال .

تصحيح : محمد سعيد الرافح .

الطبعة الأولى . مصر .

المكتبة الأزهرية : ١٣٣٠هـ/١٩١٢م .

* الدياربكري : حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م .

٤٧ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس . جزءان .

الطبعة الأولى . البلد بدون .

مطبعة عثمان عبدالرزاق : ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م .

* الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ/١٢٧٤ ـ ١٣٤٧م .

٤٨ـ سير أعلام النبلاء . خمسة وعشرون جزءاً .

تحقيق وإخراج : شعيب الأرنؤوط . كامل الخراط . محمد نعيم العرقسوسي . علي أبوزيد .

الطبعة الأولى . بيروت .

مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٩ـ دول الإسلام . جزءان .

تحقيق : فهيم محمد شلتوت . مصطفى إبراهيم .

الطبعة بدون . القاهرة .

الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٥٠ـ العبر في خبر من غبر . أربعة أجزاء .

تحقيق : أبوهاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر حياً إلى ٦٦٦هـ/١٢٦٨م .

٥١ـ مختار الصحاح .

الطبعة بدون . بيروت .

دار القلم : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* السدوسي : أبو عبدالله محمد بن يزيد .

٥٢ـ تاريخ الخلفاء . رواية أبوبكر السدوسي .

تحقيق : محمد مطيع الحافظ . خط : ابن عساكر .

الطبعة الأولى . البلد بدون .

مؤسسة الرسالة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* السمعاني : أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي ٥٠٦ ـ ٥٦٢هـ/١١١٣ ـ ١١٦٦م .

٥٣ـ الأنساب . ثلاثة عشر جزءاً .

الطبعة الأولى . حيدر آباد (الدكن) .

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن ٨٤٩ ـ ٩١١هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م .

٥٤ ـ تاريخ الخلفاء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الفكر : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٥٥ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . مجلدان .

تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

الطبعة الأولى . بيروت .

المكتبة العصرية : ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

* الشابشتي : أبوالحسن علي بن محمد ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م .

٥٦ـ الديارات .

تحقيق : كوركيس عواد .

الطبعة الثالثة . بيروت .

دار الرائد العربي : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* الصابي : أبوالحسن الهلال بن المحسن ٣٥٩ ـ ٤٤٨هـ/٩٧٠ ـ ١٠٥٦م .

٥٧ـ الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .

تحقيق : عبدالستار أحمد فراج .

الطبعة الثانية . القاهرة .

دار إحياء الكتب العربية : ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

٥٨ـ رسوم دار الخلافة .

تحقيق : ميخائيل عواد .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الرائد العربي : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك ٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ/١٢٩٧ ـ ١٢٦٣م .

٥٩ـ الوافي بالوفيات . سبعة عشر مجلداً .

إعتناء : هلموت ريتر . س ديد رينغ . محمد يوسف نجم . شكري فيصل .

الطبعة الثانية : فيسباذن .

دار النشر فرانز شتاينز : ١٣٨١هـ/١٩٦١م ـ ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/٨٣٨ ـ ٩٢٢م .

٦٠ـ تاريخ الأمم والملوك « تاريخ الطبري » . عشرة أجزاء .

تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

الطبعة بدون . بيروت .

دار سويدان : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ/١٢٦٢ ـ ١٣٠٩م .

٦١ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

الطبعة بدون . بيروت .

دار بيروت : ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

* ابن الطولوني : الحسن بن حسين بن أحمد ٨٣٦ ـ ٩٢٣هـ/١٤٣٢ ـ ١٥١٧م .

٦٢ـ النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية « أخبار الخلفاء » .

تحقيق : محمد كمال الدين علي .

الطبعة بدون . بيروت .

عالم الكتب : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* ابن طيفور : أبوالفضل أحمد بن طاهر ٢٠٤ ـ ٢٨٠هـ/٨١٩ ـ ٨٩٣م .

٦٣ـ كتاب بغداد .

تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري .

الطبعة بدون . بغداد . القاهرة .

مكتبة المثنى . مكتبة الخانجي : ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

* ابن عبدربه : أحمد بن محمد الأندلسي ٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ/٨٦٠ ـ ٩٣٩م .

٦٤ـ العقد الفريد . تسعة أجزاء .

تحقيق : مفيد محمد قميحة .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الكتب العلمية : ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

* العصامي : عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي ١٠٤٩ ـ ١١١١هـ/١٦٣٩ ـ ١٦٩٩م .

٦٥ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي . أربعة أجزاء .

الطبعة بدون . قطر .

المطبعة السلفية . تاريخ بدون .

* ابن العبري : غريغورس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي ٦٢٣ ـ ٦٨٥هـ/١٢٢٦ ـ ١٢٨٦م .

٦٦ـ تاريخ مختصر الدول .

الطبعة بدون . بيروت .

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين : ١٣١٠هـ/١٨٩٢م .

* ابن عساكر : أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله عبدالله الشافعي ٤٩٩ ـ ٥٧١هـ/١١٠٥ ـ ١١٧٦م .

٦٧ـ التاريخ الكبير « تاريخ دمشق » . الموجود سبعة مجلدات .

تصحيح : الشيخ عبدالقادر بدران ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م .

الطبعة بدون . البلد بدون .

روضة الشأم : ١٣٣٢هـ/١٩١٣م .

٦٨ـ تهذيب تاريخ دمشق . الموجود سبعة مجلدات .

تهذيب وترتيب : عبدالقادر بدران .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الميسرة : تاريخ بدون .

* ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحي الحنبلي ١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ/١٦٢٣ ـ ١٦٧٩م .

٦٩ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ثمانية أجزاء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الآفاق : تاريخ بدون .

* ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م .

٧٠ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء .

تحقيق وتقديم ودراسة : قاسم السامرائي .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار إحياء الكتب العربية : ١٩٧٣م/١٣٩٣م .

* أبوالفداء : عماد الدين إسماعيل بن أيوب ٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ/١٢٧٣ ـ ١٣٣١م .

٧١ـ المختصر في أخبار البشر . جزءان .

الطبعة الأولى . مصر .

المطبعة الحسينية : تاريخ بدون .

* ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم « الدينوري » ٢١٣ ـ ٢٧٦هـ/٨٢٨ ـ ٨٨٩م .

٧٢ـ عيون الأخبار . أربعة أجزاء .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الكتاب العربي : تاريخ بدون .

٧٣ـ الإمامة والسياسة « تاريخ الخلفاء » . جزءان .

الطبعة بدون . القاهرة .

مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٧٤ـ المعـــارف .

تحقيق : ثروت عكاشه .

الطبعة الثانية . القاهرة .

دار المعارف بمصر : ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* القـرمـاني : أبو العبـاس أحـمـد بن يوسف بن أحـمـد الدمـشـقي ٩٣٩ ـ ١٠١٩هـ/١٥٣٢ ـ ١٦١١م .

٧٥ـ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ .

معلومات النشر غير موجودة .

* القلقشندي : أبو العباس أحمد ٧٥٦هـ ـ ٨٢١هـ/١٣٥٥ ـ ١٤١٨م .

٧٦ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . أربعة عشر جزءاً .

الطبعة بدون . القاهرة .

المطبعة الأميرية : ١٣٣١هـ/١٩١٣م .

* القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ت ٤١٣ وقيل ٤٥٣هـ/١٠٢٢ ـ ١٠٦١م .

٧٧ـ زهر الآداب وثمر والألباب . أربعة أجزاء .

ضبط وشرح : زكي مبارك . تحقيق وتفصيل وضبط : محمد محي الدين عبدالحميد .

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار الجيل : ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* الكتبي : محمد بن شاكر ٦٨١ ـ ٧٦٤هـ/١٢٨٢ ـ ١٣٦٣م .

٧٨ـ فوات الوفيات . خمسة أجزاء .

تحقيق : إحسان عباس .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار صادر : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

* ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ/١٣٠١ ـ ١٣٧٣م .

٧٩ـ البداية والنهاية في التاريخ . أربعة عشر جزءاً .

الطبعة الأولى . القاهرة .

دار الفكر العربي : ١٣٥١هـ/١٩٣٣م .

* الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف المصري ٢٨٣ ـ ٣٥٠هـ/٨٩٧ ـ ٩٦١م .

٨٠ـ الولاة وكتاب القضاة .

تصحيح : رفن كست .

الطبعة بدون . مصر .

مؤسسة قرطبة : تاريخ بدون .

* ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني ٢٠٩ ـ ٢٧٣هـ/٨٢٤ ـ ٨٨٧م .

٨١ـ سنن المصطفي .

الطبعة الأولى . البلد بدون .

المطبعة النازية : تاريخ بدون .

* الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ٣٧٠ ـ ٤٥٠هـ/٩٨٠ ـ ١٠٥٨م .

٨٢ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية .

الطبعة الأولى . مصر .

دار الفكر : ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

٨٣ـ قوانين الوزارة .

تحقيق : فؤاد عبدالمنعم . محمد سليمان .

الطبعة الثانية . الإسكندرية .

مؤسسة شباب الجامعة : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ٢١٠هـ ـ ٢٨٥هـ/٨٢٥ ـ ٨٩٨م .

٨٤ـ الكامــل .

تحقيق وتعليق ووضع فهارس : محمد أحمد الدالي .

الطبعة الأولى . بيروت .

مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* مجهول :

٨٥ـ العيون والحدائق وأخبار الحقائق . ثلاثة أجزاء .

الطبعة بدون . بغداد .

مكتبة المثنى : تاريخ بدون .

* المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م .

٨٦ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر . أربعة أجزاء .

تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .

الطبعة الخامسة . بيروت .

دار الفكر : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٨٧ـ التنبية والإشراف .

تصحيح ومراجعة : عبدالله إسماعيل الصاوي .

الطبعة بدون . بغداد .

المكتبة العصرية : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

* ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م .

٨٨ـ تجارب الأمم ١٩٨ ـ ٢٥١هـ/٨١٣ ـ ٨٦٥م . ستة أجزاء .

الطبعة بدون . بغداد .

مكتبة المثنى : تاريخ بدون .

* المقدسي : مطهر بن طاهر ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م .

٨٩ـ البدء والتاريخ . ستة أجزاء .

ينسب : لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي .

الطبعة بدون . بغداد .

مكتبة المثنى : ١٣٣٥هـ/١٩١٦م .

* المقـريزي : تقي الدين أبي العبـاس أحـمـد بن علي ٧٦٩ ـ ٨٤٥هـ/١٣٦٧ ـ ١٤٤١م .

٩٠ـ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأمصار « خطط المقريزي » .
جزءان .

الطبعة بدون . بيروت .

دار صادر . تاريخ بدون .

* ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حنيفة ٦٣٠هـ ـ ٧١١هـ/١٢٣٢ ـ ١٣١١م .

٩١ـ لسان العرب . خمسة عشر جزءاً .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار صادر : ١٣٠٠هـ/١٣٨٣م .

* ابن النديم : محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق ت ٤٣٨هـ/١٠٤٧م .

٩٢ـ الفهرست .

الطبعة بدون . مصر .

المطبعة الرحمانية : ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

* النسـائي : أحـمـد بن شـعـيب بن علي بن سنان بن بجـر بن دينار ٢١٥ ـ ٣٠٣هـ/٨٣٠ ـ ٩١٥م .

٩٣ـ سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي . ثمانية أجزاء .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار إحياء التراث العربي : ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م .

* النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف ٦٣١ ـ ٦٧٧هـ/١٢٣٣ ـ ١٢٧٨م .

٩٤ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الندوة الجديدة : ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

* النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ/١٢٧٨ ـ ١٣٣٣م .

٩٥ـ نهاية الأرب في فنون الأدب . سبعة وعشرين جزءاً .

تحقيق : محمد جابر عبدالعال الحسيني . مراجعة : إبراهيم مصطفى .

الطبعة بدون . القاهرة .

المكتبة العربية : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* النيسابوري : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١هـ/٨٧٤م .

٩٦ـ صحيح مسلم بشرح النووي . ثمانية عشر جزءاً .

الطبعة بدون . بيروت .

دار الفكر : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨هـ .

٩٧ـ تاريخ ابن الوردي . جزءان .

الطبعة بدون . البلد بدون .

المطبعة الوهبية : ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م .

* اليافعي : أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي ت٧٠٠هـ/٧٦٨هـ ـ ١٣٠١ ـ ١٣٦٧م .

٩٨ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان . أربعة أجزاء .

الطبعة الثانية . بيروت .

مؤسسة الأعلمي : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي ٢٨٤هـ/٨٩٧م .

٩٩ـ تاريخ اليعقوبي . جزءان .

الطبعة بدون . بيروت .

دار صادر . دار بيروت : ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

رابعاً : المراجع الحديثة :

* الأتليدي : محمد دياب ت ١١٠٠هـ/١٦٨٨م .

١ ـ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس .

الطبعة بدون . الطائف .

مكتبة المؤيد : تاريخ بدون .

* أحمد : أحمد رمضان .

٢ ـ الرحلة والرحالة المسلمون .

الطبعة بدون . جدة .

دار البيان العربي : تاريخ بدون .

٣ ـ الخلافة في الحضارة الإسلامية .

الطبعة الأولى . جدة .

دار البيان العربي : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* الأعظمي : علي ظريف .

٤ ـ مختصر تاريخ بغداد .

الطبعة بدون . بغداد .

مطبعة الفرات : ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م .

* الألوسي : محمود شكري البغدادي ١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ/١٨٥٧ ـ ١٩٢٤م .

٥ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ثلاثة أجزاء .

شرح وضبط وتصحيح : محمد بهجت الأثري .

الطبعة الثانية . بيروت .

دار الكتب العلمية : ١٣١٤هـ/١٨٩٦م .

* أمين بك : أحمد ١٢٩٥ ـ ١٣٧٣هـ/١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م .

٦ ـ هارون الرشيد .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار الهلال : تاريخ بدون .

٧ ـ ضحى الإسلام . ثلاثة أجزاء .
الطبعة العاشرة . القاهرة .
مكتبة النهضة المصرية : ١٣٥١هـ/١٩٣٣م .
* الباشا : حسن .
٨ ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار .
الطبعة الأولى . القاهرة .
مكتبة النهضة المصرية : ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
٩ ـ دراسات في تاريخ الدولة العباسية .
الطبعة بدون . القاهرة .
دار النهضة العربية : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
* برانق : محمد أحمد
١٠ـ الوزراء العباسيون . مجلد واحد .
الطبعة الأولى . القاهرة .
المطبعة النموذجية : تاريخ بدون .
* الجابي : بسام عبدالوهاب .
١١ـ معجم الأعلام .
الطبعة الأولى . قبرص .
الجنان والجابي للنشر : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
* الجومرد : عبدالجبار
١٢ـ هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية . جزءان .
الطبعة بدون . بيروت .
المكتبة العمومية : ١٩٥٦م / ١٣٧٦هـ .
* جوهري : طنطاوي .
١٣ـ براءة العباسة أخت الرشيد .
الطبعة الأولى . القاهرة .
مكتبة مصطفى البابي الحلبي : ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

* حبيبة : علي .

١٤- العباسيون في التاريخ .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة الشباب : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* حسن : حسن إبراهيم .

١٥- تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي . أربعة أجزاء .

الطبعة السابعة . المدينة بدون .

المطبعة بدون : ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

* حسن : علي إبراهيم .

١٦- التاريخ الإسلامي العام .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة النهضة المصرية : تاريخ بدون .

١٧- نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب .

الطبعة الثانية . القاهرة .

مكتبة النهضة : ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

* حسن : نبيلة .

١٨- تاريخ الدولة العباسية .

الطبعة بدون . الإسكندرية .

دار المعرفة الجامعية : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

* حمادة : محمد ماهر .

١٩ـ الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول .

الطبعة الأولى . بيروت .

مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الخضري : محمد بك .

٢٠ـ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية « الدولة العباسية » .

الطبعة بدون . مصر .

دار الفكر العربي : تاريخ بدون .

* أبوخليل : شوقي .

٢١ـ هارون الرشيد أجل ملوك الدنيا .

الطبعة بدون . دمشق .

دار الفكر : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

* رفاعي : أحمد فريد .

٢٢ـ عصر المأمون . جزءان .

الطبعة الثالثة . القاهرة .

دار الكتب المصرية : ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م .

* الريس : محمد ضياء الدين .

٢٣ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية .

الطبعة الرابعة . القاهرة .

دار الأنصار : ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م .

* الزركلي : خير الدين .

٢٤ـ الإعـــــلام . ثمانية أجزاء .

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* زنبير : محمد .

٢٥ـ الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العباسة .

الطبعة بدون . الدار البيضاء .

دار النشر المغربية : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* الزهراني : ضيف الله يحيى .

٢٦ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية .

الطبعة الأولى . مكة .

مكتبة الطالب الجامعي : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٢٧ـ موارد بيت المال في الدولة العباسية ١٣٢هـ ـ ٢١٨هـ/٧٤٩ ـ ٨٣٣م .

الطبعة الأولى . مكة .

المكتبة الفيصلية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* زيدان : جرجي .

٢٨ـ تاريخ التمدن الإسلامي . أربعة أجزاء .

الطبعة الثانية . بيروت .

دار مكتبة الحياة : تاريخ بدون .

* الزين : محمد . أحمد القطان .

٢٩ـ هارون الرشيد الخليفة المظلوم .

الطبعة الثانية . الدوحة . الكويت .

مكتبة السندس : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

* سالم : السيد عبدالعزيز .

٣٠ـ العصر العباسي الأول .

الطبعة بدون . الإسكندرية .

مؤسسة شباب الجامعة : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* سرور : محمد جمال الدين .

٣١ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار الفكر العربي : ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

* شاكر : محمود .

٣٢ـ التاريخ الإسلامي « الدولة العباسية » . ستة أجزاء .

الطبعة الثانية . بيروت . دمشق .

المكتب الإسلامي : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الشامي : أحمد .

٣٣ـ الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول .

الطبعة الثانية . مصر .

مكتبة الأنجلو المصرية : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* شريف : محمد بديع .

٣٤ـ الصراع بين المولي والعرب .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار الكتاب العربي : ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

* الشريفي : إبراهيم .

٣٥ـ التاريخ الإسلامي .

الطبعة الثانية . المدينة بدون .

المطبعة بدون : ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

* شلبي : أحمد .

٣٦ـ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . عشرة أجزاء.

الطبعة السابعة . القاهرة .

مكتبة النهضة المصرية : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الصدقي : رزق الله منقريوس .

٣٧ـ تاريخ دول الإسلام . ثلاثة أجزاء .

الطبعة بدون . مصر .

مطبعة الهلال : ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

* الصعيدي : عبدالمتعال .

٣٨ـ المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة الآداب : تاريخ بدون .

* ضيف : شوقي .

٣٩ـ العصر الجاهلي « تاريخ الأدب العربي » .

الطبعة الثالثة . مصر .

دار المعارف : ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

٤٠ـ العصر العباسي الأول « تاريخ الأدب العربي » .

الطبعة التاسعة . مصر .

دار المعارف : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* العبادي : أحمد مختار .

٤١ـ التاريخ العباسي والفاطمي .

الطبعة بدون . الإسكندرية .

مؤسسة شباب الجامعة : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* عبدالقادر : صبيح .

٤٢ـ هارون الرشيد .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار الثقافة العامة : ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

* العبيدي : صلاح الدين حسين .

٤٣ـ الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية .

الطبعة بدون . بغداد .

دار الحرية للطباعة : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* عرفة : ثريا حافظ .

٤٤ـ الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول .

الطبعة الأولى . جدة .

مكتبة تهامة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* العش : يوسف .

٤٥ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية .

مراجعة وتنقيح : محمد أبوالفرج العش .

الطبعة الأولى . دمشق .

دار الفكر : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* علي : وفاء محمد .

٤٦ـ نفوذ النساء في الدولة الإسلامية في العراق ومصر .

الطبعة بدون . مصر .

دا ر الفكر العربي : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٤٧ـ الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية .

الطبعة الأولى . القاهرة .

دا ر الفكر العربي : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* عمر : فاروق .

٤٨ـ الجذور التاريخية للوزارة العباسية .

الطبعة الأولى . بغداد .

دار الشؤون الثقافية العامة « آفاق عربية » : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٤٩ـ بحوث في التاريخ العباسي .

الطبعة بدون . بغداد . بيروت .

مكتبة النهضة . دار القلم للطباعة : تاريخ بدون .

* عنان : محمد عبدالله .

٥٠ـ تراجم إسلامية شرقية وأندلسية .

الطبعة الثانية . القاهرة .

مكتبة الخانجي : تاريخ بدون .

* قدورة : زاهية .

٥١ـ الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الكتاب اللبناني : ١٩٧٢م / ١٣٩٢هـ .

* كحالة : عمر رضا .

٥٢ـ العالم الإسلامي .

الطبعة بدون . دمشق .

المكتبة العربية : تاريخ بدون .

* الكرملي : الأب أنستاس ماري البغدادي .

٥٣ـ النقود العربية وعلم النميات .

الطبعة بدون : القاهرة .

المطبعة العصرية : ١٩٣٩م / ١٣٦١هـ .

* الكروي : إبراهيم سلمان .

٥٤ـ نظام الوزارة في العصر العباسي الأول .

الطبعة الثانية . الإسكندرية .

مؤسسة شباب الجامعة : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٥٥ـ طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول .

الطبعة الثانية . الإسكندرية .

مؤسسة شباب الجامعة : ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

* محمد : بدر عبدالرحمن .

٥٦ـ الدولة العباسية « دراسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري » .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة الأنجلو : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* محمود : حسن أحمد . أحمد إبراهيم الشريف .

٥٧ـ العالم الإسلامي في العصر العباسي .

الطبعة الخامسة . القاهرة .

دار الفكر العربي : تاريخ بدون .

* المدور : جميل نخلة .

٥٨ـ حضارة الإسلام في دار السلام .

الطبعة بدون . القاهرة .

المطبعة الأميرية : ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

* مصطفى : شاكر .

٥٩ـ التاريخ العربي والمؤرخون . جزءان .

الطبعة الأولى . الطبعة الثالثة . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م . ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٦٠ـ دولة بني العباس .

الطبعة الأولى . الكويت .

وكالة المطبوعات : ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

* مصطفى : مصطفى علي .

٦١ـ هارون الرشيد .

الطبعة بدون . مصر .

جامعة الأزهر : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

* مؤنس : حسين .

٦٢ـ أطلس تاريخ الإسلام .

الطبعة الأولى . القاهرة .

الزهراء للإعلام العربي : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* اليوزبكي : توفيق .

٦٣ـ الوزارة ونشأتها وتطويرها في الدولة العباسية .

الطبعة الثانية . بغداد .

دار الكتب : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

* هدارة : محمد مصطفى .

٦٤ـ المأمـــون .

الطبعة بدون . القاهرة .

مكتبة مصر : تاريخ بدون .

خامساً : المراجـع المعربـة :

* بروكلمان : كارل .

١ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية . خمسة أجزاء .

تعريب : نبيه أمين فارس . منير البعلبكي .

الطبعة الثانية . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .

* جلوب : الجنرال السيرجون .

٢ ـ إمبراطورية العرب .

تعريب وتعليق : خيري حماد .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الكتاب العربي : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* حتي : فيليب .

٣ ـ تاريخ العرب « مطول » . ثلاثة أجزاء .

تعريب : إدوارد جرجي . تنقيح وتحرير : جبرائيل جبور .

الطبعة الرابعة . بيروت .

دا ر الكشاف للنشر : ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م .

* زامباور :

٤ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي .

إخراج : زكي محمد حسن بك . حسن أحمد محمود .

ترجمة : سيدة إسماعيل كاشف . حافظ أحمد حمدي . أحمد ممدوح حمدي

الطبعة بدون . بيروت .

دار الرائد العربي : تاريخ بدون .

* سيديو : ل . أ .

٥ ـ تاريخ العرب العام « إمبراطورية العرب » .

تعريب : عادل زعيتر .

الطبعة بدون . القاهرة .

دار إحياء الكتب العربية : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

* علي : سيد أمير .

٦ ـ مختصر تاريخ العرب .

تعريب : عفيف البعلبكي .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

* فازيليف :

٧ ـ العرب والروم .

مراجعة : فؤاد حسين علي ، ترجمة : محمد عبدالهادي شعيرة .

الطبعة الأولى . القاهرة .

دار الفكر العربي : ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

* لوبون : غوستاف .

٨ ـ حضارة العرب .

تعريب : عادل زعيتر .

الطبعة بدون . مصر .

مطبعة عيسى البابا الحلبي : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

سادساً : الرسائل الجامعية :

* الزهراني : رحمة أحمد .

١ ـ بلاد اليمن في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ ـ ٢٣٢هـ/٧٥٠ ـ ٨٤٧م .

رسالة ماجستير . قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة أم القرى .

مكة المكرمة . ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

سابعاً : الدوريات :

* خليفة : محمد الأباصيري .

١ ـ « الرشيد ونكبة البرامكة » .

مجلة الوعي الإسلامي .

العام بدون . العدد (١٣٥) .

ربيع الأول ١٣٩٦هـ/ مارس ١٩٧٦م . من ص ٤٠ ـ ٤٤ .

* أبوخليل : شوقي .

٢ ـ « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (١) » .

المجلة العربية .

العام بدون . العدد (٦١) .

صفر ١٤٠٣هـ/ ديسمبر ١٩٨٢م . من ص ٨١ ـ ٨٣ .

٣ ـ « آراء المؤرخين في نكبة البرامكة (٢) » .

المجلة العربية .

العام بدون . العدد (٦٢) .

ربيع الأول ١٤٠٣هـ/ يناير ١٩٨٢م . من ص ٨٢ ـ ٨٤ .

* خورشيد : إبراهيم زكي . أحمد الشنشتناوي . عبدالحميد يونس (الإعداد) .

٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية . خمسة عشر مجلداً .

الطبعة بدون . البلد بدون .

الشعب : ١٩٣٩هـ/١٣٥٨م .

* الشامي : فضلية .

٥ ـ « الفضل بن الربيع الحاجب الوزير ١٣٨ـ ٢٠٨هـ/٧٥٥ـ ٨٢٤م ».

مجلة المؤرخ العربي .

العام بدون . العدد (٢٨) .

١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . من ص ٨٨ ـ ٩٤ .

* فوزي : فاروق عمر .

٦ ـ الفضل بن الربيع « وزراء عباسيون » .

مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد .

العام بدون . العدد العشرون .

١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . من ص ١٨٥ ـ ٢٠٤ .

٧ ـ « سياسة المأمون تجاه العلويين ١٩٨هـ/٨١٤م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م

القسم الثاني . مغزى سياسة التوفيق مع العلويين » .

مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد .

العام بدون . العدد السادس عشر .

١٣٩٣هـ/١٩٧٣م . من ص ٢٧٥ ـ ٢٩٨ .

* مصطفى : شاكر .

٨ ـ « دراسة في مفهوم الوزارة ونشأتها لدى المؤرخين وفي الواقع التاريخي » .

مجلة كلية الآداب والتربية . جامعة الكويت .

العام بدون . من العدد الأول ـ العدد الخامس عشر .

يونيو ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ ـ يونيو ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ . من ص ٨٧ ـ ١٠٦ .


قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع | رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

تابع قائمة المحتويات

الموضـــــوع — رقم الصفحة